

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وشؤون الثقافة والفكر

تصدرها:
وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

العدد التاسع، السنة التاسعة عشرة، شوال 1398 / شتنبر 1978

شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

دعوة الحق

السنة التاسعة عشرة، العدد التاسع
شوال 1398 / شتنبر 1978

تصدرها
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

بيانات إدارية

- تبعث المقالات الى العنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » - مديرية الشؤون الإسلامية
ص ب : 375 - الرباط - المغرب
الهاتف : 10 - 632
- الاشتراك العادي عن سنة 60 درهماً للداخل. و 70 درهماً للخارج. والشرفي 100 درهم فأكثر.
- السنة عشرة أعداد . لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة .
- تدفع قيمة الإشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .
- ترسل المجلة مجاناً للمكتبات العامة . والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص
- لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

فهرس

كل سنة وأمير المومنين بخير

يسعد ويشرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ومنها أسرة تحرير مجلة "دعوة الحق" أن تغتنم حلول عيد الأضحى المبارك، مقترنا بأعياد العودة والانبعاث والاستقلال والمسيرة المظفرة، فتتقدم إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا أمير المومنين الملك الحسن الثاني نصره الله بأزكى التهاني وأطيب الأماني سائلة الله سبحانه وتعالى أن يسبغ رداء الصحة والعافية على جلالته ويسدد خطاه، ويلهمه التوفيق والرشاد ويجري على يده الخير لما فيه الخير العميم لشعبه وللأمة الإسلامية والإنسانية جمعاء.

كما تزجي الوزارة تهانيها الطيبة وتمنياتها العاطرة بنفس المناسبة السعيدة لصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير المحبوب سيدي محمد وصنوه سمو الأمير السعيد مولاي رشيد، والأميرات الكريمات وكافة أفراد الأسرة الشريفة.

أعاد الله هذا العيد المبارك على مولانا أمير المومنين وشعبه وكافة المسلمين باليمن والبركات وتحرير القدس والمسجد الأقصى المبارك، أولى القبلتين وثالث الحرمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

حدود العقل وحدود الوهم

●● هل من مهمة العقل ان ينكر الدين ؟

ان قوما من بني جلدتنا يشيعون ذلك كقضية مسلم بها لا تقبل جدلا ولا نقاشا . وهم بذلك يحكمون على انفسهم بالتخلف والتحجر والبلادة والغباء من حيث أرادوا أن يحكموا على المؤمنين بنفس الصفات .

ان للعقل حدودا . ادراكها من كمال العقـــل ...

ثم ما هو العقل ؟ اليست الكلمة نوعا من التجريد ؟ .

ان الماركسيين يضعون ما يسمونه « بالفكر العقلاني » في مقابـــل « الفكر المثالي » ، وكلا اللفظين لا يعدو ان يكون تجريدا في تجريـــد . مجرد افتراض منطقي ، وتصور مبني على حسابات معينة ، فمن اقام هذه الحسابات ، ومن ضبطها ؟؟ .

لقد شقيت البشرية في عهودها الاخيرة بقوم يرفعون لواء العقل ، ويهدرون كرامة الانسان باسم العقل ويكبتون فيه نوازع الانطلاق والتحرر بدعوى من هذه الدعاوي الباطلة الزائفة .

ان ثلث الانسانية اليوم يعاني الامرين من جراء شيـوع نظريـــات يزعم انها عقلانية . وما هي من العقل السليم في شيء ، وانما غاية مـــا

وصلت اليه - اذا افترضنا انها وصلت الى شيء - انهــا تخمينـات واجتهادات وتقديرات واستقراءات لظواهر محددة وأنماط معينــة مــن سلوك الانسان وعلاقته بالانتاج ووسائله ... الى آخـر هــذه الفروض النظرية التي صاغها عقل « بشري » يسري عليـــه ما يسري عـادة على عقول البشر . والا فقد تساوى مع عقول البقر .

هل نحجر على العقول بدعوى الاخذ بالعقل والالتزام بمنطقه . ومن يدرينا ان هذه النظرية او تلك الفكرة صحيحة ، وانها لا تعارض مصلحة الانسان ، وسعادته ، وهناءه ، ورخاءه ، ورفاهيته ؟ .

● الاحتكام الى العقل بهذا الاسلوب المتخلف يسيء الى كرامة الانســان .

اذا قال قائل : ان الماركسية والرأسمالية نظريتان اقتصاديتــان قابلتان للخطأ والصواب ، يمكن ان يقبل كلامه على اساس انه اجتهـاد يدخل في اطار حرية الفكر . اما ان يقول قائل : ان الماركسية - مثلا - نظرية خالدة ، شاملة ، تقبل الاخذ والرد ، وترتفع فـوق مستـوى المراجعة ، والمناقشة والتنقيح ، والتعديل ، فقد اقفل في وجوهنا باب العقل ، بل سلبنا عقلنا سلبا ، واغتصبه منا اغتصابا . فأية قيمة تبقـى يا ترى لمثل هذا القول ؟ .

هذا الافتراض يمكن ان يكون واردا في مجتمع غير اسلامي ، باعتباره مجتمعا يفتقد الى المنهج ، والعقيدة ، واسلوب العمل ، اما وان يطـرح هذا الرأي في ظل المجتمع الاسلامي ، أو بتعبير أدق في وسط يقـول بالاسلام ويدين به ويرفعه شعارا ولواء ودستورا ، فان الامر في هــذه الحالة يتخطى الاجتهاد ، وحرية الفكر الى تحــدي مشاعـر الامــة ، واستفزازها وامتهان كرامتها . ولا يمكن ان يوصف هــذا التصرف الا بالعدوان المباشر على دين الشعب وعقيدة الجماهير .

وتلك حالــة اخـرى ...

●● ثم هناك قضية اخرى تفرض نفسها في هذا السيــاق . ونعني بها ذلك الخلط المشين الذي يقع بين الفكر والسياسة ، أي بين النظرية العقلية المجردة ، وبين استخدام الارهاب السياسي ، والقمع الحزبي - بالمفهوم الديكتاتوري للحزب ، لا بالمفهوم الديمقراطي - في الاقناع والاكتساح والهيمنة ...

القول بتعدد الآراء - وهو حق دستوري لا غبار عليــه - لا يعنـي بالضرورة فرض الرأي بقوة البطش الفكري ، والقهر المذهبي ، والتزييف، والتضليل ، واستغلال السذج والعوام . في هذه الحالة تنقلب القضية الى ما يشبه التمرد ، والردة ، والخروج عن الجماعة ، وذلك كله مناف

لتيام مجتمع الشورى والعدل ، او قل : مجتمع الديمقراطيـــة ، بلغـــة العصـــر .

● وعودا على بدء ، فان للعقل حدودا . والا ، فكيف يعقـــل ان يكتب رجل كتابا ، ويضع نظرية ، ويفرضها او يأتي من بعده من يفرضها بالقوة والقمع كحل لجميع مشاكل البشر ، واتهام كل من يقول بغير ذلك بالعمالة والخيانة والرجعية والتخلف ، وأحيانا يؤدي الامر الى الحرمان والبطش وصنوف شتى من الاجرام التي يعف القلم عن وصفها ؟؟ .

هل يقول عاقـــل بذلـــك ؟ .

● اننا نعيش في عالم مفتوح .. لا يسمع فيه صوت لدعـــوات الانعزال والانغلاق والتقوقع باسم العقل والعقلانية ، والانسان والانسانية . وفي هذا الاطار ينشط العقل السوي ، وتزدهر الحضـــارة ، ويسعـــد ـ بالتالـــي ـ الانسان ...

ونعتقد ان الاسلام يتنفس في هذا الجو ... ويفرض وجوده في هذا الخضم المتلاطم من الافكار والمذاهب والايديولوجيات ... وهـــو فارض وجوده اليوم او غدا باذن الله .

دعوة الحق

الرسالة الملكية السامية

إلى حجاجنا الميامين

الحمــد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

حجاجنــا الميامـين :

تقتضي منا الامانة المقدسة التي نتحملها ان نتوجه اليكم اليــوم ـ وانتم على ابواب السفر الى البقاع المقدسة لاداء فريضة الحــج ـ بالنصيحة والتوجيه والدعاء ان يكمل الله سبحانه وتعالى نعمته عليكـم فيهيء لكم الاسباب لتتموا فريضة دينكم الخامسة وتؤدوا مناسكها على وجهها الشرعي الصحيح .

لقد كان الحجاج المغاربة على مر الدهور رسل خير وحملة فكـر وحضارة من المغرب الى المشرق ، وقوافل هداية تحمل معها فيما تحمل سجايا هذا الشعب الابي المؤمن ، وتقاليده المشرقة وعبقريته المستمدة اساسا من روح الاسلام وشريعته . فكان اخلاق هذا الدين الحنيف تاخذ شكلا جديدا مستخلصا من البيئة المغربية فيعرضه حجاجنا فى حلتــه البهية كاجلى ما تكون اشراقا ولمعانا واشعاعا وتاثيرا . وكذلـك كـان المغرب ولا يزال ـ والحمد لله ـ معقلا من معاقل الايمان ، وحصنا من حصون الجهاد ، ومنارا للعلوم والمعارف ، ورباطا من أربطة المقاومة ، ومصدرا للاشعاع الحضاري ، يرد الغزو ، ويحمي الديار ، ويلبي نـداء الاخوة فى المشرق ، ولا يبخل بالدم والمال والنفس والنفيس فى سبيل نصرة الحق والعدل والسلام وحماية بيضة الاسلام . فاقترن تاريخ هذه

البلاد بمواقف بطولية عظيمة خلدت اسمنا في العالمين . وما من مغربي يولي وجهه شطر المشرق حاجا او معتمرا او طالبا للعلم أو ضاربـا في الارض سعيا وراء الكسب والرزق ، الا وكانت الروح المغربية العربيـة الاسلامية في مقدمة ما يتزود به في رحلته ويحرص عليه حرصـه على متاعه ، ويتحلى به في المجالس والمنتديات ، فيكون ذلك من اسبـاب فوزه ، وعوامل تفوقه وذيوع صيته وبلوغ مرامه .

حجاجنـا الميامـين :

انكم مقبلون على موسم الطاعات والبركات ، فاغتنموها ما وسعكم ذلك ، واجعلوا من نبل تصرفاتكم ، وحسن معاملاتكم ، ودماثة اخلاقكـم واصالة بلدكم التي تصطبغون بها ، وسائل لبلوغ ما تنشدونه من أجر عند الله . لان الدين المعاملة ، والحج سلوك ، والعبادة طاعة وانقياد لتعاليم الله وشريعته الخالدة . فانقلوا عنا ـ معشر حجاجنا الكرام ـ تلـك الصورة الزاهية المشرقة التي عرفت بها بلادنا على مـدى العصـور ، واحرصوا ـ حفظكم الله ـ على ان تكونوا خير مبعوثين من خير بلـد . فبذلك ترفعون من شان بلدكم ، وتعلون من قدر وطنكـم ، وتحسنـون التبليغ ، وتؤدون الامانة على وجه يشرف اخوانكم وذويكم ، ويرضي الله تعالي ويشعر اخواننا باننا امـة مرابطة في ثغر من ثغور الاسلام لا نفرط ولا نستسلم ولا نذعن بالولاء لغير الله سبحانه وتعالى ودينه القويم .

واذا كان تداخل المصالح ، وتقارب سبل اللقاء ، قد جعل عالمنـا اليوم بمثابة قرية صغيرة ، لا يكاد يخفى من امرها شيء ، فان الله جـل جلاله ، جعل من امة الاسلام الحارس الامين على الارث الرباني بما التزمت به من دين ، واخذت به نفسها من سلوك طريق الحق والهداية والرشاد ، وجعل ـ سبحانه ـ من موسم الحج مناسبة للتذاكر في شؤون المسلمين ، وتدارس اوضاعهم ، وكانه مؤتمر لم يعد أو يدع له بشر ، وانما اعده ودعا اليه الله جلت قدرته ، حتى اذا ما صعب تلاقي المسلمين وبعدت فيما بينهم الشقة ، ودب فيهم الخلاف ، جمعهم الله تعالى مـن حيـث لا يحتسبون في ايام مفعمة باليمن ، مترعة بالسعد ، مليئـة بالخيـر ، يستجيب الله فيها الدعاء الصالح .

ولا يخفى عليكم ما عليه اليوم امر المسلمين من فرقة وتمـزق ، وضعف وخذلان ، وما صار اليه حالهم من جراء شيوع مذاهب وعقائد تنكر قيم الخير والفضيلة ، وتعادي الله ورسوله ، وتبث الحقد والبغضاء والضغينة ، وتنشر الخلاعة والفسوق والفجور ، لا في مجال السلوك والمعاملات فحسب ، ولكن في ميدان الفكر والثقافة والتعليم والاعلام ، الامر الذي يدعو اولي الامر في هذه الامة والصفوة المفكرة العاقلة الى استدراك الوضع ، والعمل على ترشيد مسيرة العالم الاسلامي ، بالحكمة والموعظة الحسنة والرحمة والمودة ، وببذل اقصى ما يمكن من جهد من أجل التصحيح والتقويم والتنوير والتوعية . حتى يستقيم امرنا ، ويصلـح

حالنا ، ونرقى الى مصاف المكانة العظمى التي ارادها الله لنا كخير أمة اخرجت للناس . فاذا لم يستحضر الحاج هذه المعاني فى ذهنه وتفيض على وجدانه ، ويتمثلها فى غدوه ورواحه ، ووطد العزم على العمل الخالص لوجه الله لما فيه أمن المسلمين وسلامهم ، حرم نعمة الاعتبار والاتعاظ ، وفاتته الحكمة المتوخاة من فريضة الحج .

حجاجنا الميامين :

تلك هي رسالة الحج . وان للحج لرسالة سامية ، وغاية عظيمة . وحقيق بالحجاج المغاربة ان يستوعبوها ويتمثلوها وياخذوا باوثق الاسباب الى ادائها والقيام بها على نحو يرضي الله ورسوله والمؤمنين . واعلموا اننا نجتاز مرحلة صعبة من مراحل كفاحنا الوطني من اجل تثبيت اسس الشورى الاسلامية والعدالة الاجتماعية من جهة ، والحفاظ على وحدتنا الترابية وسيادتنا الوطنية من جهة اخرى . فلقد ووجهنا بتحد استعاري رهيب لم يفد علينا من وراء البحار هذه المرة ، ولكنه وافانا من بني جلدتنا وجيراننا الاقربين ، فحق علينا ان نحتشد الجهود لرد العدوان وصد الهجوم ، احقاقا للحق وازهاقا للباطل واعلاء لكلمة الاسلام ودفاعا عن وجوده فى هذا الجناح من العالم الاسلامي ، وفى هذا الظرف العصيب من تاريخ امتنا المؤمنة . فوجب عليكم ان تكونوا على بصيرة وعلم ودراية من هذه التحديات والمعارك التي نخوضها ليل نهار ، وان تدعوا لنا بالنصر والتاييد والتمكين ، فان عملنا وجهادنا وجهودنا كلها منصرفة لخدمة الاسلام والمسلمين ، ونصرة الحق والعدل والسلام ، وانقاذ منطقتنا وقارتنا مما تستهدف له من تدمير وتخريب ، وتمزيق وتشتيت وتكفير وتنصير ، وتضليل وتزوير .

ولا نحسب ان المسلمين تعرضوا عبر تاريخهم الطويل لما يتعرضون له اليوم من غارات شرسة وهجمات وحشية ، تجتمع فيها كلمة الكفر ، وتتوحد فيها صفوف الشرك والبهتان .

هنيئا لكم بما خصكم الله به من نعمة ، واغدق عليكم من فضل ، وجعل الله حجكم مبرورا ، وسعيكم مشكورا ، ودعاءكم مقبولا ، واعادكم الى بلدكم واهليكم غانمين ظافرين فائزين برضا الله وقبوله ، مطمئنين آمنين . وما ذلك على الله بعزيز .

فلتحرسكم ـ وايانا ـ عناية الله وعينه التي لا تنام ، وليدم ـ سبحانه ـ علينا نعمة القبول والرضا واليقين ، ولينصرنا فى جهادنا الاكبر من أجل مغرب يرفل فى حلل الخير والرفاهية وياخذ بنواصي الاسلام ، وينصر كلمة الحق والعدل .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

في الدرس الديني القيم الذي توج به جلالة الملك الحسن الثاني الدروس الرمضانية :

أرى شخصياً أن أحسن نظام لتسيير شؤون المسلمين هو إما النظام الملكي الدستوري

أو النظام الجمهوري البرلماني المبني على الديمقراطية الحقة.

● تتبع الشعب المغربي خلال شهر رمضان المعظم سلسلة الدروس الحسنية التى القيت برحاب القصر الملكى العامر بالرباط امام حضرة امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثانى نصره الله · حيث اتيح له ان يلم بمعارف جديدة ويقف على اراء وتحليلات عميقة فى الثقافة الاسلامية من تفسير لكتاب الله عز وجل ونظر فى حديث رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم وتحليل لقضايا ومشاكل مختلفة تطرح نفسها فى الساحة الاسلامية وذلك من جهة نظر قرآنية حديثية ·

وقد تميزت الدروس الحسنية لهذه السنة والتى نقلتها كما هى العادة الاذاعة والتلفزة المغربية مباشرة بالدرس الدينى القيم الذى القاه جلالة الملك حفظه الله وشرح فيه الاية الكريمة « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الارحام ··· الاية » (وحديث جبريل عليه السلام والحديث الوارد فى فضائل الانصار ·) وقد القى جلالة العاهل الكريم نظرات ثاقبة فى الموضوع واستنبط من كتاب الله وحديث رسوله الكريم اراء سديدة ونتائج صائبة ابانت عن حصافة عقل امير المؤمنين وسعة علمه ومتانة تكوينه العربى الاسلامى وحسن تصرفه فى محصوله العلمى الغزير وقدرته على الجمع بين الاصالة والمعاصرة فى توافق وانسجام وتلاؤم ·

وكان قد افتتح سلسلة الدروس الحسنية الاستاذ عبد الله كنون امين عام رابطة علماء المغرب بدرس فى موضوع « هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة » ثم القى الدكتور فاروق النبهان درسا فى الثقافة الاسلامية والقى الدكتور الحبيب بلخوجة مفتى الديار التونسية درسا فى موضوع القصص القرآنى وقد وشح جلالة الملك صدر الشيخ الحبيب بلخوجة بوسام الكفاءة الفكرية وكان الدرس الرابع للاستاذ حماد الصقلى حول اتجاهات عموم الدعوة الاسلامية بينما القى الدرس الخامس الشيخ محمد متولى شعراوى وزير الاوقاف وشؤون الازهر الذى زار المغرب لاول مرة بدعوة كريمة من سيدنا المنصور بالله ·

ويسرنا ان ننشر فى هذا العدد النص الكامل للدرس الملكى القيم :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله اجمعين

« ان اصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وان شر الامور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار »

يقول الله سبحانه وتعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم : « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الارحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس باى ارض تموت » (صدق الله العظيم ٠)

كان فى امكانى ، وفى وسعى ان لا اقوم باى حديث فى هذا الشهر المبارك ، كما كان فى وسعى أن اختار آية غير هذه الآية ، ولكن ، ارتأيت ان ادلو بدلوى ، حتى اجعل شباب جيلى والشباب المقبل موقنين ومؤمنين بأن الازدواج او التثليث فى اللغة ، والتثقيف والتكوين لن يكون عرقلة بين المسلم والمعرفة ، بل سيكون جسرا يمكن لطالب العلم ان يسير عليه آمنا من الزلل مطمئنا بعون الله وقدرته على معرفته وحسن معرفته ٠

ان فضيلة شيخنا الاستاذ بلخوجة حينما تفضل وقرا امامنا درسه فى فن القصص فى القرآن بدا درسه بما يأتى وقال او كما قال :

« ان الديانات القديمة ، الديانات الوثنية التى لا تعتمد على برهان ولا على منطق ولا على فلسفة كانت دائما تعتمد على الاجبار اولا ثم على المغيبات او على المبهمات ثانيا وكانت تستعمل المغيبات والمبهمات لتسيطر على الانسان وتستحوذ على طاقته النقدية ، حتى يصير مسيرا لا مخيرا ، وحتى يصبح بتلك الديانة او تلك المعتقدات عبدا لا حرا »

وانى وانا اقرا كتاب الله وقفت على هذه الآيات ، فصرت انظر فيها وابحث هل فيها مغيبات ؟ هل فيها مبهمات ؟ هل فيها ما يجعلنا اسارى ام فيها ما يجعلنا طلقاء احرارا ، وحينما تتبعتها ورايت مبناها توصلت — وارجو الله ان اكون قد توصلت — الى فهم معناها ٠

وان الله سبحانه وتعالى يقول : «ان الله عنده علم الساعة ثم «وينزل الغيث» ، ثم «ويعلم ما فى الارحام» ثم «وما تدرى نفس ما ذا كسبت غدا» ثم «وما تدرى نفس بأى ارض تموت»

فالمبنى الاول هو : ان الله عنده علم الساعة، فيه حرف تأكيد ، وفيه معنى العندية والاستئثار ٠

فعلم الساعة بيد الله سبحانه وتعالى ، وان كان الله حتى فى هذه الآية فتح لنا ابوابا حتى يمكننا ان لا نقع فى ساعات بشرية والتى هى بيدنا فى انتظار الساعة الكبرى ، الساعة الكونية ٠

واريد قبل أن ادخل فى تفسير هذه الآية ان اسرد عليكم الحديث الذى جاء به جبريل عليه السلام والذى رواه الخليفة مولانا وسيدنا عمر بن الخطاب :

« روى الشيخان رضى الله عنهما عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب كثيف سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا احد فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وجلس واسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه ٠٠٠ »

هذا رجل اجنبى ، لا يعرفه احد ويتطاول فيسند ركبته الى ركبتى النبى صلى الله عليه وسلم هذا يوحى لى انه من باب القبض فى الصلاة باب وضع التيار الكهربائى بين الرسول والمرسول اليه ففى الحقيقة حينما كان جبريل عليه السلام ، يسأل النبى صلى الله عليه وسلم ، اعتقد انه كان فى آن واحد يسأله ويوحى اليه الاجوبة ، وقال : يا محمد اخبرنى عن الاسلام : قال عليه الصلاة والسلام : شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان ، قال صدقت قال فأخبرنى عن الايمان قال عليه الصلاة والسلام ان تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وان تومن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره ، قال صدقت قال : فاخبرنى عن الاحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك قال : صدقت قال عمر بن الخطاب: فعجبنا له يساله ويصدقه ثم قال : يا محمد اخبرنى عن الساعة ، قال عليه الصلاة والسلام : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ثم انصرف فقال عليه الصلاة

والسلام : اتدرون من السائل قالوا : الله ورسوله اعلم ، قال ، : ذاك جبريل جاءكم يعلمكم امر دينكم»

وفي رواية اخرى من الحديث يضيف جبريل : فاخبرني عن علاماتها فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: : أن تطلع الشمس من مغربها ، وان تلد الامة ربتها ، وان ترى الحفاة العراة، يتطاولون في البنيان او كما قال عليه السلام ، وبعلامات الساعة المذكورة هنا ، نرى ان الله سبحانه وتعالى صنف الساعة اصنافا ، فهناك الساعة الاجتماعية والاخلاقية وهناك الساعة السياسية وهناك الساعة الكونية. فالساعة الاخلاقية والاجتماعية هي ان تلد الامة ربتها فتنعدم المقاييس وتنعدم الموازين ، وتفسد الديار وتتخرب البيوتات وهذا بيدنا وبوسعنا ان نصلحه وان لا نقع في الساعة الاخلاقية ، وهناك الساعة السياسية وهي ان يقلد الناس غير المؤهلين ، ان يقلدوا ، امر المسلمين والدليل على هذا ان هناك احاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب فقد قال : اذا اسندت الامور الى غير اهلها فانتظر الساعة وقال : « اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة » فالساعة السياسية هي ان تسند الامور الى غير اهلها .

لذا ارى شخصيا ان احسن نظام لتسيير شؤون المسلمين هو اما النظام الملكي الدستوري او النظام الجمهوري البرلماني المبني على الديمقراطية الحقة ، ذلك لان في كلا النظامين نرى ان التكوين المهني مضمون بالنسبة لمن سيسوس امور المسلمين فالامراء واولياء العهد يربون بجانب والديهم ويلقنون دروسا في تسيير الامور ويسيرون في ظل والدهم ويكونون بمثابة الوزير والمعين والمقاسم للسراء والضراء واما الذين ارتقوا مدارج الحكم في الديمقراطية الحقة البرلمانية فانهم يبتدئون اولا بشهادات عليا ثم يلتحقون بديوان وزير ثم يرشحون انفسهم للانتخابات ثم حينما ينتخبون يمارسون تسيير الامور كمشرعين ومستشارين فاذا هم وصلوا الى القمة والى درجة الحكم والتشريع كانوا هم كذلك قد هيئوا من ناحية التكوين المهني فاذا — لا قدر الله — اسند الامر الى غير اهله اولئك الذين لا يعرفون معنى الامانة يضيعون الامانة ، والحديثان هنا اخوان توامان ، فانتظر الساعة السياسية : عدم الاطمئنان، الفتن ، الحروب . وجميع المصائب وقانا الله شرها .

وهناك الساعة الكونية تلك الساعة التي نرى فيها الشمس تطلع من مغربها اذ ذاك اظن انها هي الساعة التي يريد بها الله ان العالم قد انتضى وان الحياة قد طويت على هذه الكرة الارضية لا في جميع المعمور لان الله سبحانه وتعالى خلق سماوات واراضي .

فاذن حتى في هذه الآية الاولى التي وقف الله سبحانه وتعالى علم الساعة لنفسه اعطانا الوسيلة لنبحث الساعات البشرية التي بيدنا اما ان نخلقها او نتجنبها الساعة الاخلاقية والاجتماعية والساعة السياسية تاركا لنفسه سبحانه وتعالى ان يفني هذه الارض وهذا الكون حينما يريد .

اذن ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث لم يقل سبحانه وتعالى : لا ينزل الغيث الا هو والدليل على هذا انه منذ سنين واعوام اكتشف العلماء والباحثون مدافع خاصة ترد الضباب الذي يحمل معه البرد . فالسحب التي تحمل البرد معروفة بلونها وتكون سوداء . معروفة بشكلها وتكون مستطيلة في غالب الاحيان ، ويمكن للانسان منذ سنين ان يضربها بمدافع خاصة ، تكون تلك المدافع، مدافع كيماوية وتجعل ذلك السحاب الذي كان سياتي بالدمار وبالخسران يتشتت فلا برد ولا ضرر واحسن من هذا ، الكل يعلم الآن ان الدول العظمى سائرة في البحث وفي وضع احسن القواعد للحرب الطقسية او الميترولوجية فبالامكان الآن ان نجعل من ارض خصبة صحراء ويمكن الآن ان نحول الرياح اللواقح ، الرياح الحاملة للمطر ان نحولها عن مجراها الطبيعي وان نجعل ارضا من الاراضي التي كانت جنة وخصبة لا تعرف المطر ولا تعرف الغنى ومن المعلوم اننا يمكننا كذلك اليوم ان نسلط الريح لا الرياح ، الريح التي لا تبقي ولا تذر حتى تصبح تلك الارض المطمئنة الآمنة غارقة تحت المياه .

وهكذا تنزيل الغيث هو بيد الله سبحانه وتعالى ولا يمكن لله سبحانه وتعالى ان ينزل الا الغيث لانه لم يعود عباده الا الخير ، وحتى اذا جازف في ذلك الغيث او جازف في منع ذلك الغيث انما يكون درسا ذا جلال يتبعه الجمال .

والمطر حقيقة شيء ضروري للحياة ، وهنا نريد ان نلمح في حديثنا شيئا ما لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد ان يضيف المتحدث بعض الملح .

« يقول شكسبير في نوع بعض الامطار : لو كانت دموع النساء تخصب الارض ، لانبتت الملايير من التماسيح » : بحيث نرى ان الله سبحانه وتعالى حينما قال : ينزل الغيث ، لم يقل . لا ينزله الا هو .

ويعلم ما في الارحام ، وصل العلم الحديث اليوم سواء في امريكا او في الصين بعد مضي شهرين من الحمل الى معرفة هل المراة في جنيتها ولد ام في جنينها بنت ، فعند الامريكان يستعملون وسيلة فيأخذون شيئا ما من غشاء الجنين شيئا ما من السائل المنوي فيحللونه ويعرفون بذلك هل في بطن المراة ذكرا او انثى ونسبة الحقيقة عندهم 85 في المائة .

اما الصينيون فقد وصلوا الى 95 في المائة من اليقين والحقيقة ، باستعمال طريقة اخرى وهي انهم يأخذون شيئا ما من ماء السائل الذي في فرج المراة لا في جنينها فيحللونه ويعرفون بذلك هل المراة حامل بذكر ام بأنثى ، وزاد الامريكان اكثر من هذا : في بعض الولايات جعلوا الاجهاض حلالا فيما اذا اتفق الاب مع الام بعدما علموا ان في بطن الام ولدا وهو يريد بنتا جعلوا الاجهاض حلالا محللا في مستشفياتهم .

وهذا نوع من البحث وميدان من المذاكرة والمناقشة ربما سيكون من فم طبيب افصح واوضح مما هو من فمي . المهم ان العلم والاحصائيات والتجربة والتحليلات كلها تعطينا : ان الله سبحانه وتعالى يعلم ما في الارحام ولكن بتكريمه لابن آدم وباعطائه سلطان العلم ولمعرفة جعله يقاسمه علمه بما في بطن الامهات .

وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، اعتقد شخصيا ان الكسب هنا ليس الكسب بمعنى الرزق بل معنى الاتيان ، بالعمل الصالح او بالعمل الطالح ، ولو كان هنا الكسب المادي هو المعنى بالامر لاصبحنا اليوم في اضراب مستمر من لدن الموظفين ، حيث انهم لم يكونوا متيقنين من انهم سيأخذون اجرتهم في آخر كل شهر ، بل لما تمكنا من التخطيط لثلاث سنوات او اربع سنوات ، اعتقد هنا ان الكسب هو بمعنى العمل ذلك اننا حينما نصبح لا نعرف هل سنلاقي من الظروف او سنلاقي من الاحداث ما سيجعلنا في يومنا مجرمين اما بقتل روح متعمدين بقتلها بكيفية متعمدة ، حينما نصبح لا نعلم هل سنأتي بكبيرة من الكبائر او بفاحشة من الفواحش ، والدليل على هذا الحديث النبوي الشريف حينما قال النبي صلى الله عليه وسلم وكم يعجبني هذا الحديث « لن يدخلن الجنة احدكم بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال : ولا انا الى ان يتغمدني الله برحمته فهذا يجعلنا نعتقد ان الكسب وما تدري نفس ماذا تكسب غدا لان بعدها الموت وما تدري النفس باي ارض تموت الكسب هو كسب العمل الصالح او كسب العمل الطالح نعم : هناك انواع من الكسب تساير المقارنة يمكنها ان تدخل في هذا الصنف مثلا : الرجل الذي يضارب في البورصة ويمكنه بين عشية وضحاها ان يصبح فقيرا تماما او يصبح غنيا ولكن هذا النوع من الكسب هو اولا نوع استثنائي ولا يتعاطى له الا من لهم سواعد مالية وعضلات يمكنها أن تتحمل النكبات وتتحمل جميع الازمات الاقتصادية او المالية على الصعيد العالمي أما الكسب الوارد في الآية الكريمة فحينما يقول الله سبحانه وتعالى :

— لا تعرفون ماذا تكسبون غدا اي ماذا تكسبون من عمل صالح او عمل طالح فحين نصبح لا نعرف هل سنأتي بتقليل الحسنة التي تجعلنا في ظل الله سبحانه وتعالى يوم لا ظل الا ظله ام سنبوء والعياذ بالله بارتكاب فاحشة او كبيرة من الكبائر ، وما تدري نفس بأي ارض تموت ما تدري نفس بأي ارض تموت فعلا كانت في أيام النبي صلى الله عليه وسلم مستحيلة ، واصبحت اليوم مستحيلة تماما ونهائيا كما كان في أيام النبي صلى الله عليه وسلم كان الانسان حينما يريد السفر يقول : انا سأذهب من المغرب الى المشرق ويعرف ان هناك أمامه ثلاثة اشهر أو اربعة ، فكان يمكن أن يتنبأ ان لا يمكن ان تدركه المنون في بلاد المغرب دون تحديد لليبيا أو تونس أو الجزائر أو المغرب وفي السفر على الابل أو على المطايا اذا كان قاصدا بلاد الفرس لا يعرف بأي أرض يموت .

اما اليوم ونحن نطير في الطائرة لا يمكننا ان نعلم بأي أرض سنموت ، السرعة تجعلنا نجهل تماما مقام موتنا ، ولكن هناك استثناء ، هناك

استثناء أراده الله سبحانه وتعالى لخليله ومصطفاه ورسوله فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم للانصار :

« يا معشر الانصار المحيا محياكم والممات مماتكم » وهذه معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم ما اظن أنها وردت فى كتاب من الكتب التى قراتها ؛ هذا الحديث هو مجموعة من الاحاديث اردت ان يسرد أمامكم كلا لا مجزأ لانه هكذا كان يسرده شيخ الجماعة واستاذ الاصالة ووزير الدولة الاستاذ الفقيه الشيخ شعيب الدكالى رحمه الله ونفعنا ببركاته :

« الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، ونعوذ بالله من من شرور انفسنا ، ومن سيئات اعمالنا ، من يهديه الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادى له . ان أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

اما بعد :

فقد روى ائمة الحديث رضوان الله عليهم فيما ورد فى فضل الانصار ، عن ابى سعيد الخذرى وعن أبى هريرة وعن جابر ابن عبد الله وعن غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم وارضاهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بلغه انه لما أعطى ما اعطى لقريش وقبائل العرب ، ولم يعط الانصار شيئا كثرت فيهم القالة حتى قال بعضهم : ما بال رسول الله يعطى قريشا ويدعنا وان سيوفنا لتقطر من دمائهم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجتمعوا فى قبة آدم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال — وكأنه صلى الله عليه وسلم فى عتابه هذا يتكلم بجلال لانه يعاتب الانصار ويواخذهم ثم قال : يا معشر الانصار ما حدث بلغنى عنكم ، قالوا : كبارنا وذوو الراى فينا فلم يقولوا شيئا ، وأما صغارنا فقالوا : ما بال رسول الله يعطى قريشا ويدعنا وأن سيوفنا لتقطر من دمائهم .

فقال رسول الله صلى الله عله وسلم — هذا هو العتاب — : يا معشر الانصار الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى ، وعالة فاغناكم الله ، واعداء فألف بين قلوبكم ، قالوا : الله ورسوله امن وافضل ثم قال : يا معشر الانصار والله انى لاعطى الرجل وغيره احب الى منه اتألفه على الاسلام ، يا معشر الانصار اما لو شئتم لقلتم اتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فاويناك ، وعائلا فواسيناك ، ثم قال صلى الله عليه وسلم يكثر الناس وتقلون حتى تصيروا كالملح فى الطعام ، يا معشر الانصار ستصيبكم بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض ، الا ترضون يا معشر الانصار أن يرجع الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله تضمونه الى رحالكم ، والذى نفس محمد بيده انه لولا الهجرة لكنت امرءا من الانصار ولو سلك الناس شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار .

ويزيد الحديث فبكى القوم كثيرا حتى اخضلت لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا ، ثم قال صلى الله عليه وسلم وهو يبتسم لهم ويواسيهم ويقول لهم : يا معشر الانصار المحيا محياكم والممات مماتكم ، وهذه من المعجزات الخفية التى اعطاها الله سبحانه وتعالى لنبيه وخصه بها حيث انه جعله يعلم أن محياه بين الانصار وموته بين الانصار ، فلو قالها غير النبى صلى الله عليه وسلم لقلنا انها ديماغوجية لقلنا أن هذا صنف من أصناف جبر الخواطر ، ومسح الدموع والاخذ بالعاطفة ولكن قولة النبى صلى الله عليه وسلم هى القولة الحق، فلا يمكن أن يتصور اى احد أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قال هذه القولة للاخذ بخاطر الناس او لجبر ما انكسر فيهم بعد العتاب الشديد القاسى الذى عاتبهم به .

حضرات السادة :

هذا ما كنت اريد ان اقوله وان افسره كما اراه وكما افهمه من هذه الآية القرآنية نعم كان

فى الامكان ان يكون الحديث اطول ، لو كان الحديث من طرف ممتهن لهذه المهنة ومتدرب على الاتيان بتفاسير فى الحديث والقرآن وارجو الله سبحانه وتعالى أن لا اكون قد اخطأت او جازفت فى تفسيراتى ، ارجو الله ان لا يرى فى مشاركتى اياكم فى هذه المحاضرات والدروس الدينية ان لا يرى فى مشاركتى اياكم الا تعبيرا صادقا على ما تلدنى سبحانه وتعالى من حفظ لامانة المسلمين الامانة الدينية والروحية ، فلا يعقل أن يكون انسانا يميز بين الصالح والطالح بين الحلال والحرام أن يكون انسانا يميز هذا التمييز مقلدا بلقب امارة المؤمنين دون ان يظهر ولو القدر القليل ، أن يظهر ما اعطاه الله من فهم وما وهبه من تعلق قبل كل شىء بكتاب الله وسنة رسوله ذلك ان سنة جدى صلى الله عليه وسلم ، هى تلك المحجة البيضاء ، تلك المحجة البيضاء التى كلما ادلهمت علينا الظروف ، وكلما اظلمت الاجواء كفانا أن ننظر بعين الحق لا بعين الباطل ، بعين الله لا بعين الشيطان ، أن ننظر الى تلك المحجة فنسير على تلك المحجة البيضاء حتى لا تختلط علينا السبل وحتى لا نتيه بين الطرق.

فالله سبحانه وتعالى نسأل أن يجعلنا دائما على تلك المحجة البيضاء ، ونرجوه سبحانه وتعالى أن يزيدنا تشبثا بمبادىء الاسلام وباخلاق الاسلام، فاذا تشبثنا بهذا تجنبنا الساعة الخلقية ، واذا تشبثنا بتعاليم الاسلام وتشبثنا باوامر النبى صلى الله عليه وسلم ، كنا اهل ضمير مهنى لا نتسلط على المسؤوليات ولا ندخل البيوت من غير ابوابها، بل لا نقبل من المسؤوليات الا ما نشعر اننا قادرون على تحمله والاتيان به على احسن وجه، ان الله سبحانه وتعالى قال : ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يوتكم خيرا ، فانا دائما اتشبث بهذه الآية ، وهى التى تجعلنى اعتقد ان الله سبحانه وتعالى الزم نفسه وشرط على نفسه ان يأتينى خيرا كلما راى فى قلبى خيرا .

والخير الذى يمكن الله ان ياتى به اعظم واكبر واجسم من الخير الصغير المتواضع الذى يمكنه ان يعلمه فى قلبى وانا ارجوه والح عليه لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : ان الله يحب العبد الملحاح ، ان الله يحب العبد الملحاح .

واحسن دعاء يمكننا ان نختتم به الدروس الحسنية هو ان نرجو الله سبحانه وتعالى أن يديم علينا رضا والدنا رحمة الله عليه .

فرضى الوالدين يبقى محيطا بأبنائهم احياء كانوا ام امواتا وربما كان رضاهم وهم بجانب الصديقين والشهداء اقوى وامتن واعمق واكثر فاللهم ارحم والدنا محمد الخامس اللهم جازه عنا خير الجزاء اللهم انك تعلم انه كان لا يرى اى ملاذ الا فى القرآن ولا يرى اية حماية الا فى حمايتك ولا يرى اى حليف الا فى حلف جده ورسولك .

اللهم ببركة النبى صلى الله عليه وسلم وببركة كتابك وبجاهك القدسى امطر عليه شآبيب رحمتك واجعله آمنا مطمئنا بجانب من تحب .

وانا شخصيا وكلنا معتقدون انه رحمه الله لن يخاف يوم القيامة لانه جمعت فيه الخصال السبع التى تروى فى الحديث ان من كانت فيه واحدة اظله الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله فكان اماما عادلا ، وكان رجلا قلبه معلق بالمساجد وكان شابا نشأ فى عبادة الله ، وكان يتصدق ، وكان ولله الحمد فيه جميع الخصال التي وصفها الحديث ، وكان اذا سمع كلام الله دمعت عيناه واحسن الختام هو ختامنا بختم صحيح للامام البخارى .

• لانقبل نظاماً مخالفاً للنظام المغربي والموريتاني يلصق بجنوب المغرب

• المغاربة ورثة التاريخ فلنكن في مستوى ما كتبه آباؤنا من تاريخ

* أكد جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في خطاب 20 غشت بمناسبة مرور ربع قرن على ثورة الملك والشعب أن موريطانيا الشقيقة متشبثة بعهودها ومعاهداتها مع المغرب · وبذلك وضع جلالة الملك حدا لحرب نفسية طاحنة شنتها أجهزة الاعلام المعادية للسلام والامن في منطقة المغرب العربي ·

ونزل الخطاب الملكي السامي بهذه المناسبة التاريخية بردا وسلاما على قلوب المغاربة اجمعين · كما تقبله اخواننا في موريطانيا قبولا حسنا وراوا فيه تاكيدا قاطعا على سياسة الاستمرار والوفاء للمثل والقيم المشتركة بين الشعبين الشقيقين ·

كما عودنا جلالة العاهل دائما في كل مناسبة وظرف ، فقد حرص حفظه الله ان يربط بين الماضي والحاضر مبرزا الاساس الاسلامي الراسخ الذي تقوم عليه سياستنا الرشيدة منذ اقدم العصور ومؤكدا في نفس الوقت عزم جلالته على الاستمرار بنفس الحماس الاسلامي الكبير على طريق آبائه واجداده الميامين ·

وفيما يلي الخطاب الملكي السامي :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

«او مخرجيهم» كانت هي الصيحة التي خرجت من فم ومن قلب النبي صلى الله عليه وسلم حيثما قال له ورقة ابن نوفل « ان قومك سيخرجونك »

« أو مخرجيهم » وما فيها من بلاغة تجهل البلاغة او تتجاهلها ، « او مخرجيهم » وما فيها من

انسانية وبشرية ثم بعد ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم « يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يميني والقمر فى يساري على أن اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك دونه ما تركته »

قولتان : قولة تعطينا ما احس به النبي صلى الله عليه وسلم من جسامة ومن قساوة التضحية ، وقولة أخرى تعطينا القدر والحجم الذى اعطاهما النبى صلى الله عليه وسلم للامانة : امانة تضحية جهاد فوز .

وكنت افكر فى هذه المعاني وحاولت ان اطبقها على تاريخ هذه البلاد منذ أن دخلها الاسلام فوجدت آية تقول :

« وما كنا لنعذبهم وانت فيهم »

وانت فيهم باخلاقك ، أخلاق المواطن الصالح ، وانت فيهم بفضيلتك كقائد وكمخطط وكمرشد ، وانت فيهم بوطنيتك ومدرستك الوطنية .

وتاريخ المغرب اظهر لنا وابان لنا انه منذ ان دخل الاسلام وتخلقنا بخلق النبى صلى الله عليه وسلم وجعلناه كانه فينا ، فى اسرتنا ، فى حكمنا فى مجالسنا ، فى سلوكنا السياسى ، ما دام فينا ما دام الله لا يريد ولا يقبل ان يعذبنا .

وهكذا كلما جاءت نكبة أو مرت بنا مصيبة الا وكانت درسا قبل أن تكون عقوبة وهذا الدرس علينا أن نجعله دائما نصب اعيننا حتى نخلف لابنائنا فى جملة ما نخلف تلك الاخلاق التى تزين بها النبى صلى الله عليه وسلم كلب ، كقائد ، كمرشد ، كسياسى كمجاهد كمحارب ، «وما كنا لنعذبهم وانت فيهم » .

— شعبى العزيز :

فى مثل هذا اليوم وقع ما وقع ولست فى حاجة الى التذكير ، ومنذ وقع ما وقع والمغرب والله الحمد لم يعرف سكونا ولا جمودا ، بل وجد وجودا وسكينة .

نعم — كان علينا من جملة ما كان علينا منذ ان رجع محمد الخامس طيب الله ثراه من منفاه ، كان علينا ان تبنى المغرب الجديد ، فبنيناه رغم ما لاقيناه من صعوبات ورغم ما اتيناه من غلطات ، ولكن ، الخير فى الواقع ونحمد الله سبحانه وتعالى على الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى يوجد عليها بلدنا العزيز .

ان علينا شعبى العزيز ، ان نكون بارين بقسمنا . ففى السنة التى مضت ، اقسمنا جميعا مشرعين ، ناخبين ، ومنتخبين ، اقسمنا ان نكون الابناء البررة لهذه الدولة ، اقسمنا ان نكون المستشارين والوزراء والمعينين والمواطنين الصالحين لهذا الوطن ، اقسمنا ان نعمل صباح مساء على تخطيط السياسة محلية كانت اوجهوية او وطنية ، اخذنا على عاتقنا ان نساهم بما اتانا الدستور كل فى دائرته ، ما اتانا الدستور ان نساهم فى بناء المغرب الجديد ، واننا ونحن على عتبة الدخول البرلمانى ، نريد ان نهيب بكم ان تستعدوا منذ الآن شعبى العزيز ، ناخبين ومنتخبين ، لتخطيط السياسة الاجتماعية والمالية والاقتصادية لبلدنا لمدة سنة ، واعلموا وفقكم الله يا ابنائي ان التخطيط لسنة ، فى العصر الذي نعيش فيه . اذا كان منحرفا وغير محكم من شانه ان يجر على بلدنا اتبع النتائج لمدة سنوات ، اننا مقبلون على تخطيط ثلاثى ، على خطة ادبية وادارية ، ادبية ، علينا جميعا ان نفهم لماذا وضعنا التخطيط الثلاثى . علينا جميعا من وضعه ، ومن كتبه ومن سطره ومن جسده ارقاما ومن سمعه وفهمه ومن كلف بتطبيق بعض مقتضياته ، ريثما يقول البرلمان كلمته فى هذا الموضوع .

اننى احس ان ربما بعض الناس لم يصلوا الى الان ، للفهم العميق لما اردناه من خطتنا الثلاثية، ربما اعتقدوا انها كانت عملية سياسية او استراتيجية ، او ربما لم يعطوها الثقل والوزن والحجم الذى نريده لها فاننى اناشد الله الجميع احزابا كانت ام هيئات ، افرادا كانوا أم جماعات ان يكونوا متأهبين ، مستعدين ابتداء من خروج شهر رمضان للتفكير لمن عليه ان يفكر ، للتنظيم لمن عليه ان ينظم ، للتخطيط لمن عليهأن يخطط .

ان القلب الغيور لتاكله النار اكلا اذا ما راى ان الوسائل موجودة ، والادمغة متوفرة ، والانظمة ثابتة ، والمعطيات الدستورية مستعدة فيرى بيتا هائلا جميلا من أجمل البيوت لأحسن الشعوب ،

واقول لاحسن الشعوب ان القلب لتأكله الغيرة وتحرقه شبرا شبرا اذا ما احس ان الجميع ليس فى مستوى المسيرة التى نحن قررنا ان نسير بيلدنا فيها ، مسيرة تقتضى منا جهدا متواصلا . لان مشاكلنا ليست مشاكل داخلية فقط ، بل مشاكلنا تحيط بها وتحيط بها بكيفية قريبة جدا كالساق بالساق مشاكل خارجية ، هى بنفسها وليدة لمشاكل اخرى .

فاذا نحن وجدنا انفسنا ملزمين بمواجهة المشاكل الخارجية والتى ليست فى مستوى البلد ولا البلدين ، ولا فى مستوى حتى الجهة اذا ما نحن اردنا ان نواجه هذه المشاكل ولم نكن متأهبين فى الداخل من ناحية اقتصادنا ، من ناحية ميزانيتنا ، ومن ناحية ادمغتنا ، اقول لكم : ان تضحية عشرين سنة سوف تذهب سدى وان ما علمنا الله من جميل، من شانه ان ينعكس علينا بما لا تحمد عقباه .

قلت لك ، شعبى العزيز ، أن الاحداث تسير بسرعة ، وما كنا نظن منذ شهر مضى ، ان احداثا مهمة جدا ستجرى بجارتنا واختنا موريتانيا ، وكلكم يعلم انعكاسات تلك المشاكل على بلدنا ، وعلى وطننا . فعلينا اذن زيادة على القيام بالواجب نحو بلدنا أن نكون قادرين على القيام بما التزمنا به نحو جارتنا وحليفتنا وصديقتنا ، فقد التزم المغرب لموريتانيا ، بقطع النظر عن حكامها ، لان المسألة مسالة داخلية ، التزم المغرب لموريتانيا أن يكون حليفا لها ، معنى هذا أن يقاسمها السراء والضراء تلك الضراء التى ليست كلمة فارغة ، تلك الضراء التى تتجسم فى مال يدفع فى اساتذة يرسلون ، فى اطباء ، فى ديبلوماسية متحركة ، فى جيش واقف متاهب ، واقف دائما لاعانة حليفتنا والوقوف بجانبها .

قيل الكثير ، وقيل الكثير ، ولو لم تكن فرصة عشرين غشت ، شعبى العزيز ، لكنت خاطبتك فى موضوع موريتانيا والمصير الموريتانى ، ذلك انتى، ولله الحمد ، كعادتى وعادتك ، بيننا روابط وصلات لا ترى ولكن هى موجودة وانا اشعر صباح مساء على ان بالك مشغول وفؤادك مروع فيما يخص هذه المشكلة ، اريد قبل كل شىء ، شعبى العزيز ، ان اقول لك ما اعرف سوف لا اخفى عليك شيئا ، اقول لك ما اعلم : اننى اعرف واعلم ، لانه قيل لى وكتب لى رسميا من طرف المسؤولين الموريتانيين ، ان موريتانيا لا زالت متشبثة بعهودها ومعاهداتها بالنسبة للمغرب .

اقول لك ، شعبى العزيز ، ان المسؤولين الموريتانيين لا ينوون تقديم رجل او تاخير اخرى الا باستشارة وتنسيق تام مع المغرب اذن من هذه الناحية شعبى العزيز ، عليك ان تطمئن ، ولكن علينا ان لا نقف هذا ، علينا ان نسير شيئا ما بتفكيرنا ومنطقنا ما هو واقع فى المغرب ، ليس ما هو واقع فى موريتانيا موريتانيا لها مشاكلها بالنسبة للصحراء التى استرجعتها وبالنسبة للمعارضين الذين دخلوا فى صفوف البوليساريو، نحن بالنسبة للمغرب ليست لنا هاته المشكلة ، فعلينا اذن اذا ما اختارت موريتانيا طريقا من الطرق ان نكون بجانبها ، شريطة — وهذا شىء يعرفه الخاص والعام — شريطة ان لا يكون حل مشاكلها يمس بنقطة من النقطتين الاتيتين :

1 — الا يمس بشبر من الارض المغربية .

2 — وشريطة الا يجعل حدودا اجنبية بين حدود المغرب وموريتانيا .

بكيفية ادق واوضح : المغرب لا مشكل له لا يطالب بشىء ، ولا يمكن ان يعطى اى شىء ، ولكن هو فى داخل هذا النطاق مع موريتانيا ، اينما ارادت ان تسير ، المغرب له حدود مع موريتانيا لا يريد ان تفصله حدود غير الحدود الموريتانية المغربية ، بحيث موقفنا واضح ، واوضحناه لاخواننا الموريتانيين ، واوضحناه لوزرائنا وضباطنا، واوضحناه لبعض الاصدقاء من رؤساء الدول ، كان علينا ان نوضحه لك — شعبى العزيز — ونوضحه للعالم بواسطة هذه الشاشة ، وبواسطة الاذاعة.

اننى اقول لاخواننا فى موريتانيا : اياكم واياكم ان تنطوى عليكم الحيلة ، فالذين هم يتوددون الآن اليكم ، هم الذين خلقوا ومولوا ودربوا وسلحوا من كانوا بالامس يقتلون اولادكم وابناءكم ولا يحترمون اعراضكم .

الآن وانتم تعرفون ، لكم حرية الاختيار ، لان موريتانيا دولة ذات سيادة ودولة ذات استقلال ،

ولكن ان تعين الظروف ــ لا أقول موريتانيا ــ تعين الظروف. ان يلصق بجنوب المغرب نظام مخالف فى مذهبه وفى فلسفته ، مخالف للنظام المغربى وللنظام الموريتانى ، هذا شىء لا يمكن أن تقبله لا موريتانيا ولا المغرب ، واذ ذاك ستجد الدولتان نفسهما ملتزمتين بما بينهما من معاهدات للقيام بما عليهما من واجبات ، ومع هذا نحن لا نريد الا السلم فى هذه المنطقة .

ونريد ان نرد على دولتين لم تقفا بجانب المغرب ، دائما بما كان منتظرا منهما من موقف النزاهة وحتى موقف الانسان الذى لا يريد التناقض مع نفسه .

فنقول للاولى وهى البعيدة عنا والتى لا زال رئيسها يدين للرئيس عبد الناصر رحمه الله بالتقدير ، نقول له كنت آنذاك وليا للعهد فى سنة الف وتسعمائة وست وخمسين حينما القى الرئيس عبد الناصر خطابه بتأميم القناة وكنت اذ ذاك لابسا اللباس العسكرى ممثلا لوالدى رحمة الله عليه ، وممثلا للقوات المسلحة الملكية ، وقال اذ ذاك عبد الناصر الكلمة الآتية ــ وكررها سبع مرات ــ : «نحن نحارب من يحاربنا ونسالم من يسالمنا » .

فعليك انت الذى نصبت نفسك خليفة ووليا لعهد عبد الناصر ان تتبع على الاقل هذا المبدأ وتفهم ان المغرب من واجبه كذلك أن يسالم من يسالمه ، وان يحارب من يحاربه .

واقول للدولة الثانية : مرارا سمعت رئيسك يقول : «بلادى فى راحة وسعة فى حدودها» وحتى انا كذلك ، بلادى فى راحة وسعادة فى حدودها فلا يجران احد عليها لان بلادى تحب الراحة وتحب الاطمئنان ولكن فيما اذا وقع ما وقع ستتخذ بلادى ما ستتخذ .

كلماتى هاته لست تهديدا ابدا ، وان تربيتى واخلاقى تمنعنى من التهديد ، لا لا لا يمكننى ابدا ان اهدد رئيس دولة كيفما كان ، بل من حقى ان اذكره ان ما يجرى على المثل يجرى على المماثل ــ هذه قاعدة نحوية ــ انت تحب أن تسالم من يسالمك وتحارب من يحاربك، طيب ، هذه قاعدة تجرى عليك وتجرى على وانت تجد نفسك فى راحة وسعة داخل حدودك ، فكذلك انا اجد الراحة والسعة داخل حدودى ، فاذا كنا مؤمنين حقيقة علينا ان نطبق هذا الحديث «لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه» .

اذن شعبى العزيز ، عشرين غشت التى نحن فيها ليست كما سبقها من مثل هذه الاحتفالات بذكرى عشرين غشت ، اعتقد شخصيا أن عشرين غشت الف وتسعمائة وثمانية وسبعين هى عشرين غشت المسؤولية ، هى ذكرى المسؤولية والمسؤولية هى الوعى . نعم العبء ثقيل ولا يعلم هذا بعد الله الا خديمكم هذا لانه منذ ما يفوق العشرين سنة والعبء على كتفى جزئيا قبل موت والدى رحمة الله عليه وكليا بعدما التحق بالرفيق الاعلى ولكن كيفما كان ثقل الحمل ، كيفما كان حجم المسؤولية، علينا ان نكون منطقيين مع انفسنا حينما يولد المغربى، ويبلغ سن الرشد ويذهب لتعطى له بطاقة المواطنة ويقبل ذلك المغربى ان يكتب عليها : انت مغربى ، اذ ذاك وبكيفية منطقية تاريخية سلالية لا مذاكرة فيها عليه ان يعلم انه ابتداء من ذلك اليوم اصبح وارثا للتاريخ اقولها بتواضع ولكن اقولها بكل ما فى الكلمة من خطورة كل مغربى مغربى اتجه الى صاحب اوراق الحالة المدنية وطلب منه ورقة التعريف تكتب عليها : فلان جنسيته مغربية وقبل ذلك الرجل أن يكون مغربيا الا ومن باب تحصيل الحاصل اصبح ذلك الرجل وارثا للتاريخ فاذا كان العلماء ورثة الانبياء فالمغاربة ورثة التاريخ فلنكن اذن فى مستوى ما كتبه اباؤنا من تاريخ وما كتبه اجدادنا من تاريخ وما نكتبه نحن من تاريخ ، وليكن فى تسطيرنا للتاريخ مدرسة مستمرة حية لمن سيتبعنا ولمن سيخلفنا ، ولنعلم أن الدخول . دخول اكتوبر السياسى والبرلمانى والاقتصادى هو بمثابة خمسين أو ستين بالمائة بالنسبة لانجاح مخططاتنا فى السياسة الداخلية والخارجية اربعين فى المائة لان يكون حاجزا وسورا مانعا لكل من اراد ان يحيط بنا المؤامرات والاغراض .

ــ شعبى العزيز :

مناسبة كهذه التى اخاطبك فيها تقتضى شيئا ما من الحزم فى المخاطبة لان الموقف ذو جلال ولاننا

نكرم اناسا واشخاصا واجيــالا ضحــوا بحياتهــم وراحتهم وابنائهم فى سبيل احياء كلمة بلادهم ، فعلينا حتى فيما نقول وحتى بالكيفية التى نقول بهـــا ان نشعر الجميع ان الوقت وقت جلال ، وان المغاربة والمغرب عليهما ان يكونوا ابتداءا من الآن واعيــن تمام الوعى مستعدين تمام الاستعداد مطمئنيــن ، لان الوعى والاستعداد لا يكونان مجديــين الا اذا كانا فى الاطمئنان اما اذا كانا فى الفتنــة والهــرج والبلبلة فلا ينفع ذلك .

سقف بيت حديد * ركن بيتى حجر

منذ سنين وانت تسمعنى اردد هــذا البيــت ، ولكن دخل بيتى الذى سقفه حديد وركنه حجر هناك من يسكنونه مطمئنين لانهم علــى حق ، مومنيــن لانهم يعرفون ماضيهم ، ويؤمنون بمستقبلهم ، مطمئنين لانهم اتاهم الله سبحانه وتعالى الطمانينة التــى لا يعرفها ولا يشعر بها رغم ما يمر به من الهــواجس ومن التخونات الا من ربط مستقبله ومصيره بربه سبحانــه وتعالــى .

وقبل الختام اريد ان اترحم على ارواح الشهداء من مقاومين وافراد جيش التحرير الذين لقــوا حتفهم فى المدة التى كان محمد الخامس فى المنفــى وان نترحم كذلك حتى على الذن ضحوا بحياتهــم وحرياتهم ، ولو لم يكونوا منخرطين فى منظمة او فى هيئة ونريد كذلك ان نترحم على صاحب نداء القاهره ذلك الذى فى يومه ، وفى الوقت المناسب ،قال للعالم وكان ترجمانا على المغرب ، لان المغرب اذ ذاك كان فى قفص ، وكان منعدم الحرية ، اظهر المغــرب ، ونشكره على هذا ، اظهر المغرب اذ ذاك فى حلتــه الحقيقية ، واظهره على شكله الحقيقى . كما اترحم على شيخنا واستاذنا وابينا جميعــا ، مــن ربانا تربية سياسية فأحسن تربيتنا ، راجين له جــوار الصالحين والشهداء والاولياء ، وراجين منه كذلك بدعواته وبرضاه ان يكون دائما ملهما لنا ، فى حلنا وترحالنا ، فى سكوننا ، وفى حركاتنا حتى يمكننا رغم قلة الوسائل وصعوبة الظروف حتى يمكننا ان نقــوم بالواجب على الوجه المشرف منفردين ومجتمعيــن وعلى وجه من هو وارث التاريخ اقولها مرة اخرى بتواضع ، ولكن اقولها بعز وفخار : المغاربة ورثة التاريــخ .

اللهم اهدنا سواء السبيل ، اللهم اجعل فــى قلوبنا حماسة الصحابة ، واجعل فى قلوبنا تواضع الاولياء وثبت اقدامنا على الحق واملأ قلبنا ونفسنا بالتجسيم الحقيقى لما ينتظرنا من مسؤوليات داخلية وخارجية ، انك سميع الدعاء .

والسلام عليكم ورحمة اللــه

الاستقلال والمسيرة

●● يصدر هذا العدد في غمرة الاستعدادات للاحتفال بالذكرى الثالثة للمسيرة الخضراء المظفرة والذكرى الثالثة والعشرين لاعلان استقلال المغرب . وتشاء ارادة الله تعالى ان يجتمع الحدثان العظيمان في شهر واحد ، تفصل بينهما أحدى وعشرون سنة . فلقد كانت عودة جلالة المغفور له محمد الخامس فى 16 نوفمبر 1955 وأعلان استقلال المغرب في نوفمبر من نفس السنة بداية النهاية للاستعمار ، ولم تكن النهاية الكاملة . لان أجزاء مهمة من التراب الوطني لم تكن قد استرجعت بعد ، وسرى عليها مفعول الاستقلال السياسي . ولذلك يعتبر يوم 18 نوفمبر 1955 البداية الاولى للمد الاستقلالي الذي استمر فى التصاعد الى ابريل من السنة التالية (1956) بعودة شمال المملكة ، أول ما كان يسمى فى العرف الاستعماري بالمنطقة الخليفية ، ثم آخذ في الاطراد الى سنة 1958 بعودة منطقة طرفاية بالجنوب ، ثم ازداد تصاعدا الى سنة 1969 بعودة قطاع أيفني الى ارض الوطن ، ثم بلغ الذروة فى فبراير 1976 باسترجاع الاقاليم الصحراوية الثلاثة : العيون وسمارة وبوجدور في أعقاب النصر العظيم الذي حققته المسيرة الخضراء المباركة .

● وفى اعتقادنا ان الاستقلال الكامل الشامل لن يتم بالصورة التي ترضي النفوس المؤمنة بربها والمتمسكة بسيادتها الوطنية الا باسترجاع آخر مدينة وقرية وجزيرة من التراب الوطني . ولذلك فان المسيرة مستمرة على بركة الله . يقودها عاهلنا المفدى مولانا الحسن الثاني نصره الله .

وهذا هو الترابط المصيري بين الاستقلال وبين المسيرة ●●

عبد القادر الادريسي

الرّدُّ القرآني

على كتيب : هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟

(13)

للأستاذ عبد الله كنون

يعبر عنوان هذا الفصل عن عقلية المؤلف الذي يحسب أن القرآن مذكرة سياسية أو لائحة تنظيمية او تقرير حزبي يقدم للمناقشة . فهو لذلك يطرح مسالة الاصلاح والتحوير لمجاراة العصر وتطور المجتمع الانساني ، تطبيقا على القرآن الذي قدم به العهد واصبح في حاجة الى اعادة النظر في محتوياته وما جاء به .

وينطلق من ثم الى الافتراض أن علماء الاسلام قاموا بمحاولات لاصلاح القرآن خضوعا لضغط النواميس الاجتماعية وتقلب الاحوال بانسان العالم المعاصر ، ويعتقد أن هذا الافتراض أمر واقع لم يكن منه بد ، ولكنه لم يات بنتيجة ، فالمحاولات التي بذلت في هذا السبيل باءت بالفشل وبرهنت على أن القرآن لم يعد صالحا لحياة الشعوب في هذا العصر المتقدم المزدهر !

ويمعن المؤلف في تفكيره الساذج فيقول : «ان القرآن الذي مرت عليه ثلاثمائة والف سنة في خدمة الاقطاعيين والمتمولين لا يمكن ان يبقى بلا تبديل الملاءمة الاحوال الاقتصادية الجديدة سواء بالنسبة الى الراسمالية او الاشتراكية والشيوعية» كأن القرآن انما جاء لخدمة هذه المذاهب والسير في ركابها ، وليس له رسالة خاصة به ومذهب غير هذه المذاهب جميعا . ثم انه في هذا الكلام يتناقض مع مزعمه من أن القرآن خدم مصالح الاقطاع واهل المال ثلاثمائة والف سنة ، وطالما كرر هذا الزعم فيما سبق له من فصول الكتيب ، وهو اذا كان كذلك ، فاى حاجة تدعو الى مراجعته ليوافق مصالح الراسمالية بالخصوص في حين انه لم يخالفها قط ! ... !

ولعلم هذا المؤلف ومن كان مثله في الجهل والدعوى . نقول ان القرآن كتاب عقيدة ثابتة راسخة لا تتبدل ولا تتغير ، وهي الايمان بالله عز وجل خالق الكون ومدبره المنفرد بالايجاد والامداد . المستحق وحده للعبادة والطاعة . المختص بالملك والسلطان والحاكمية المطلقة ، رب القوى والقدر ، لا اله الا هو ، قاهر العباد بالموت ، باعثهم ليوم لا ريب فيه ، فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ومن جحد وكفر فأولئك في العذاب هم خالدون .

فمن يا ترى في العالم يجرؤ على اصلاح هذه العقيدة ، من غير المسلمين فأحرى منهم ، وهي عقيدة الاولين والآخرين من البشر اجمعين . ما عدا حفنة من الملاحدة لا تبالي الانسانية بهم بالة ، منذ كانت على اختلاف اجناسها والوانها ونظمها وطرائق معيشتها حتى يومنا هذا في شرق وغرب ، وحتى في البلاد الشيوعية التي انما يتظاهر فيما بالالحاد ثلة من الحكام المتطرفين محافظة على نفوذ الحزب وسمعته .

والقرآن كتاب شريعة انسانية عادلة اعطت لكل ذى حق حقه ووضعت كل امر فى نصابه ، ومن اعظم مزاياها انها ساوت بين الامم والشعوب ، والغت جميع الفوارق بين افراد البشر ، فلا فضل لابيض على أسود ولا لغنى على فقير ، ولا لحاكم على محكوم ، الا بما يتفاضل به الناس من علم وعمل وخدمة للصالح العام ، ورفعت الحجر عن المستضعفين والمضطهدين ، وردت للمراة اعتبارها فأجلستها على عرش الامومة المقدسة والزوجية المحترمة ، واولت لبنوتها واخوتها كل عناية وتكريم ، وجاءت بقواعد اساسية فى التشريع تعتبر اصلا تندرج تحته كثير من الفروع ، وبذلك ضمنت مسايرة الاوضاع المتغيرة فى مختلف الامكنة والازمنة مع عدم المس بهذه الاصول والقواعد ، فكيف يقول احد باصلاح ما يذكر من مبادىء ونظريات لم يصل اليها اكثر قوانين العصر تقدما ورقيا ٠ اللهم الا ان يكون المراد بالاصلاح عند المؤلف هو قيام الديكتاتورية الشيوعية المقيتة !

والقرآن دستور اخلاق ومعاملة وسلوك انسانى مهذب رفيع ، اخرج أمة من العدم وجعلها فى قمة الهداية والرشد والاستقامة ، وانتشرت فى انحاء المعمور ، تبث المعرفة وترفع لواء العدالة وتآخى بين الناس من جميع الطبقات فكونت تلك الحضارة الانسانية التى عاش فى اكنافها سكان القارات الثلاث المعروفة آنذاك ، على اختلاف اجناسهم والوانهم ودياناتهم ولغاتهم ، آمنين مطمئنين لا يعرفون ميزا ولا استثثارا ولا تفرقة ولا تعصبا مما تعانيه الانسانية اليوم بحكم سيطرة الحضارة العصرية شرقية كانت او غربية ، ولا يزال القرآن مستعدا ويتمام الصلاحية لان يبنى ذلك المجتمع الانسانى الفاضل على النطاق العالمى اذا عادت الامة الاسلامية الى سيرتها الاولى وتمسكت بكتابها وعملت بمقتضاه غير معرجة على شىء من هذه الايديولوجيات الاجنبية التى انحرفت بها عن الطريق وصدتها عن النهوض برسالتها الخالدة ٠ وهذا هو الاصلاح الذى يومن به جميع المسلمين اليوم ، لا ما ثرثر به المؤلف ، وهو اصلاح لما بالمسلمين على نهج القرآن ، وليس اصلاحا للقرآن ! ...

والقرآن اخيرا لا آخرا هو المنشور الالهى الذى اطلعنا على ما لم تصل اليه اساطين العلم واقطاب الفلسفة من حقائق الغيب واصل التكوين وامر المعاد كما قال الاستاذ موريس بوكال العالم الفرنسى الشهير مؤلف كتاب القرآن والانجيل والعلم وهذه عبارته : ان القرآن الكريم قد اعطى تفسيرا عقلانيا للكون والخلق يفوق كثيرا ما وصل الينا محرفا ما الكتب السماوية التى سبقته ٠ وقال فى محاضرةالقاها مؤخرا بمعهد الكومنولت فى لندن ، ونشرها المجلس الاسلامى الاوربى : ان القرآن هو الكتاب الوحيد الذى احتوى على حقائق علمية سابقة لعصره ٠ ولم يتمكن العالم من ادراك صحتها الا اليوم٠ وأشار بوكال الى القصص الذى ورد فى القرآن الكريم بشأن القرون الاولى ٠ وقال انه موافق للمعرفة العلمية الحديثة ولم يتعرض لما تعرض له القصص الوارد فى الكتب السابقة عليه من تغيير جعل ما ورد فيها من بيانات غير مقبولة علميا ، نظرا الى ان القرآن الكريم قد تم نقله بشكل متواتر حفظا فى الصدور وكتابة فى الصحف !...

هذا هو القرآن الذى يقول رحماتوف انه اصبح بحاجة الى الاصلاح ليساير العصر وتطور الانسانية ٠ وتطور الانسانية عنده هو حكم البروليتاريا اى العوام الذين يقول فيهم كاتبنا العظيم أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : انهم اذا تفرقوا نفعوا ، واذا أجتمعوا ضروا ! ...

واذا اثبتنا ان القرآن الكريم ليس فى حاجة الى الاصلاح وان المسلمين عموما علماء وغيرهم لم يفكروا قط فى أصلاح من هذا القبيل فلننظر فيما زعمه المؤلف من الاصلاحات التى ادخلها الفقهاء على القرآن ٠ وكانت غير ذات قيمة بحيث لم تغن عن الاصلاح الحقيقى الذى يجب أن يأخذ به المسلمون فى رأيه ٠ وهو اعتناق الشيوعية ٠

قال : «ان القرآن فى عدة امكنة منه يوجب على المسلمين أن يجتمعوا فى المسجد للصلاة ، واليوم يقول الفقهاء ان المسلمين يمكنهم ان يصلوا فى المسجد او فى اى مكان آخر جماعة او افرادا ٠ ويقول القرآن انه فى ايام العيد يجيب على المسلم ان يذهب على قدميه الى المسجد ، ويتوقف عند كل عشرين خطوة ليقرأ دعاء خاصا ، وبما أن الظروف

تغيرت فالمفتى ورئيس المجلس العلمــى قد نشـرا رسالة تبطل المخطــط القرآنــى وتأذن للمؤمنيـن بالذهاب الى بيوت الله على المركبات الحديثـة ، الترام ، والحافلة ، وغيرهمــا وقــد كان فقهـاء الاسلام وما بالعهد من قدم ينكرون جميع الانجازات العصرية التى اخترعها الذكاء الانسانى كالكهرباء والراديو والتلفزيون ونحوها ويعتبرونها من عمـل الشيطان .»

وهذا الكلام اذا كان يثير الضحك من عقليـة هذا المؤلف الصبيانية فهو حـرى أن يبعث علـى الاشفاق مـن حاله لبـلادة حسه وخمود قريحتـه وانطفاء نور عقله ، فقد برهن بما لا يدع مجـالا للشك فى أنه لا يعرف القرآن الذى يرد عليه ، وان كانت ادعاءاته السابقة تدل على ذلك . الا اننـا كنـا نقول ، ربما لم يفهم او انه حرف الآيات الكريمة عن مواضعها ، اما هنا فانه يعطى الدليل القاطع علـى انه لم يقرأ القرآن بله ان يفهمـه ، والا ففـى اى سورة او آية اوجب القرآن على المسلمين ان يصلوا فى المساجد جماعة او ذكرت صلاة العيد فأحرى ان يذهب المسلمون اليها راجلين حتى يكون ما نقلـه عن الفقهاء اصلاحا لما فى القرآن ؟ بل فى اى كتاب من كتب الحديث او الفقه جاء وجوب ما ذكر علـى المسلمين ، ومنذ ظهـور الاسـلام الـى الآن كان المسلمون يصلون فى بيوتهم وفى غيرها من الاماكـن فرادى وجماعات كما يصلون اذا امكنهم ذلك فـى المساجد . ومن خصائص هـذه الامـة ان الارض جعلت لها مسجدا فاينما ادركـت الصلاة المسلـم فليصل كما فى الحديث الشريف . ولو كانوا يصلون كلهم فى المساجد لما كفتهم الآلاف منها .

وكانوا يذهبون الى صلاة العيـد راجليـن وراكبين من غير حرج عليهم فى ذلك ، وهذا ممـا يتضمنه أصغر كتب الفقه التى يتعلم بها الاطفـال شعائر الدين فى المدارس الابتدائية ، ولا يجهلـه احد المسلمين بحيث لو سأل هذا المؤلف الجاهـل أى عامى مسلم لقال له ان الصلاة تصح فى كل مكان جماعة وافرادا ، وان الذهاب اليها يجـوز بكـل وسيلة لا يستثنى الا صلاة الجمعة التـى يطلـب ايقامها جماعة فى المسجد عند عدم العذر ، وهـى انما تكون مرة فى الاسبوع .

اليس هذا مما يعطى صورة غير مرضية عن الاتحاد السوفياتى كما قلنا سابقا فان ممثـل اى دولة فى الخارج انما هو وجهها او واجهتها وبيـس هذا الممثل من وجه وواجهــة !

اما قوله أن الفقهاء كانوا ينكـرون جميـع الاختراعات العصرية كالكهرباء وغيرهــا ، فـان عهدته عليه والمعروف عندنا ان نور الكهرباء ادخل الى المساجد فى العالم الاسلامى قبل الكنائس لان الرهبان هم الذين انكروه او توقفوا على ادخاله الى المعابد تطهيرا لها منه او وقوفا مع العوائد . نعم ان كان عند الاتحاد السوفياتى فقهاء من هذا القبيل فهم نتيجة الضغط على الافكـار ومحاربة الديـن وعلومه . فربما نصب المسؤولون هناك اشخاصـا جهالا كمؤلفنا السفير ، مفتين ورؤساء للمجـالس العلمية ، ولا غرابة عندئذ ان يصـدر عنهم مثـل ما صدر عنه من الاقوال المضحكة ، ونستثنى قطعا من رأيناهم من علماء المسلميـن فى الجمهـوريات الاسلامية المنضمة الى الاتحاد السوفياتى ، فهؤلاء على ما نعرفه منهم من العلم والفضل لا يصدر عنهم شىء مما قاله رحماتوف باى حال ! ...

بعد هذا ياتى المؤلف بكلام فارغ عن كتابـة القرآن فى زمن ابى بكر ثم فى عهد عثمان ، ويقول ان ظهور القرآن اولا كان باربع روايات مختلفة ، وهو يعنى ولا شك المصاحف الاربعة التى كتبها عثمان وبعث بها الاقطار الاسلامية وهى كانت نسخـا متوافقة ولم تكن روايات وبها قضى علـى جميـع الاختلافات التى بدات تظهر بين قراء القرآن . ويزيد قائلا : «ان القرآن اعيدت كتابته عدة مرات مـن جانب الفقهاء الذيـن ادخـلوا عليـه تغييـرات شخصية وتعاليم اخذوها من ديانات اخـرى مثـل النصرانية والبوذية واليهودية» ومثل هذا الكلام يعرف بطلانه العدو والصديق والمسلم وغيره ، فلا نطيل برده لانه لم يقل به أحد حتى من غلاة المبشرين ومتعصبة المستشرقين الذين لا يتورعون عن الكذب والبهتان ، ولكنهم لم يبلغوا فى الوقاحـة والصفاقة الى ما بلغه هذا الجاهل المغرور .

ويتعرض الى تدوين الحديث فيقـول ان اول مجموعة منه كتبت فى عهد خليفة بغداد سنة 760 وهو الخليفة المنصور ، وتدوين الحديث بالمعنى

الواسع بدا فى عهد الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز باجماع المؤرخين عن امر منه لابن شهاب الزهرى كما هو معروف ، فالمؤلف لا يضبط تاريخا ولا يحقق مسالة مما يخوض فيه ، والعجب من صدور كتيب كله خطأ ، مثل هذا ، فى الاتحاد السوفياتى ، وفيه عدد من الباحثين والمستشرقين المحترمين ، فعلى الاقل كان على الرقابة الصارمة فى تلك البلاد الا تسمح بنشره حماية لسمعة علمائها ومعاهدها الاستشراقية التى يمرغها رحماتوف فى التراب ! ...

ثم يتعرض لذكر الفرق الاسلامية فيخبط فى ذلك خبط عشواء ولا يزيد على أن يسرد بعض الاسماء ، وهى الخوارج والبابية والبهائية فى ايران والعراق كما يقول ، والشيعة والاسماعيلية فى ايران والهند والمعتزلة فى العراق والوهابية فى الحجاز ، والزيدية فى اليمن ، وبقطع النظر عما فى توزيعه لهذه الفرق على البلدان من خطأ فان البابية والبهائية فرقة واحدة ، وهى ليست فرقة اسلامية بل منظمة تخريبية انشاها اليهود والانجليز لمحاربة الاسلام ، ثم هو يطرح اسماء هذه الفرق على اعتبار ان قيامها انما كان لاصلاح القرآن وهو زعم مردود من كل المسلمين كما بينا ذلك آنفا . وهذه الفرق منها ما انتهى امره ولا وجود له الآن ، ومنها ما هو مذهب من مذاهب الفقه الاسلامى كالزيدية وليس فرقة بالمعنى الاصطلاحى ومع ذلك فان نشوء الفرق المذكورة وغيرها ، لا يكون الا عن اختلاف وجهة النظر فى مسألة من المسائل ، التى لم يرد فيها نص قاطع، فشتان بين ما يحملها عليه هذا المتنطع بفهمه الغليظ ، وبين واقع الامر وسبب قيامها ، وهى تتفق كل شىء لا خلاف بينها فى اصول الدين وفروعه الا قليلا من المسائل ، ليس منها ولا واحدة تهدف لاصلاح القرآن او تعمد الى مخالفته .

بعد هذا تطرق المؤلف الى الكلام على المسلمين فى روسيا قبل الثورة الشيوعية وبعدها، فيقول ان فكرة الاصلاح قد ظهرت بينهم منذ سنة 1905 وقسمتهم الى فريقين مجددين ومحافظين.

وهو يخلط فى كلامه على كل من الفريقين ، كعادته فى عدم تحرير اى بحث ، وتناوله بما يلزم من الموضوعية ، ويسف حتى يجعل المجددين هم الذين نبذوا الطربوش ولبسوا المعطف ، فينحرف عن صلب الموضوع ويتعلق بسفاسف الامور . ثم يقفز الى الكلام على قيام الثورة فيقول انها استعجلت حركة الاصلاح بين المسلمين وجعلت علماء الاسلام يعملون على تقريب تعاليم القرآن من التطور العظيم الذى حققته الشيوعية فى مختلف مجالات الحياة بالاتحاد السوفياتى ، فمثلا سفور المراة ونبذها للحجاب ومساواتها للرجل فى جميع الحقوق الذى هو مما اتت به الثورة ، يقول هؤلاء العلماء بصدده انه مما جاءت به الشريعة الاسلامية ولا يعارض القرآن ، فلماذا لم يقولوا هذا من قبل الثورة ، ولماذا كانت المراة المسلمة على مدى 1300 سنة تعتبر فى شريعة القرآن بمنزلة قرين الشيطان . ولعلنا وقد رددنا على كل هذه الاتهامات وغيرها فى الفصل 7 الخاص بمكانة المراة فى القرآن والدين الاسلامى لم نعد بحاجة الى تزييف افتراءات المؤلف وابطال دعاويه التى لا سند لها . ومن حقنا ان نقول ان المراة المسلمة كانت وما تزال خيرا من المراة الغربية فى كل شىء، وبادنى مقارنة بينهما يتبين صدق ما نقول فهى فى الحقوق افضل من الغربية كما يعلم من مراجعة الفصل السابع المشار اليه ، وكفى أن نفقتها تجب على الرجل وان تصرفها فى مالها غير مقيد بموافقة الرجل ، وكلا الامرين ليس من حق المراة الغربية وانها ترث فى كل حال ، فى حين ان الغربية كثيرا ما تحرم من الارث ، وهى بالشخص اشرف من الغربية لانها على جانب من الحياء والعفة والصون ليس للغربية ، والعيان اعظم شاهد ، وهى فى التعاون مع الرجل وتربية الاطفال وتدبير المنزل مثل يضرب للغربية وغيرها . وكل ذلك وغيره كثير ، انما هو من تمسكها بعقيدة الاسلام وآدابه وما رسمته لها الشريعة الاسلامية من واجبات وحقوق : ونعنى بالمراة الغربية ما يشمل الروسية غير المسلمة بالطبع ، سواء قبل الثورة وبعدها .

ويختم المؤلف هذا الفصل بتمجيد الشيوعيـة والطعن في الاسلام وذلك بعبارات نابية والفاظ تبين عن وضاعة منشأه . ويتحمس في انكار الدين ، اي دين كـان ، ويبلغ بـه التعنت الى القـول انـه اذا كانت حركة الاصلاح الاسلامي صحيحة فهـي اذن ضد الله . اي ضد ما زعم أنـه تعاليـم القرآن ، ويعقب على ذلك بقوله «لاكن الواقع انه لا وجـود لله ! » تعالى الله عما يقوله الملحـدون علـوا كبيرا .

وهذا الكلام ان كان يقصد منه اقرار الشيوعية ونفي الاديان جملة فاننا انما نرد عليه بقول احـد الفلاسفة المعاصرين وهـو (برنار ليفـي) : ان «المادية» تحولـت الى ضـرب مـن الرابطـة الاجتماعية لتلك البربرية ذات المظهر الانساني ــ يعني الاشتراكيـة ــ وان الماركسيـة هي ديـن هذا العصر ، ولذلك فهي قـد اصبحت « افيـون الشعـوب » .

عبد اللـه كنـون

الحلقة الاخيرة من مقالات الاستاذ عبد الله كنـون حول الرد القرآني على كتيب : « هل يمكن الاعتقـاد بالقرءان » ننشرها في العـدد القـادم .

هدى الإسلام
في تنظيم الاقتصاد المنزلي

للأستاذ محمد المنوني

من ميزات التشريع الاسلامى فى سلوك الطريق الوسط فى التكيف ، فلا جنوح الى مذهب الشدة ، ولا انحدار الى طرف الانحلال ، وهو ما تشير له الآية الكريمة : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » ، سورة البقرة : 142 ·

ويقول الامام الشاطبى فى توضيح هذه الظاهرة : « الشريعة جارية فى التكليف بمقتضاها : على الطريق الوسط الاعدل ، الاخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه ، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال ، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضى فى جميع المكلفين غاية الاعتدال » · (1)

ومن بين التكاليف التى سارت فى هذا الاتجاه شعبة الاقتصاد المنزلى ، وهو يهدف الى تنظيم نفقات الاسرة على طريق الاعتدال : فى المطعم · والملبس · والمسكن واثاثه ، وفى التجمعات العائلية عند المناسبات ·

وقد نظم الاسلام هذه النفقات على الطريق الوسط ، فجاء فى القرآن الكريم : « لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما ءاتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما ءاتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا » ، سورة الطلاق (7) ·

ومن هنا فان النفقات العائلية لا تخضع الى تحديد قار ، وانما وكل المشرع ذلك — فى كل طبقة — الى مقدرتها المالية ، فذو الدخل القليل له حد يقف عنده ، والمتوسط ينفق طاقته ، والاغنياء حسب مستوياتهم فى الثروة ، شريطة

---

1 — «الموافقات» ، المطبعة الرحمانية بمصر 163/2 ·

ان يسير هؤلاء واولئك على عرف المعتدلين منهم فى نفقاتهم (2) .

وهذا الاعتدال هو الطريقة المثلى فى الاقتصاد المنزلى ، حيث يتردد ذكرها فى القرآن باساليب متنوعة ، فجاء فى خطاب سيدنا محمد صلى الله — تعالى — عليه وءاله وسلم : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » سورة الاسراء (29)

وورد فى وصف عباد الرحمن : « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » سورة الفرقان : (67) .

وفى خطاب جمهور المومنين : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » ، سورة الاعراف : (29) .

ومن الاحاديث الشريفة فى هذا الاتجاه : « ما عال مقتصد قط » : (3) .

الاقتصاد نصف العيش ، وحسن الخلق نصف الدين (4) .

من فقه الرجل رفقه فى معيشته (5) .

الرفق فى المعيشة خير من بعض التجارة (6)

* * *

فاذا انحرف المنفق عن هذا القصد فى العيش وقع فى التقتير أو الاسراف ، فالتقتير هو النقص فى النفقة عن الكفاية .

اما الاسراف فهو تجاوز حد التوسط والاعتدال ، حتى يتردى المبذر فى الحرام أو ما يفضى الى الحرام .

وقد حذر الاسلام من الاسراف حتى فى المبرات : « وءات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين » ، سورة الاسراء : (26) — (27) .

وفى الحديث الشريف : « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير اسراف ولا مخيلة » .

ولما عرض سيدنا سعد بن ابى وقاص على النبى — صلى الله عليه وسلم — ان يتصدق بماله منعه ، حتى انتهى الى ثلث ماله فأجزه النبى عليه السلام ، وبين للموصى الحكمة فى ترك الوصية بالكثير الى الوصية بالقليل ، وقال له : « انك ان تدر ورثك اغنياء ، خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس فى أيديهم » (8) .

وفى قصة كعب بن مالك حين نزل القرآن الكريم بتوبته ، فعرض على النبى — عليه السلام — ان يتصدق بجميع ماله ، فمنعه من ذلك وقال له : « امسك بعض مالك فهو خير لك » (9) .

---

2 — انظر «تفسير المنار» 385/8 .
3 — نسبه الهيتمى للطبرانى فى الكبير الاوسط حسب «مجمع الزوائد» نشر مكتبة القدسى بالقاهرة : 252/10 .
4 — ذكر السخاوى مخرجه وما له من الشواهد حسب «المقاصد الحسنة» ط. الهند ص 34.
5 احمد فى «المسند» والطبرانى حسب « الجامع الكبير » للسيوطى مخطوط الخزانة الملكية رقم 3872 : 231/3 .
6 — الدراقطنى فى «الافراد» وغيره باسناد حسن ، حسب «الجامع الصغير» وشرحه للعزيزى 302/2 .
7 — اورده البخارى — معلقا — فى افتتاحية كتاب اللباس ، وانظر «فتح البارى» عند شرح هذا الحديث : 215/10 — 216 ، مع «تفسير المنار» 384/8 .
8 — متفق عليه بين البخارى ومسلم .
9 — صحيح مسلم 174/7 ، وبهذا اللفظ ورد عند البخارى فى تفسير سورة التوبة : 258/8 ، كما اورده بلفظ امسك عليك بعض مالك فهو خير لك : من كتاب الوصايا : 289/5 ، وفى كتاب النذور : 497/11 .

والى هذا نهينا عن الاسراف حتى فى استعمال الماء للوضوء أو الغسل ، فقد اخرج ابن ماجه من حديث ابن عمر : « ان النبى – صلى الله عليه وءاله وسلم – مر بسعد (بن ابى وقاص) وهو يتوضأ فقال : ما هذا السرف ؟ فقال أفى الوضوء اسراف ؟ (10) قال نعم وأن كنت على نهر جار » .

ورغما عن اعلال سند هذا الحديث ، فان مضمون متنه تؤيده الاحاديث الصحيحة التى تثبت ان النبى – عليه السلام – كان يغتسل بما يملا الصاع ونحوه ، ويتوضا بمقدار المد (11) .

* * *

والآن وقد تبينا مدلول السرف فى الاستعمال الاسلامى ، نشير الى انه يأتى فى طليعة نماذجه : النفقة فى المحرمات الفاضحة : من مشروبات روحية ، والدم والميتة والخنزير والاكل او الشرب فى أوانى الذهب او الفضة بالنسبة للرجال والنساء .

ومن نماذج الاسراف : تجاوز القدرة المالية فى الانفاق على التجمعات الاسروية فى مثل وليمة او وضيمة وما شابه هذا وذاك .

ومن ذلك تناول طعام أو شراب غلب على ظن مستعمله انه يضر بصحته (12) .

ويقول ابن العربى فى هذا الاتجاه : « ... من انفق ماله فى الشهوات زائدا على الحاجات وعرضه بذلك للنفاد فهو مبذر » ، وقريب من هذا قول رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم : « ان من السرف أن تاكل كل ما اشتهيت » (14) .

... وجاء فى تفسير ابن عطية وهو يحلل معنى السرف : « ومن تلبس بفعل مباح ، فان مشى فيه على القصد واوساط الامور فحسن ، وان افرط حتى دخل الضرر حصل – ايضا – من المسرفين ، وتوجه النهى عليه ، مثال ذلك ان يفرط فى شراء ثياب او نحوها ويستنفذ فى ذلك جل ماله ، او يعطى ماله اجمع ويكابد بعيالهالفقر بعد ذلك ... » .

* * *

ومن هذه النماذج تتبين ان من بينها ما يفضى بالمبذر الى التضخم المالى أو الافلاس بالمرة ، ومنها ما يؤدى الى الترف والامراض القتالة ، مما يجسم الحكمة واضحة فى النهى عن الاسراف والتنديد به فى القرآن الكريم والحديث الشريف .

وقد برز هذه العواقب الوخيمة عدد من اعلام المفكرين المسلمين : مشارقه ومغاربة ، فيقول الموفق عبد اللطيف البغدادى : « ... ان السرف فى كل شىء يضر بالجسد ويضر بالمعيشة فيؤدى الى الاتلاف ، ويضر بالنفس اذا كانت تابعة للجسد فى اكثر الاحوال » (16) .

وعن العوائد الضارة : يسجل ابن الحاج عن استاذه ابى محمد بن ابى جمرة : ان المشاكل التى يعيش فيها بعض اهل عصره : منشؤها مراعاة الضرورات المعتادات غير الشرعيات (17).

وفى هذا الاتجاه يذكر ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسى عن بلدته : انها انها كثر نصب اهلها من كثرة عوائدها ، فهم – دائما – فى التعب

---

10 – انظر الشوكانى فى «نيل الاوطار» مطبعة البابى الحلبى بمصر : 295/1 .

11 – انظر الاحاديث بذلك فى «منتقى الاخبار» وشرحه «نيل الاوطار» 293/1 – 296 ، مع «صحيح البخارى 166/1 و 253 – 54 .

12 – تبليغ الامانة فى مضار الاسراف والتبرج والكهانة لمحمد عبد الحى الكتانى ، مطبعة فاس بالمدينة الجديدة» ص 25 ، 63 .

13 – «احكام القرآن مطبعة السعادة بمصر .

14 – انظر «تفسير المنار» 386/8 .

15 – نقله أبو حيان فى «البحر المحيط» مطبعة السعادة بمصر 290/4 .

16 – «فتح البارى» : 216/10 .

17 – «المدخل» المطبعة المصرية بالازهر : 116/2 .

لتحصيل ما يقيمون به عوائد لا حد لها ، الا من رحم اللـــه (18) .

ولما رحل ابو سالم العياشى الى الشـــرق العربى ، اثار استحسانـــه عـــادة المشاركـــة فى الاكتفاء بتقديم مشروب القهوة لاغلب الزائريـــن فهى — عندهم — تقوم مقام ما يتكلفـــه المضيـــف المغربى من اطعمة كثيرة ... (19) .

حتى اذ ينتهى المطاف الى الشيخ محمد رشيد رضا ، يستوســع فى شرح مضار الاسراف المفضى الى الترف حسب الفقرة التاليـــة :

« ... واما المترفون من الناس فانهم يسرفون فى كل ذلك (التمتع باللذات البدنية) ، فياكلون قبل تحقق الجوع ، ويشربون على غير ظما ، ويتجاوزون قدر الحاجة فى الاكل والشرب كما يتجاوزونـــه فى غيرهما ، ويستعينون على ذلك بالتوابل والمحرضات للشهوة ، فيصابون — من جراء ذلك — بتمرد المعدة، وسوء الهضم وفســاد الامعاء من التخمة ، وكثـــرة الفضلات فى الجسم ، التى تحدث تصلب الشرايين المعجل بالهرم ، وغير ذلك من الامراض » (20) .

ومرة اخرى يعود مؤلف المنار لهذا الموضوع ، فيتناوله من جهة العواقب المالية للاسراف : « ومن تجاوز طاقته مباراة لمن هم فى الثروة مثله مـــن المسرفين ، او لمن هـــم اغنى منـــه واقدر : كان مسرفا .

وكم خربت هذه المباراة والمنافسة من بيوت كانت عامرة ، ولا سيما اذا اتبعـــت فيها اهـــواء النساء فى التنافس فى الحلى والحلـــل ، والمهـــور وتجهيز الرائس ، واحتفـــالات الاعراس والملتم . وما يتبعها من الولائم والوضـــائم ... » (21) .

* * *

ومن الواضح ان التنديد بالاسراف والمسرفين، يتوجه — بالدرجة الاولى — الى النخبة من المؤمنين، فهم مأمورون — قبل غيرهم — بالسير فى الاقتصاد المنزلى الذى هو موضوع هذا العرض : على الطريق القويم الذى لا زيغ فيه ، ولا تجاوز للمقدرة المالية لكل فريق . حتى اذا سار هؤلاء بسير الاعتدال ، فان الطبقات الاخرى تحتذى حـــذو النخبة ، كنتيجـــة طبعية تستند لحتمية تقليد السواد من الناس لسلوك قادتهـــم (22) .

---

18 — «تبليغ الامانة» ص 17 .

19 — «الرحلة العياشية» ط . ف 133/1 .

20 — «تفسير المنار» 387/8 .

21 — «المصدر» 385/8 . والـــوضـــائم جمـــع وضيمة طعام الماتـــم .

22 — انظر ابن خلدون فى «المقدمة» عند فصل : ان المغلوب مولع ابدا بالاقتـــداء بالغالـــب ... المطبعة الازهرية بالقاهرة ، ص 123 — 124 . وفى التنزيـــل : «واذا اردنا ان نهلك قريـــة امرنا مترفيها ...» قال ابو السعود وهـــو يحلل مدلول المترفيـــن فى الآية الكريمـــة «خصهم بالذكر مع توجه الامـــر الى الكل لانهـــم الاصول فى الخطاب والباقى اتباع لهم ، ولان توجه الامر اليهم «اكد» ، «ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الحكيم» . الطبعـــة المنشـــورة بهامش تفسير الرازى : الطبعـــة الثانيـــة بالمطبعة الشرفية بالقاهرة : 409/6 .

ولما انعقد الصلـــح بين الرسول — عليه وءاله افضل الصـــلاة والســـلام — وبيـــن قريش يوم الحديبة امر اصحابه ان ينحروا ثم حلقوا ، قال الراوى : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم احد دخل على ام سلمة فذكر لها ما لقى من الناس فقالت يا نبى الله : اتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم احدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعـــو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك ، فما راى الصحابة فعل النبى — عليه السلام — قاموا فنحـــروا ، وجعـــل بعضهم يحلق بعضا حتى كادوا يقتتلون ، «صحيـــح البخارى» 256/5 .

وقد انتهج هذه السياسة ثلاثة من الخلفاء الراشدين رضوان الله — تعالى — عنهم ، وهم ابو بكر وعمر وعلى ، حيث كانوا يتعمدون حياة التقشف ليكونوا قدوة لعمالهم ولسائر الفقراء والضعفاء (23) .

* * *

وعلى ذكر التقشف ، نشير الى سيرة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، لما واجهته — ايام ولايته — أزمة طرحت الاخذ بسياسة التقتير ، وذلك لما أجدبت الارض وصارت السنة تعرف بعام الرمادة : سنة 18 هـ ، فكان امير المؤمنين حرم على نفسه السمن ويأتدم بالزيت ، فيقرقر بطنه فينقره باصبعيه ويقول : قرقر ما شئت ، انه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس (24) .

وقد كان — قبل هذه الازمة — يأكل السمن واللبن ، فلما امحل الناس حرمها على نفسه ، فأكل الزيت حتى تغير لونه وجاع .

ويقول عنه اسلم مولاه : كنا نقول : لو لم يرفع الله — سبحانه وتعالى — المحل عام الرمادة ، لظننا ان عمر يموت هما بأمر المسلمين (25) .

ومن ذيول هذه السيرة العمرية التقشفية : فتوى للقاضي ابى عمر بن منظور ، في شأن ضريبة باسم «المعونة» كانت موظفة على الارضين بالاندلس ، فقد ذكر خمسة شروط لاقرارها :

وكان الشرط الثاني : ان يتصرف المتولي في مداخيلها بالعدل .

فلا يجوز ان يستأثر بها دون المسلمين .
ولا أن تنفق في سرف .
ولا أن يعطى منها من لا يستحق .
ولا يعطى احد اكثر مما يستحق .

ثم كان الشرط الثالث : ان تصرف مداخيل هذه الضريبة بحسب الحاجة والمصلحة ، لابحسب الغرض (26) .

* * *

والآن نذيل حديث الاقتصاد المنزلي بفقرة موضوعية للغزالي يقول فيها : « ... المال خلق للحكمة ومقصود هو صلاحه لحاجات الخلق ، ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ، ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ، ويمكن التصرف فيه بالعدل ، وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ، ويبذل حيث يجب البذل .

فالامساك حيث يجب البذل بخل ، والبذل حيث يجب الامساك تبذير ، وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه ، اذ لم يومر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الا بالسخاء ، وقد قيل له : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) ، وقال تعالى : (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) .

فالجود وسط بين الاسراف والاقتار ، وبين البسط والقبض ، هو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ، ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه ، فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي ...

ان الواجب قسمان : واجب بالشرع ؛ وواجب بالمروءة والعادة ، والسخي : وهو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة ، فان منع واحدا منها فهو بخيل ، ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل ، كالذي يمنع اداء الزكاة ، ويمنع عياله واهله النفقة ، أو يؤديها ولكنه يشق عليه ، فانه

---

23 — «تفسير المنار» : 26/7 .
24 — انظر «سيرة عمر بن الخطاب» لابن الجوزي ، المطبعة المصرية بالازهر ، ص 121 .
25 — «المصدر» ص 61 .
26 — «المعيار» للونشريسي ط . ف 26/5 .

بخيل بالطبع وانما يسخى بالتكلف ، او الذى يتيمم الخبيث من ماله ، ولا يطيب قلبه ان يعطى من اطيب ماله او وسطه ، فهذا كله بخل .

واما واجب المروءة : فهو تـرك المضايقة والاستقصاء فى المحقـرات فان ذلـك مستقبـح . واستقباح ذلك يختلف بالاحـوال والاشخـاص ، فمن كثر ماله استقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ، ويستقبح من الرجل المضايقـة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب . ويستقبح من الجار ما لا يستقبـح مع البعيـد ، ويستقبح فى الضيافة من المضايقـة ما لا يستقبـح فى المعاملـة ... (27) .

* * *

وهذا تذييلختامى ، نبرز فيـه ان التدبيـر المنزلى صار — عند المؤلفين العرب — علما مستقلا بذاته ، نوه به كل من طاش كبرى (28) وحاجى خليفة (29) ، فيذكران — معا — ماهيته : بانـه علم يعرف منه اعتـدال الاحـوال المشتركة بيـن الانسان وزوجته واولاده وخدامه ، وطريق علاج الامور الخارجة من الاعتدال .

ثم يؤكدان ان نفع هـذا العلم عظيـم ، لان حاصله انتظام احوال الانسان فى منزله ، ليتمكن — بذلك — من رعاية الحقوق الواجبـة بينه وبيـن اسرته ، ويتفرع على اعتدالهـا كسب السعـادة العاجلة والآجلـة .

ويوضح حاجى خليفة من جهتـه : انـه ليس المراد بالمنزل فى هذا العلم : البيت المتخذ من الاحجار او الاشجار ، بل المراد التالف المخصوص الذى يكون بين الزوج والزوجة ، والوالد والولد ، والخـادم والمخدوم ، والمتمول والمال ، سواء كانوا من اهل واهل الوبر .

كما ان من بين اوضاع عبد القادر الطبرى : كتاب «عيون المسائل من اعيان الرسائـل» (30) ، الذى يجمع خلاصة اربعين علما ، منها علم تدبيـر المنزل : الباب الثانى والعشرون فى تصنيف المؤلف ، وهو يرتب مسائله على جملة فصول ، يتناول احدها موضوع تدبير المال : بالدخل والحفظ والخـرج » حيث ترد به هذه الفقرة :

---

27 — «احياء علوم الدين» المطبعة العثمانيـة المصريـة : 225/3 .

28 — «مفتاح السعـادة» ، مطبعـة الاستقـلال الكبرى بالقاهرة : 407/1 .

29 — «كشف الظنون» ، منشورات مكتبة المثنى ببغداد ، ع 381 .

30 — نشر فى مطبعة السلام بالقاهـرة من عـام 1316 هـ ، والفقـرة المقتبسـة منـه واردة ص 204 — 206 .

تـوضيـح :

اعتمدت هذه التعاليق فى الاحالة على :

— صحيح البخارى : المتن المطبوع بهامـش فتح البارى الطبعة الكبرى الميريـة فى اغلـب الاجزاء ، مع المطبعة الخيرية بالنسبة للجـزء الاول .

— صحيح مسلم : المتـن المطبوع بهامـش شرحى الابى والسنوسى : مطبعة السعادة بمصر .

— الجامـع الصغيـر للسيوطى : المتـن المنشـور ضمـن شرح العزيـزى : بالمطبعـة الازهريـة المصريـة .

« ... واما الخرج : فكيفيته من حيث نفقته ونفقة ممنونه : ان يقدر الخرج على قدر الدخل بنقصان ، فيدخر منه جميع ما يحتاج اليه فى العام الكامل ، بشرط ان لا تكون نفقة كل يوم مأخوذة من مكسبه ، لتاديته الى التقتير أو التغرير .

وتحديد النفقة مختلف باختلاف الازمنة والامكنة والعوارض من الاحوال ، فيعطى كل من ذلك ما يليق به .

ومن حيث التصدق وابتغاء وجه الله تعالى : فيلاحظ أن ما عند الانسان ينفد ، وما عند الله باق .

ويجتنب المن والاذى والرياء .

ويخص من يكتم فقره .

والاسرار بالعطية مطلوب ، الا ان قصد به تحبيب الناس لفعل ذلك ...

وينبغي من حيث المروءة : التعجيل والمواصلة، واختيار من يسدى اليه ، واهليته لما اهدى له .

ومن حيث الحاجة : الاقتصار على قدرها ، والميل عن السرف ، فلا شرف في سرف .

ومثله ما كان للضرورة : من دفع سفيه وكف أذى .

الرباط — محمد المنوني

العلامة المحدث المفتي

أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني

دراسة بقلم الأستاذ التهامي العلوي

اقرأها في العدد القادم

القاضي أبو بكر بن العربي (468 - 543 هـ)

للأستاذ سعيد أعراب

هـ في الزهد وآداب الصالحين :

تتلمذ ابن العربي الغزالي بعدما تجرد ، وراض نفسه على طريق القوم ، فسمع عليه كتاب «الاحياء» وقال له من لفظه ، وكتب اليه بخطه : «... ان القلب اذا تطهر من علاقة البدن المحسوس ، وتجرد للمعقول ، وتكشفت له الحقائق ، وهي امور لا تدرك الا بالتجربة لها عند اربابها بالكون معهم ، والصحبة لهم ... » (1) .

ويحدثنا ابن العربي عن اول لقاء له بأبي حامد ببغداد فيقول : « .. حتى ورد علينا ذا نشمند، منزل بالرباط ابي سعيد (2) بازاء المدرسة النظامية — معرضا عن الدنيا ، مقبلا على الله تعالى ، فمشينا اليه ، وعرضنا أمنيتنا عليه ، وقلت له : انت ضالتنا التي كنا ننشد ، وامامنا الذي به نسترشد ، فلقيت لقاء المعرفة ، وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة ، .. فلما طلع ذلك النور ، وتجلى ما كان تغشانا من الديجور ، قلت : هذا مطلوبي حقا ، هذا بأمانة الله منتهى السالكين ، وغاية الطالبين ... » (3) .

ولم يقتصر على الغزالي وحسب ، بل طوف على كثير من البلدان ، وتعرف على رجالات هذا الفن ، وصحبهم ، ودخل في طريقهم : « ... وافنيت عظيما من الزمان في طريقة الصوفيين : ولقيت رجالاتهم في تلك البلاد اجمعين ، وما كنت اسمع بأحدهم يشار اليه بالاصابع ، أو تثني عليه الخناصر ، او تصيخ الى ذكره الآذان ، او ترفع الى

---

1 — انظر العواصم من القواصم 20/2 .

2 — ويورد ابن العماد في شذرات الذهب ج 13/4 — رواية تذكر انه لقيه مرة اخرى ببادية الشام ، قال : « ... رايته بالبرية — وبيده عكازة ، وعليه مرقعة وعلى عاتقه ركوة ، وقد كنت رايته ببغداد يحضر درسه نحو اربعمائة عمامة من اكابر العلماء وافاضلهم ، يأخذون عنه العلم ، قال : فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له : يا امام ، اليس تدريس العلم ببغداد خيرا من هذا ؟ فنظر الي شزرا وقال : لما طلع بدر السعادة ، في فلك الارادة ، او قال سماء الارادة ، وجنحت شمس الوصول ، مغارب الاصول ، — :

3 — انظر قانون التأويل ص 14 — 15 (مخطوط خاص)

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل	وعدت الى تصحيح اول منزل
ونادت بي الاشواق مهلا فهذه	منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد	لغزلي نساجا فكسرت مغزلي

وهي رواية لم نجدها في كتبه ، وتبدو عليها مخايل الصنعة .

بمنظرته الاحداق ، — الا رحلت اليه قصيا ، او دخلت اليه قربا .. » (4) .

ومن الشيوخ الذين لقيهم ابن العربي — بعد الغزالي — :

عطاء المقدسي ، شيخ الفقهاء والصوفية — كما يسميه ، لقيه بالمسجد الاقصى — حيث دار بينهما حديث البكاء والتباكي ، قال ابو بكر : قال لي : اين اعين البكاء ، واين اسباب الاشتياق الى المولى لا الى اللوى ؟ واصل البكاء انما هو على فقد المحبوب ، او نزول المكروه ، واي محبوب أعظم من الله وطاعته ؟ واي مكروه اصعب من سخط الله ؟ (5) .

وهو القائل :

اذا لمت عيني اللتين اضرتا
بجسمي وقلبي قال (لي) لم القلبا
فان لمت قلبي قال عيناك جرتا
على الرزايا ثم لي تجعل الذنبا

وابو الحسن احمد بن عبد القادر بن يوسف الصوفي ، وقد انشده في مشاهدة جلال الله ، واستحضاره في سره ونجواه ، حتى لا يرى سواه :

كان رقيبا منك يرعى خواطري
وآخر يرعى ناظري ولساني

الى ان يقول :

تمكن من قلبي جلالك انني
اراك على كل الجهات تراني (8)

والنجيب الصوفي التركي (8) .

وابو عثمان سعد بن حسان الطليطلي ، جاور بالمسجد الاقصى اعواما ، وسار في بلاد المشرق اربعين سنة ، حتى بلغ أقصى المشرق ، وصحب كل شيخ للصوفية ، فكان مقدما في الصناعة (9) .

ولم يزل — كما يقول — (اطلب هذا الفن (التصوف) في مظانه ، وفي مراجعة شيوخه فيه ، حتى وقفت على حقيقة مذهبه) (10) .

ولعل اصرح عبارة تدل على ممارسته لهذا الفن ، وانه كان له اصحاب ومريدون ، قوله : « ... ولقد سألني بعض اصحابي من السالكين ، عن قول صاحب الحقائق » — : ما الحكمة في قول الله تعالى : « وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله » ، فأضاف الضر الى المس ، والخير الى الارادة ؟ فأمليت في ذلك على طريق القوم ... » ، وافاض القول في شرح ذلك .

على انه هاجم كثيرا من آراء الصوفية ، فانتقد نظريتهم في المعرفة ، وانكر ما يدعى بالفيض او الاشراق ، كما انتقد منهجهم في التأويل ، وشدد النكير على التفسير الاشاري ، الذى اعتبروه الاساس في تأويل القرآن ، كما وقف موقفا صارما مما يدعى بالعشق الالهي ، ولم يسلم من نقده حتى شيخه الغزالي : « ... فلما وعيت هذا سماعا وكتابة عنه وقراءة ، رجعت اليه متأملا بصادق البصيرة ، وعرضته على قواعد النظر في المعقول والمنقول ، ونظرت في افراده ثم جمعه .. وبعد النظر الطويل الذى هذه اشارته ، خرجت عن هذه الغمرة التي اوجبها استرسال مثله في هذه الالفاظ القلقة ، التي لا يصح أن يكون فيها اذن لاحد ليذكرها فضلا عن أن يحققها ويسطرها ،

---

4 — قانون التأويل ص 19 .
5 — سراج المريدين (مصورة دار الكتب المصرية) ورقة 57 .
6 — انظر الاحكام 304/1 .
7 — سراج المهتدين (مخطوط خاص) .
8 — انظر العارضة 21/9 .
9 — انظر العارضة 35/9 .
10 — قانون التأويل ص : 65 .
11 — نفس المصدر ص : 65 — 68 .

وهى اخلاط غالبة على الفوائد ومعانى حائدة عن سنن السداد » (12) .

وقال فى كتابه « معيار العلم » : انه ادخل فيه اغراضا صوفية ، فيها غلو وافراط ، وتطاول على الشرع (13) .

وفى نفس الوقت يعتبر بأن هناك متصوفة معتدلين ، امثال الحارث المحاسبى (ت 243 هـ) وأبى القاسم القشيرى (465 هـ) ، فهؤلاء ليسوا من المتصوفة الغلاة ، ويمكن اخذ رأيهم بالاعتبار .

وربما مال ابن العربى فى اخريات حياته الى العزلة والانقباض عن الناس :

« ... ورأى اليوم علماء القراء ، والمخلصون من الفضلاء ، — ان الانكفاف عن اللذات ، والخلوص لرب السموات ، — اليوم اولى ، لما غلب على الدنيا من الحرام ، واضطر اليه العبيد من المعاش ، من مخالطة من لا تجوز مخالطته ، ومصانعة من تحرم مصانعته ، وحماية الدنيا بالدين ، وصيانة المال بتبديل الطاعة بدلا عنه ، فكانت العزلة افضل، والفرار من الناس اصوب للعبد واعدل » (14) .

ويرى أن الزهاد والعباد ، صنف رابع من اصناف العلماء ، الذين حفظوا الدين ، ونصحوا له ، (تجردوا للخدمة ، ودأبوا على العبادة ، واعتزلوا الخلق ، وهم فى الآخرة كخواص الملك فى الدنيا) (15) .

واعتمد كثيرا من مفاهيم الصوفية فى الزهد ، والتوبة ، والصبر ، وفى هذا الصدد يذكر أن القرب قرب الاديان ، لاقرب البلدان والابدان ، : وفى مثله تنشد الصوفية :

يقولون لى دار الاحبة قد دنت

وانت كئيب ان ذا لعجيب

فقلت : وما تغنى ديار قريبة

اذا لم يكن بين القلوب قريب (16)

ومن هنا اختلف المتأخرون فى شأن ابن العربى — (مترجمنا) — فبعضهم جعله من السالكين الواصلين ، ومن اهل الخصوصية العارفين (17) ، تتلمذ له ابو الحسن بن حرزهم (18) وابو يعزى يلنور (19) ، وآخرون ، ولبسوا عنه المرقعة (20) ، كما لبسها هو عن شيخه الغزالى ، قال ابو الحسن بن حرزهم : (البسنى القاضى ابو بكر بن العربى ، قال : البسنى ابو حامد الغزالى ، قال : البسنى امام الحرمين ابو المعالى ، عن ابى طالب مكى ، عن ابى القاسم الجنيدى ، عن السرى السقطى ، عن معروف الكرخى) — الى آخر السلسلة ، وقد أوردوها بسندهم المتصل (21) .

بينما آخرون ينفون عنه الخصوصية ، وقالوا : انه ليس بذاك (22) ، والواقع ان ابن العربى — وان تتلمذ لشيوخ التصوف كالغزالى وضرابه ، وصحب العباد والزهاد ، وفضل العزلة

---

12 — نفس المصدر
13 — انظر العواصم من القواصم 83/1 .
14 — انظر الاحكام .
15 — العواصم من القواصم 194/2 .
16 — انظر الاحكام 139/1 — 140 .
17 — انظر سلوة الانفاس 198/3 . والاعلام لعباس بن ابراهيم 11/3 .
18 — انظر انس الفقير ص 42 .
19 — انظر اخبار يعزى (مخطوط خاص) .
20 — تأمله مع ما ذكره ابن العربى فى العارضة 276/7 — أن لبس المرقعة كان شعار الصالحين، وسنة المتقين ، حتى اتخذته الصوفية شعارا ، فجعلته من الجديد ، وأنشأته مرقعا من اصله ، قال : وليس هذا بسنة ، بل بدعة عظيمة ، وادخل فى باب الرياء ...
21 — انظر انس الفقير ص 93 — 94 .
22 — وفى مقدمتهم ابو زيد الفاسى ، انظر السلوة 198/3 .

والانقباض عن الناس ـ لفساد الزمان ـ فقد كان سنيا ، وعالما سلفيا (23) ، لا يحيد عن الشريعة قيد أنملة ، واذا لم يكن العلماء أولياء ، فليس لله من ولى . وتبدو على بعض مؤلفاته نفحة صوفية ، ولكنها ـ فى جوهرها ـ فى سير الزاهدين ، وآداب الصالحين ، والزهد ـ طبعا ـ غير التصوف ، ومما يدخل فى هذا الباب ،

ـ 60 ـ كتاب «سراج المهتدين» الذى قال فى مقدمته : انه حذا فيه حذو القضاعى فى «الشهاب» فى المواعظ والآداب ، وقد صدره بأحاديث قدسية ، وحكم نبوية ، آثر ان تكون من صحيح الحديث المستقيم ، لا من واهيه السقيم ـ على حد تعبير .

وتتخلل الكتاب عدة فصول فى الآداب والمواعظ ، تضمنت كثيرا من الاحاديث والآثار ، اشار فى بعضها الى أسماء الله الحسنى ، كالمحب ـ وهو الاسم الثالث والاربعون، وتحدث عن المحبة فى الشرع وقال : « ... واول ما التى عليكم فيها (المحبة) ـ معشر المريدين ، أن الشرع لم يرد بلفظ المحبة ، وقد عددت الصوفية للمحبة اسبابا خمسة، فزعمت انها موجودة فى الله تعالى » (24) . ثم انتقد هذا القول ، وشنع عليهم كل التشنيع .. ثم تكلم عن معنى الرضى ـ وهو الاسم الرابع والاربعون ، ثم عن الراعى ، والوالى ، والسائح ، والزكى ، والشفيع ، والمتواضع ، والطيب ، والعظيم ، والمفلح ، والمتبتل ، والخاشع ...

وشرحها جميعها شرحا موسعا ، وختم الكتاب بأدعيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سائر أحواله ، وباستعاذاته عليه السلام ، وهو غير « سراج المريدين » (25) الذى تحدثنا عنه فى القسم الرابع من علوم القرآن ـ وهو التذكير ، ووقع بعضهم فى التباس ، فجعلها كتابا واحدا (26) ! ولعل كتاب « سراج المهتدين » هو اخر ما كتب ابن العربى ، وقد احال فيه على اكثر كتبه ، ومن بينها «سراج المريدين » .

ومن مؤلفات ابن العربى فى هذا الباب :

61 ـ «كتاب الفقراء» ـ أى المتصوفة ، ذكره فى احكام القرآن (27) والمعارضة (28) .

62 ـ وكتاب الذكر ـ اشار اليه فى الاحكام (29) .

63 ـ «العقد الاكبر ، للقلب الاصغر» ـ ذكره المقرى فى النفح (30) ، والبغدادى فى هدية العارفين» (31) .

64 ـ «العوض المحمود» ومن اجزائه «محاسن الانسان ، ذكره فى العارضة ، (32) ورد ذكره فى «قانون التأويل» باسم «رسالة محاسن الاحسان ، فى جوابات أهل تلمسان» (33) .

(و) ـ فى التربية والتعليم :

ولابن العربى نظرية خاصة فى التربية والتعليم ، اشار اليها فى كثير من كتبه ، وتتلخص

---

23 ـ انظر مجلة اللسان العربى ع 7 ، ص 342.
24 ـ انظر نسخة الخزانة الملكية رقم 1473 .
25 ـ وتوجد مصورة منه بدار الكتب المصرية رقم (348 20 ب) ، انظر فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية من سنة 1936 ـ 1955 ، ص 458 .
26 ـ ومن وقع فى هذا الفهم ، الدكتور عمار طالبى . انظر رسالته : «آراء ابى بكر بن العربى الكلامية» ـ ج 76/1 .
27 ـ انظر ج 92/1 .
28 ـ انظر 285/12 ، و ص : 300 .
29 ـ انظر ج 409/1 .
30 ـ انظر ج 242/2 .
31 ـ انظر 90/2 .
32 ـ انظر ج 123/9 ، و ص 130 .
33 ـ انظر ص 20 .

فى ان الطفل ينبغى ان يلقن — اول ما يلقن — الكتابة ، والحساب ، والشعر الفصيح ، وعوامل الاعراب ، وبعض قواعد التصريف ، ثم يحفظ كتاب الله ، والسنة الصحيحة ، ولا يخلط بين علمين واكثر ، ولا يقصر نفسه على بعض العلوم : « . . والذى يجب على الولى فى الصبى المسلم — كان ابا او وصيا او حاضنا او الامام — اذا عقل أن يلقنه الايمان ، ويعلمه الكتابة والحساب ، ويحفظه اشعار العرب العاربة ، ويعرفه العوامل فى الاعراب وشيئا من التصريف ، ثم يحفظه اذا استقل واستبد — فى العشر الثانى — كتاب الله ، وهو امر وسط متساويين اهل المشرق والمغرب ، ثم يحفظ اصول سنن الرسول — وهو نحو من الفى حديث فى الابواب . نظمها البخارى ومسلم ، هى عماد الدين ، ويأخذ هو بعد ذلك نفسه بعلوم القرآن ، ومعنى كلماته ، ولا يشتغل برواية الحديث من كل كتاب . فالباطل فيه كثير .. ولا يفرط فى علم الفرائض ، فانها اصل الدين ، وهو اول ما يذهب من المسلمين، ولا يخلى نفسه من الانساب ، وشىء من الطب ... ولا يفرد نفسه ببعض العلوم ، فيكون انسانا فى الذى يعلم ، بهيمة فيما لا يعلم ، .. اذا اخذ المرء نفسه بهذا القانون الذى رسمناه ، سيعتمد على ما هو اوكد ، ويجعل الباقى تبعا ..) (34) .

وينحى باللائمة على الطريقة التقليدية التى اتبعها المغاربة فى التعليم فيقول :

(.. ويا غفلة بلادنا فى ان يؤخذ الصبى بكتاب الله فى اول امره ، يقرأ ما لا يفهم ، وينصب فى أمر غير أهم ...) (35) .

وقد نوه ابن خلدون بطريقة ابن العربى ولخصها فيما يلى : (.. ولقد ذهب ابو بكر بن العربى فى كتاب رحلته — لعله يعنى به قانون التأويل — الى طريقة غريبة فى وجه التعليم ، واعاد فى ذلك وابدا ، وقدم تعليم العربية والشعر ، على سائر العلوم — كما هو مذهب اهل الاندلس ، قال : لان الشعر ديوان العرب ، ويدعو الى تقديمه وتقديم العربية فى التعليم — ضرورة فساد اللغة ، ثم ينتقل منه الى الحساب ، فيتمرن فيه حتى يرى القوانين ثم ينتقل الى درس القرآن ، فانه يتيسر عليه بهذه المقدمة ، ثم ينظر فى اصول الدين ، ثم اصول الفقه ، ثم الجدل ، ثم الحديث وعلومه ، ونهى — مع ذلك — أن يخلط فى التعليم علمان ، الا أن يكون قابلا لذلك — بجودة الفهم والنشاط ..) (36) .

قال ابن خلدون : (هذا ما اشار اليه القاضى ابو بكر — رحمه الله — وهو لعمرى مذهب حسن، الا ان العوائد لا تساعد عليه ، وهى املك بالاحوال ..) (37) . ثم بين وجهة نظر اهل المغرب فى تقديم تعليم القرآن على غيره — مهما كان — قال : (ووجه ما اختصت به العوائد من تقديم دراسة القرآن — ايثارا للتبرك والثواب وخشية ما يعرض الولد فى جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم ، فيفوته القرآن ، لانه ما دام فى الحجر منقاد للحكم ، فاذا تجاوز البلوغ ، وانحل من ربقة القهر ، فربما عصفت به رياح الشبيبة ، فالقته بساحل البطالة ، فيغتنمون فى زمان الحجر . وربقة الحكم — تحصيل القرآن ، لئلا يذهب خلوا منه ، ولو حصل اليقين باستمراره فى طلب العلم ، وقبوله التعلم ، لكان هذا المذهب الذى ذكره القاضى (ابو بكر بن العربى) — اولى ما اخذ به اهل المغرب والمشرق (38) .

وربما اقتبس ابن العربى طريقته مما شاهده بالشرق من اساليب التعليم ، ومما اخذ به نفسه من الاقراء والتدريس خلال سبعين سنة او تزيد ، ويذكر عن بعض الطرق التى شاهدها بالمشرق فيقول : (.. كنت احضر عند الحاسب بتلك الديار المكرمة — وهو يجعل الاعداد على المتعلمين الحاسبين — وانواعهم مملوءة من الماء ،

---

34 — انظر العواصم من القواصم ج 212/2 -- 213 .
35 — انظر قانون التأويل ص (84 — 1) — (مخطوطة خاصة) .
36 — نفس المصدر (ص 83 — 1) ، وانظر مقدمة ابن خلدون ص 1013 — 1014 .
37 — انظر المقدمة ص 1014 .
38 — نفس المصدر ص 1014 — 1015 .

حتى اذا انتهى التأوه ، وقال : ما معكم ؟ رمى كل واحد بما فى فمه ، وقال ما معه ، ليعوده على خزل اللسان عن تحصيل المفهوم عن المسموع ، قال : وللقوم — فى التعليم — سيرة بديعة ، وهى أن الصغير منهم — اذا عقل — بعثوه الى المكتب . فاذا عبر المكتب ، اخذه بتعلم الخط والحساب والعربية ، فاذا حذقه كله ، أو حذق منه ما قدر له ، خرج الى المقرىء ، فلقنه كتاب الله ، فحفظ منه كل يوم ربع حزب ، او نصفه ، أو حزبا ، حتى اذا حفظ القرآن ، خرج الى ما شاء الله من تعلم العلم او تركه ، ومنهم — وهم الاكثر — من يؤخر حفظ القرآن : ويتعلم الفقه والحديث ، وما شاء الله ، فربما كان اماما — وهو لا يحفظه ، وما رايت بعينى اماما حفظ القرآن ، ولا رايت فقيها يحفظه ، الاثنين ، ذلك لتعلموا أن المقصود حدوده لا حروفه ، وعلقت القلوب اليوم — بالحروف ، وضيعوا الحدود ...) (39) .

ومن مؤلفات ابن العربى فى التربية والتعليم :

65 — «كتاب آداب المعلمين» — ذكر الشوشاوى فى كتابه «الفوائد الجميلة ، فى الآيات الجليلة» (40) .

39 — أنظر الاحكام 301/2 .
40 — (مخطوط خاص) .
41 — انظر ص (452) — مخطوط خاص .
42 — نفس المصدر .
43 — أنظر 56/1 — 66 .
44 — انظر صفحات : 452 ، 453 ، 454 ، 455 ، 456 . (مخطوط خاص) .

66 — «مراقى الزلف» ذكره أبن عرضون فى «مقنع المحتاج ، فى آداب الازواج» (41) ويذكر ابن العربى فى كتابه «مراقى الزلف» — وهو يحدد منهجه فى تربية الطفل وتعليمه فيقول : (.. اعلم ان الصبى امانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ، خالية من كل نقش وصور ، وهو قابل لكل نقش ، ومائل الى كل ما يمال به اليه ، فان علم الخير وعود خيرا نشأ عليه ، وسعد فى الدنيا والآخرة ، وشاركه فى ثوابه ابواه ، وكل معلم ومؤدب له ، وان عود الشر ، واهمل اهمال البهائم ، شقى وهلك ، وكان الوزر فى رقبة القيم به والوالى عليه .. فعليه ان يصونه ويؤدبه ، ويعلمه محاسن الاخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ، ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية ....) (42) .

— وابن العربى يلتقى فى كثير من آرائه التربوية والتعليمية مع شيخه الغزالى فى «الاحياء» — (43) وكتاب «مراقى الزلف» من مؤلفات ابن العربى التى هى فى حكم المفقود ، لكن ابن عرضون احتفظ لنا بفصول مهمة منه — فى «مقنعه» (44) .

(يتبع)

المسيرة المظفّرة

للأستاذ الشاعر محمد بن محمد العلمي

تلك ذكرى المسيرة الحسنيه … تتباهى بالامة المغربيه
حيث ارضى بها (الحسن) لشهـ … ـم الها لـه وارضى نبيه
فهو اعطى لشعبه اروع الامـ … ـثال في الملتقى وفي الاريحيه
وانطلاق المواكب الخضر صوت … سمع العالمون طرا دويه
الف مرحى للقائد (الحسن الثا … ني) الذي هز كل نفس ابيه
حبه ملء قلبنا ، فهو شهد ، … ورحيق يجري بكل خليه !
ورث الخامس العظيم ، فكانت … منه فيه المفاخر الابويه

* * *

تلك ذكرى مسيرتنا الخضـ … ـراء عادت بالمعجزات البهيه
فاعادت من الجهاد فصولا … تتجلى في الوحدة الوطنيه
والفتوحات هاهنا تملأ الدهـ … ـر وتحيي الروائع السندسيه
لبس المجد تاجه في حمانا ، … وتناهى للدولة العلويه !
انجبت للبلاد كل عظيم … قد حباه الاله حب الرعيه
نحن بالعرش أمة قد اقامت … مجدها ، فهي بالعهود وفيه
بيعة اثر بيعة ، وولاء ، … واعتزاز بالحضرة والمولويه
والكرامات دائما عند آل الـ … ـبيت تترى في الدوحة الاحمديه!
لم يخب قط من جعل اللـ … ـه بصدق وكيله ووليه

قد كتبنا تاريخنا بنضـال … رصعته الملاحم الابديه

والمسيرات هاهنا فى اتصـال ، … لنماء وعـزة قـوميه

نحن قبل التاريخ عرقا واصـلا ، … نرسم الخلد بالنفوس الرضيه

لا نهاب الخطوب والليـل داج ، … نحيـاة القيود هـي المنيه

وصنعنا التاريخ روحـا وشكـلا ، … وبنينـاه بالحصون القويه

وورثنا التاريـخ حسا ومعنـى ، … وبعثنـاه نخـوة ومزيه

وشباب البـلاد يحيـا بمـاض … مشرق ، فالانـام منـه زكيه

ان تاريخنا انفتـاح وطهـر ، … وهو تحفيزنـا لاسمـى قضيه

وهو تجديدنـا ، وتعبئـة الـرو … ح دواما الى المزايـا السنيه

وهو يرعى مصلح الوطن العلـ … ـيا ، ويوحي بالعز والالمعيه

ان عرفنا تاريخنا ، فلقـد فـز … نا بوعي للميـزة الشخصيه

ورددنا المستعمريـن حيـارى ، … وفرضنا وجودنا فى البريه !

بالتحام ما بين عرش وشعـب ، … وحد الله روحنـا الاطلسيه

ان وعي التاريخ صبح جديـد ، … فجر النور فى القلوب النقيه

قد عرفنا فى ذاتنا مطمح النبـ … ـل ، فنلنا ما تقتضيه الوصيه

وزرعنا بالصدق بذرة خيـر ، … فاتت بالخلاص اخلص نيه !

حيث كنا ، وما نـزال بحـق … اهل عـزم وغيـرة وحميه

ننجز الدهر ما نشاء ، فنحظـى … فى منال الامجـاد بالاولويه

والرعايا خلف الامام جنـود … حققوا الفتح باقتحام البليه

واستجابوا فى طاعـة وتفـان … لنـداءات جوهـر العبقريه

من رجال ، ونسوة ، وصبايـا ، … كلهم قدموا النفوس السخيه ، !

والسلام المنشود جاء لشعـب … يقظ ، فائز بصفـو الطويه

ان (لاهـاي) ايدتنا بحـق ، … ثابت فى المحافـل الدوليه

وكفى الله المؤمنيـن قتـالا ، … ووقاهم باللطف كـل رزيه !

ان (خطري) فى بيعة القرن قد مـ … ـثل (كعبا) فى البردة النبويه ،

حسبه عـزة بقـرب حفيـد … للرسول الامين ، جزل الهديه !

واستعدنا صحراءنا فى اتحـاد ، … وانسجام ، وحكمـة ، ورويه

والكتاب المبين أقوى ضمـان ، … ظللتـه تلك البنـود العليه

وصلاة الشكـر امتنان لشـرب … ليس تخفاه فى الوجود خفيه

وعيون السحر الحلال تؤاخـي … فى (رباط الفتح) (العيون) النديه !

لم يرق طغمة الجزائر قطعيـــا ... ما بعثنا من نعمــة وحدويــــه
ساءها ما رات هنا من وجـــنبوع ... لحياة مــع الخــلاص هنيئـــــه
بل ارادت توترا ، واختلاقيـــا ، ... للمآسي فى الحالــة المزدبــنيــه
وبــلادي تشبثــت بــســلام ، ... واستعاذت بالنخــوة العربيـــــه
ان دين الاسلام يأبــى عليهـــا ... اي مس بالحرمــة الاخويـــه !
وبباهي (الجولان) (سيناء) بالمغـ ... ـــرب حقا فى الصولة الدمويـــه
وبـ (زايـــر) ما يبل غليـــلا ... فى اجتثاث المطامــع الاجنبيـــه
نحن ضد التضليل من اي نـــوع ، ... نطلب الحق بالطريــق الجليـــه
و (ليبرفيل) وهي اخت (لولومبو) ... ابدت فى (الخرطوم) تلك القضيـــه !
وبكل المحافل اتضــح الحـــ ... ــق صريحا فى (الوحدة الافرقيه)

* * *

تمقت المعتدي باقليم (طاطـــا) ، ... لا نريد المزاعـــم الهمجيـــه ،
(آمغالا) ما تزال درسا ابـــراه ... كل من يعقد النوايـــا الدنيـــه
حرمة المغرب الكبير تسامـــت ... عن دعاة اطماعهـــم فوضويـــه
طردوا اهلنا ، وجاروا عليهـــم ، ... تلك والله نكبــة وحشيـــه !
نحن لا ترتضي حدودا لمســـخ ... انشأته السياســة الهواريـــه ،
تلك (تيندوف) ، لاجئوها ، راينـــا ... ها تنادي اهل القلوب الزكيـــه !
عصبة البغي من (بومدين) ضلــت ، ... واضلت تلك الفلول الشقيـــه !
صدق العاهل الكريم الذي نـــــ ... ــبه قوما للساعة السياسيـــه !
والامر الادهى تغافــل نــــاس ... عن قيام للســاعــة الخلقيـــه !
هفوات الشعوب اخزى وانكـــى ، ... فهي درس فى العبرة التاريخيـــه
وعلى اهلها (براقش) تجنـــي ... فهي ليست مع نفسها منطقيـــه
تخدع النفس بالسراب ، وتبنـــي ... فى الخيال الحكومة الوهميـــه
حاولت أن تبتاع كـل ضميـــر ... عفن يسكن العقــول الغبيـــه
غير ان الاطماع فيهـــا تنافـــي ... كـــل روح قويمــة ثوريـــه !
ستزول القشور حتمــا ، وتبقـــى ... للصلاح العناصــر الجوهريـــه
و (ابن باديس غاضب ليس يرضـــى ... ما يراه من فتنــة مخزيـــه !!!
واعتداء العدى بحاسي تلتمـــي ... فضحتــه الرســالــة الملكيـــه
لست أدري ما ذا يراد ، لتحيـــا ... أمة المغرب الكبير الفتيـــه ؟ !

فتنة الحرب سوف يصلى لظاهـــا ... من أتوا يشعلون نــار الرزيـــه
اتقوا الله ! للجــوار حقـــوق ... فرضتها اللياقــة الاخويــه !
واتركوا عنكم المطامـع يا قـــو ... م ! فهــذي عهودنــا مرعيــه
لم خنتم عهودكــم والمواثيــ ... ـق ! فليست أقوالكم منسيــه !
فعليكم تلك الشهــود توالــت ... فى جميع المحافـل الدوليــه
ان داء التوسع اليــوم فيكــم ... شر ما فى الدعايـة الوهميــه
أرضنا لم تكن ممــرا لطــاغ ، ... فبلوغ المحيط عين المنيــه !

* * *

للسلام الوطيد نسعى وندعــو ، ... من يعادوننــا بأســوأ نيــه ،
قدر علينا حق الجوار ، فما هــم ... قد رعوه ، وذاك أصل البليــه !
وتراب البلاد فى الوحدة الكبــ ... ـرى جدير بالصون والاسبقيــه .
تلك ذكر مسيرة (الحسن) الفــ ... ـذ تسامت بروحها التربويــه
فهي ابقى من البقــاء ، وتــاج ... فوق هام الملاحم المغربيــه !

الرباط : محمد بن محمد العلمي



- 2 -

للأستاذ عبد القادر العافية

سبق ان تحدثنا فيما سلف عن أهم العناصر التى ارتكزت عليها شخصية الست الحرة ورأينا تلك العناصر تتلخص فيما يلى :

1 ـ اسمها ونسبها والخلاف حول اسمها ،

2 ـ ثقافتها وذكاؤها

3 ـ زواجها من قائد تطوان محمد المنظرى.

4 ـ زواجها من السلطان احمد الوطاسى وما احيط بهذا الزواج من ظروف وملابسات ...

5 ـ حكمها لتطوان واقليمها .. وسياستها .

6 ـ نهاية حكمها لتطوان وانتهاء حياتها بشفشاون حيث يوجد مرقدها الاخير .

ومن خلال البحث السابق عرفنا ان الست الحرة حكمت تطوان فترة طويلة من الزمن ، ومن المعلوم أن حكم المراة وتدخلها فى الشؤون السياسية لم يكن من الظواهر المادية فى المجتمعات العربية ، الا اننا بالرغم من ذلك فاننا نجد المؤرخين يحدثوننا من حين لآخر عن نساء قمن بادوار سياسية وعسكرية هامة ، وفى نفس هذه الفترة التى تنتمى اليها الست الحرة كانت بعض النساء يقمن بادوار فى الحكم والسياسة ، فمن ذلك مثلا : السيدة زهور الوطاسية (1) التى اعتمد عليها محمد الشيخ ابن ابى زكرياء الوطاسى فى الحفاظ على فاس الجديد ، وفى تسيير العمليات الحربية لمقاومة الحصار المضروب على هذه المدينة ويثبت المؤرخون ان هذه السيدة نجحت نجاحا باهرا فى هذه المهمة (2) .

وكان نجاحها هذا من الاسباب التى مكنت للدولة الوطاسية فى ان تخلف الدولة المرينية فى الحكم .

وتحدثنا المصادر التاريخية كذلك عن الدور الذى قامت به الست مريم بنت محمد الشيخ السعدى فى الحفاظ على قصبة مراكش ايام الصراع الدائر بين محمد المتوكل وعميه عبد الملك واحمد المنصور (3) .

1 ـ زهور الوطاسية بنت منصور بن زيان الوطاسى انظر : الجذورة م : 1 ص : 211 طنجة دار المنصور الرباء .
والاستقصا : ج : 4 : 117
2 ـ نفس المصدر الاخير ص : 120 .
3 ـ انظر نزهة الحادى للافرانى ص : 64 الطبعة الثانية ، الرباط والاستقصا : ج 5 ص : 68 .

وفى نفس هذه الفترة تحدث المؤرخون باعجاب عن الدور الذى قامت به السيدة سحابة الرحمانية والدة ابي مروان عبد الملك السعدي لدى السلطان مراد العثمانى حيث استطاعت هذه السيدة بذكائها وحسن سياستها ان توطد الملك لولدها وان تجلب له عطف الامبراطورية العثمانية وبذلك تغلب عبد الملك واخوه احمد المنصور على ابن اخيهما محمد المتوكل تتبل معركة وادى المخازن (4) ٠

وتحدثنا المصادر التاريخية كذلك عن الدور الذى قامت به السيدة ــ صوت النساء ــ والدة الامير يغمراسن لدى السلطان الحفصى ابى زكرياء يحيى (628 هـ ــ 647 هـ) ٠

حيث نابت هذه السيدة عن ولدها فى تقديم مراسيم البية للسلطان الحفصى الذى تقبلهـا بقبول حسن ، بعدما كان ناقما على ولدهـا ، بل تقدمت للسلطان باقتراحها فى العفو وشروطـه ، وبذلك ضمنت لولدها العودة الى رئاسة قومه مـن بنى عبد الواد تحت طاعة الخليفة الحفصى ، ونال بعد ذلك حظوة كبيرة ودان له المغرب الاوسـط ، كل ذلك بفضل الدور الديلوماسى الذى قامت به تلك السيـدة (5) ٠

واذا اضفنا هذا الى ما عرفناه من قبل عن السيدة (الحرة) عائشة زوج السلطان ابى الحسـن ابـن الاحمر وام آخر ملوك غرناطة بالاندلس محمد ابن الاحمر فاننا نجـد أن تدخـل النساء فى الشـؤون السياسية لم يكـن شيئا غير معـروف البتـه فى تاريخنا الاسلامى بل نحن اذا ما جاوزنا هذه الفترة فاننا نجد التاريخ يحدثنا من حين لآخر عن نساء كان لهن دور فى الميدان السياسى سواء فى مصـر ، او بغداد او الاندلس او غيرها ٠

الا انه بالرغم من كل هذا فان حكم الســت الحرة لتطوان تميزه ظروف وملابسات خاصة ٠

1 ــ استقلال هذه السيدة بالحكم فى هذه المدينة واقليمها لمدة من الزمن ٠

2 ــ وجود مركز حكمها فى منطقة حساسة تشرف على ملتقى الابيض المتوسط بالمحيط الاطلسى، وهى فى نفس الوقت قريبة من أوروبا ٠

3 ــ وجود اقليم حكمها بيـن عدة ثغـور محتلة احتلالا اجنبيا وبواجه اخطارا صليبية محدقة من جميع الجوانـب ٠

4 ــ وجود حكومتها فى عصر كانت تتصارع فيه الامبراطوريات العظيمة فى الشرق والغرب من اجل تركيز نفوذها على المناطق الحساسـة ، وكانـت منطقة تطوان بحكم موقعها فى غرب الابيض المتوسط وبحكم وجود عدد من المهاجرين الاندلسيين بهـا ، وبحكم تزعمها فى هذه الجهات لحركة الجهاد فـى البحر ضد المسيحيين ، وبحكم كونها تمثل الجـدار الواقى لداخل المغرب ...

فبحكم هذه الاعتبارات وغيرهـا كانت هـذه المنطقة مطمعا وهدفا للقوات المتصارعة فى هذه الفترة ، خاصة منها القوة العثمانيـة فى الشرق ، تلك القوة التى بسطت نفوذها على معظم الساحل الجنوبى للابيض المتوسط ، والقوة الصليبيـة فى شبه جزيرة ايبريا بزعامة الامبراطور كارلو كينطو ٠

ولوجود هذه الظروف والملابسـات يمكننـا اعتبار حكم الست الحرة فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ المغرب اعتبارا خاصا ٠

ولعل هذا الاعتبار الخاص هو الذى اضفى على حكم الست الحرة لتطـوان واقليمها صبغـة متميزة جعلت بعض الكتاب والمؤرخين يتحدثون عن هذه السيدة بكثير من الاعجاب والاستغراب ٠

ولقد سبقت الاشارة الى عنايـة المؤرخيـن الاجانب بالحديث عنها وعن سياستهـا ...

ولاحظنا ان شغف المؤرخين الاجانب بالحديث عن الست الحرة جعلهم يفترضون لها اسمـا غير اسمها ، وولدا غير ولدها ، ومدفنا غير مدفنها ...

فالست الحرة اذا شخصية بارزة لامعـة لعبت ادوارا هامة فى سياسة المغرب فى منطقـة

4 ــ انظر النزهة ص : 61 و 62 ... والاستقصا ج : 5 : ص 62 ٠

5 ــ انظر تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمـن بن محمد الجيلالى ج : 2 : 15 ٠

من اخطر مناطق المغرب في ذلك العصر ، وفي فترة من احرج فترات تاريخنا الوطني .

وعليه فالمعية الست الحرة جاءت نتيجة لتحملها الاعباء السياسية في زمان ومكان لهما ظروف ومميزات خاصة .

ولعل هذا مما جعل السلطان احمد الوطاسي يطلب ودها ويدها معا ؛ لتصبح له حليلة وزوجة ، وحليفا ومعينا ...

واذا كنت قد تحدثت من قبل عن زواج السلطان احمد الوطاسي بالست الحرة واعطيت نظرة عن ظروف ذلك الزواج وملابساته حسب ما اسعفت به المصادر في هذا الموضوع ، فانني ساحاول فيما ياتي اعطاء نظرة موجزة عن وثيقة عقد قران الست الحرة بالسلطان احمد الوطاسي تلك الوثيقة التي اشرنا اليها من قبل والتي ذكرنا انها من بين الوثائق الملكية المنشورة بالمجلد الاول والتي هي في نفس الوقت تستحق الدراسة والتحليل .

ومن المعلوم ان هذا الزواج الذي تتحدث عنه الوثيقة تم في تطوان ولم يتم في فاس حيث قصور السلطان ومنتزهاته وبساتنه وحيث مظاهر ابهته وعظمته ، وقد رجحنا من قبل ان الغاية من هذا الزواج كانت سياسية قبل كل شيء . واشرنا الى ان العلاقات التي كانت تربط البيت الملكي الوطاسي ببيت بني راشد بشفشاون كانت علاقة ذات روابط متعددة : عائلية ، وسياسية ، ووظيفية ، وعرفنا ان السلطان احمد الوطاسي قدم الى تطوان في جموع عديدة وجيش جرار ومعه مجموعة من العلماء كانت تعد في طليعة علماء المغرب في ذلك العصر وكان على راسهم شيخ الجماعة (على ابن هارون) وفي تطوان جرت حفلات الزفاف ، وكتب عقد الزواج ، حيث حرر هذا العقد ببالغ العناية والاهتمام ...

واذا القينا نظرة على هذا العقد فان اول ما يلفت النظر فيه هو اسلوبه المنمق ، وعباراته المنتقاة المحبوكة مما جعله على درجة رفيعة من البلاغة وجمال التعبير ...

ويبدو من خلال قراءة العقد ان كاتبه كان متضلعا في معرفة الكتاب والسنة ، لان معظم فقراته نراها مقتبسة من الآيات القرآنية الكريمة ومن الاحاديث النبوية الشريفة .

فالعقد من حيث اسلوبه وصياغته يعد من غرر الوثائق المكتوبة في موضوعه : جمال ، اسلوب، وجزالة تعبير ، وحبكة ادبية ، وبراعة في الصياغة والاداء ...

ولعل كل ذلك غير غريب في عقد زواج بين ملك من سلالة الملوك ، وبين اميرة شريفة النسب نبيلة المحتد .. ذات مكانة اجتماعية وسياسة مرموقة .

وعرفنا فيما سلف ان حاشية السلطان تضم مجموعة من العلماء الكبار مثل شيخ الجماعة على ابن هارون وعبد الواحد الونشريسي ، وعبد الوهاب الزقاق ، وابي عبد الله محمد اليسيتني وغيرهم (6) ونظرا لما عليه هذا العقد من براعة في الصياغة وجمال في الاسلوب والاداء فانني لا استبعد ان يكون من انشاء ابي مالك الشيخ عبد الواحد الونشريسي لان هذا الشيخ كان معروفا بالتفوق في مثل هذه الميادين (7) وكان مشهورا بخطبه البليغة وباسلوب الرائع ...

ومما يرجح هذا الاحتمال وجوده ضمن مجموعة العلماء الذين كانوا برفقة السلطان في تطوان .

ومهما يكن من امر فان اهم عناصر عقد الزواج بين السلطان والست الحرة تتلخص فيما يلي :

1 — مقدمة تتضمن الحمد والثناء ، والاقرار بوحدانية الله تعالى وبرسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

2 — التعريف بالاسرتين المتصاهرتين وذكر عمود نسبهما والاشادة بهما .

6 — ارجع الى التعليق رقم : 20 — بالقسم الاول من هذا البحث .
7 — انظر نزهة الحادي ص : (21) ط : الرباط والاستقصا ج : 4 :ص 101 و 102 .

3 — ذكر الصداق ومقداره ، ومعجله ومؤجله ووصف ما أشتمل عليه من نقود وإماء وبغال وملابس .

4 — ذكر الولى فى هذا النكاح والتعريف به والاطراء والثناء عليه .

5 — تذييل العقد بامضاءات الشهود والقاضى .

اما فيما يتعلق بمقدمة هذا العقد فان كل جملة من جملها صيغت صياغة تعلى من شان الزواج وقدره وتشيد بحكمه وفوائده ومن ذلك قول كاتب العقد مثلا .

« ...والحمد لله الذى اكمل على الانسان عوارف الانعام وخلق له من نفسه سكنا ليكون ابلغ فى الائتلاف والانتظام ، جعل بينهما من المودة والرحمة ما اكد اسباب الالتحام وبث منهما خلقا كثيرا عمر بهم الارض بحسب حكمته الواضحة الاعلام ، واجراهم على ما سبق به علمه فى الافتتاح والاختتام تعجيلا وتاجيلا ... (8).

وبعد مقدمة طويلة فى عبارات منتقاة مشرقة مهد الكاتب للتعريف بالاسرتين تمهيدا لطيفا ثم اغدق الاوصاف الجليلة والالقاب الفخمة على البيتين الكريمين ، وفى أثنا هذا التعريف بهما يعطينا حقائق تاريخية هامة فمن ذلك مثلا انه يصل نسب الوطاسيين بلمتونة مع انه من المعروف عند النسابين والمؤرخين ان بيت الوطاسيين هو فرع من بنى مرين (9) .

ويبدو أنه كانت هناك ظروف خاصة تقتضى هذه النسبة الى المرابطين خاصة وانه فى هذه الفترة كانت القوة السعدية قد استولت على جنوب المغرب وكان الوطاسيون يحاولون تعزيز وجودهم بكل الوسائل ولعله من جملة وسائلهم الانتساب الى لمتونة . المكونين لدولة المرابطين من قبل .

ويؤكد العقد على القطع بنسبة بنى راشد الى البيت النبوى الكريم . وهذا هو المشهور والمعروف عند النسابين والمؤرخين الا اننا كنا لاحظنا اثناء حديثنا عن ابن عسكر انه ينفى هذه النسبة وذلك للعداوة المتاصلة بينه وبينهم (10) .

وفى النسبة الاولى يقول : « ابن ابى زكرياء يحيى ابن زيان بن عمر بن على بن يوسفبن ابى مكى بن محيى بن الوزير بن القائد بن سيد الملوك اللمتونى الوطاسى حفظ الله جلاله ، وحرس كماله ، ونصر لواءه ، وخذل اعداءه ، وابقى ذكره المبارك وثناءه ... » (11) .

كل ذلك بعد ما وصف كل ملك من الملوك الوطاسيين بالاوصاف الحميدة واضفى عليه ما شاء من الالقاب الجليلة .

اما فى بيت بنى راشد فيقول : « الى ان هداه قائد التوفيق الى بيت الشرف الذى تكاثفت حجب الصون على اكنافه ، واخذت عصم الطهارة باوساطه واطرافه ، وانعقد الاجماع على صحة شرفه ، فلا يفوه احد بخلافه ، وهو بيت الشريف الكبير المقدار ، الحميد الابراد والاصدار (12) .

ويشير العقد كذلك الى قضيةهامة ، وهى العلاقة بين بنى راشد حكام شفشاون وبين البيت الوطاسى المالك .

ومن المعلوم ان افرادا من بيت بنى راشد كانوا قد ظهروا على مسرح الاحداث بشمال

---

8 — الوثائق الملكية المجلد الاول ص : 348 .

9 — علق الاستاذ عبد الوهاب بن منصور على هذه النسبة قائلا : «من المحقق ان بنى وطاس بطن من قبيلة بنى مرين ، ولكن وجد من المؤرخين من نسبهم الى لمتونة ، ولعل ذلك لعلل سياسية » . نفس المصدر ص : 350 .

10 — انظر حديثنا عن ابن عسكر بمجلة دعوة الحق العدد الثالث والرابع السنة — 19 — .

11 — الوثائق الملكية م : 1 : 350 .

12 — نفس المصدر ص : 351 .

المغرب قبل تربع جد الملوك الوطاسيين على عرش البلاد .

ومن المعلوم كذلك ان العلاقة بين بني وطاس وبين بني راشد لم تكن دائما حسنة ، بل كثيرا ما كان الوطاسيون يلجأون الى استعمال القوة ضد الامارة الراشدية بشفشاون ، وتحدثنا الوثائق عن الزحف على هذه المدينة سنة 901 هـ من قبل محمد الشيخ ابن ابى زكرياء الوطاسى .

وفى زحفه هذا اخضع على ابن راشد وفرض عليه الاقامة الاجبارية بفاس (13) .

كما تحدثنا المصادر عن زحف آخر على شفشاون قام به السلطان احمد الوطاسى المتحدث عنه فى هذا العقد (14) .

ومع ذلك فان كاتب العقد تغاضى عن ذلك كله وجزم باخلاص بيت بنى راشد للبيت الوطاسى ، واثبت ان العلاقة بينهما هى علاقة ود وخدمة من جانب بنى راشد للملوك الوطاسيين فقال : « ... والمعلوم ما له من صريح الود وخالص الاعتقاد فى سلف مقام هذا السلطان الاحمدى الحميد الآثار، وسالف الخدمة التى اوجب الوفاء رعيها على تداول الاحقاب ، وتعاقب الاعصار السيد الشريف المجاهد المثاغر المبرور المنعم المقدس المرحوم ابى الحسن على ابن ساداتنا الشرفاء الجلة الاعلام سرج الهدى ومصابيح الاسلام المعجز خطر شانهم فلا تستوفيه الالسنة والاقلام ، وكيف يستوفى ثناء من سما فوق السماء مجده فسيدة نساء العالمين امه ، وسيد كرام المرسلين جده فكل ثناء دون شانهم فحسبنا ذكرهم تبركا باسمائهم ...» (15)

وهكذا يسترسل من اغداق الاوصاف الكريمة والالقاب الشريفة الى ان يصل بنسب على ابن راشد الى «القطب» الشيخ عبد السلام ابن مشيش ثم الى المولى ادريس ، فالى على ابن ابى طالب ، ويؤكد اخلاص هذا البيت الشريف الى الملوك الوطاسيين .

وبعد التعريف بالبيتين الكريمين وذكر العلاقة بينهما تطرق العقد الى صميم الموضوع فيقول :

« فخطب فيه ابنته الاصيلة البرة المسماة بالحرة اجمل الله صونها واحسن على طاعته عونها ... » (16) .

ثم يصف هذه الخطبة باليمن والبركة والسعد .. وبعد ذلك يتعرض كاتب العقد لمقدار الصداق ونوعه فيقول : « ... وعلى صداق مبارك جملته بين قد اوجبته المياسرة اعجالا ، وكالىء اقتضته المكارمة امهالا : اربعة آلاف أوقية من النقرة الجارية السكية ، وعشرون مملوكة من وسط رقيق السودان ، وعشرة من البغال المتوسطة فى نوعها وحوائج تشتمل على ثوبى موبرة ، وفضلتى وجه اسكندرانى وفضلتى غريض ، وستين وسبنيتين ، وربع المائة واربعة مناشف ، واربعة كنابش كل ذلك من الجديد العالى فى جنسه ... » (17)

ومما لا شك فيه ان هذه الفقرة المتعلقة بالصداق ونوعه ووصفه تحتاج الى دراسة من الناحية الاقتصادية ، والاجتماعية ... فالصداق يشتمل على عشرين مملوكة من رقيق السودان ، وعلى اربعة آلاف اوقية (النقرة) ثم على انواع من الثياب والملابس ثم هناك قضية تشطير الصداق الى معجل ومؤجل ، وذكر الاشياء المتوسطة فى نوعها والعالية فيه ... الخ

13 — عروسة المسائل .. ص : 17 لابى عبد الله محمد الكراسى ، بتحقيق الاستاذ عبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية الرباط . 1963. ولقط الفرائد لابن القاضى فى احداث 901 هـ / 1495 م مخ. خ. ع. ر. 270 . ك .

14 — نفس المرجع الاخير فى احداث 948 هـ / 1541 م .

15 — الوثائق الملكية م : 1 : 351 .

16 — نفس المصدر .

17 — نفس المصدر .

18 — نفس المصدر ص : 342 .

كذلك يستــرعى انتبـاه دارس الاوضــاع الاقتصادية ، واحوال العملــة ونوعهــا ، ودارس الاوضاع الاجتماعية وتقاليد الناس واعرافهم فى هذه الفترة من تاريخ المغــرب .

وبعدما فرغ الكاتب من وصف الصداق ومــن ذكر معجله ومؤجله قال : « تزوجها على كلمه الله العالية فى الكلم ، وعلى سنة سيدنا ومولانا محمد التى عمر بركتها جميع الارض انكحه ايـاها بـاذنها ورضاها اخوها للاب السيد الشريف العالى القدر المنيف معدن الشرف والفخار ، ومنتهى المجــد والوقار وجامع اشتات الفضائل الكبار التى علــى مثلها ينثنى ، واليها يشار ... » (12) ويغدق على اخى العروس اوصافا هى غاية فى الفخامة والتمجيد الى ان يقول : « .. ابو عبد اللــه محمد وقبلــه الزوج نصره الله وارتضاه ، والزمه نفسه الكريمة وامضاه على ما قرره الشرع الواضح واقتضاه ، والله تعالى يؤلف بينهما على ما يحبه ويرضاه (19).

واخو العروس هذا اشرنا اليه فى القســم الاول من هذا الموضوع وعرفنا ان السلطان احمد حاصره بشفشاون وتغلب عليه ، ثم اقره فى مكانه بعد ما تدخل الوجهاء والعلمــاء فى ا لصلــح بينهما .

وهنا يثبت كاتب العقد انه هو الذى تولى ولاية النكاح على اخته الست الحرة ومنحه الكاتب مــن الاوصاف والالقاب الشىء الكثير .

ويغلب على الظن انه صحب السلطان احمد الوطاسى فى اثناء رحلته الى تطوان واقام معه الى ان تمت مراسيم حفلة الزواج .

واشرنا من قبل الى ان بعض الوثائق ذكرت ان محمدا هذا عمل على الاتصال بالسعديين بعــد فتحهم لمراكش ، وسنرى انه فى سنة 1552/959 م كان من بين حاشية السلطان محمد الشيخ السعدى بفاس — ويستفاد من ابن عسكر فى الدوحه ان محمدا هذا لعب دورا خطيرا فى المناظــرة التى جرت — بمحضر السلطان محمد الشيخ — بين الشيخين : عبد الله الهبطى (ت963) هـ ومحمد اليسيتمنــى (ت 959) واشترك معه فى هــذا الدور الكاتــب الشهير محمد بن عيسى التهلى (ت 990) (20) :

ولعله من خلال دراسة هذا العقد يستطيع الدارس ان يصل الى بعض الحقائق الهامة عــن تاريخ هذه الفترة التى تعد المصــدر عنها مــن الندرة بمكــان .

أما عن الشهود وامضاءاتهم فى هذا العقــد فكل ما يستفاد من الشيخ احمد المنجور فى الفهرس هو ان جماعة من العلماء كانت مع السلطان فى هذه الرحلة حدثه بذلك شيخه ابو عبد محمد اليسيتنى منهم شيخ الجماعة على ابن هارون وعبد الواحد الونشريى ، وعبد الوهاب الزقــاق ، وشيخــه اليسيتنى نفسه ، وغير بعيد ان يكون بعض مــن هؤلاء من بين الموقعين على العقد ، ويصرح الاستاذ عبد الوهاب بن منصور اثناء تقديمه لهذه الوثيقة قائلا : « ... وتاملت اشكال العدول والقاضى فميزت منها شكــل الفقيه الشهيــر على بــن موسى بن علــى بــن هارون » (22) .

ولا يبعد ان تكون بعض الاشكال الاخــرى لبعض من ذكر من العلماء الذين كانوا فى حاشيــة الملك .

وبهذه النظرة الموجزة عن شخصية الست الحرة وعن بعض ظروف حكمهــا بتطــوان فــى القرن العاشر الهجرى نكون اسهمنا فى ازاحــة الستار عن امراة حاكمة تعد من المع النســاء فى تاريخنــا الوطنــى .

تطــوان :

عبــد القــادر العافيــة

19 — نفس المصدر .
20 — دوحة الناشر لابى عسكر ص : 6 : ط : حجرية . وعن المناظرة ارجع الى حديثنا عنها بمجلة دعوة الحق العــدد (10 س 17) تحــت عنوان « حول النفى فى كلمة الاخلاص » .
21 — فهرس احمد المنجور ط : الرباط تحقيــق الدكتور محمد حجــى .
22 — الوثائق الملكية م : 1 : 346 .

في تاريخنا المنسي :

مليلية الأسيرة

للأستاذ حسن السائح

شاهدت حركة الاسترجاع فى الاندلس اتفاقات صلية كان كان فى جملتها اقتيام الشاطىء المغربي بتدخل (اسبانيا) بين القوتين المسيحيتين الاسبانية والبرتغالية . وكان من نتائج الامتداد الاسبانى فى المغرب احتلاله لمليلية وسبتة . وظل المغاربة يدافعون مستبسلين على المدينتين الاسيرتين ومن تاريخ مليلية تصبدنا هذه الفتوى لعلامة عصر الشيخ التاودى ابن سودة فى موضوع صراع المغاربة بعد حروب مليلية ضد بعض المساعدين منجيرانه للجيش المغربى ....

وسئل الشيخ التاودى من قبل مولانا المنصور بالله سيدى محمد بن عبد الله العلوى رحمها الله ايام حصره على ثغر امليلية اواخر سنة ثمانية وثمانين ومائة والف بما نصه الحمد لله العلامة الافضل السيد التاودى بن سودة سلام عليه ورحمة الله وبركاته اما بعد فانه ظهر الترك ان بعض المسلمين ممن شماتهم ولا يتهم حضروا معنا هذا الجهاد فلما رجعوا اليهم اباحوا دماءهم وروعوا اولياءهم وتمالاوا على ان يكون هذا جزاءهم فانظر الى هذا الفعل القبيح وهل يفعله الا كفور صريح والان خط لنا ما تحكمه الشريعة المطهرة فيهم والسلام فاجاب الحمد لله لا شيء ان فعل ماذكر من القتل والتنكيل بمن ءاوى الى الله من المسلمين وانحاز الى طائفة المجاهدين لتحصيل غروة اوروحة فى سبيل الله وما وعد الله لاهلها والذخير من الدنيا وما فيها لا ينبغى ان يعرفنا عليه من اهل الدين ولا ا ان يدخل فى جملة المؤمنين لما اقتضاه فعله هذا من رقة الديانة وضعف الامانة واهانته ماعظم الله قرر ورفع على لسان رسول صلى الله عليه وسلم ذكره وجزاؤه هو ان يؤخذ فيقتل بعد ان يطاف به جزاء للسيئة بمثلها وقصاصا من نفسه الخشبية بسوء فعلها ثم يرد الى ربه وهو اعلم بقصده

ونيته فان كان قتله لمن جاهد نصرة لاعداء الله وحمية لهم ومحبة فى دينهم فهذا خلع من عنقه ربقة الاسلام واستحواء يلحق بمن عبد الاوثان والاصنام انما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الاية وفى صحيح مسلم حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة امهاتهم وما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين فى اهله فيخونه فهم الاوفق يوم القيامة فيأخذ من عمله ماشاء فما ظنه بمن يخونه فى نفسه وفضل الجهاد وعظم موقعه من المعلوم ضرورة عند كل من المسلمين وفى صحيح النجارى عن ابى هريرة ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عمل يعدل الجهاد قال لا اجره وفيه ايضا ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض وفيه ايضا قيل يارسول الله من افضل الناس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مومن مجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله وقالوا ثم اى قال مومن فى شعب من الشعب يتقي الله ويدع الناس من شره الرغيد هذا مما لا يحصى كثرة والله اعلم ٠

واجاب بعده الشيخ بنانى تغمد الله برحمته فقال الحمد لله والله الموفق للصواب ان الذى يفعله ذالك بالمسلمين لا يشك فى نفسه وظلمه وجوره وانه من اهل العظام فى الدين وذو الكبائر من المفسدين يجب على كل من قدر عليه وتمكن ان يكف اذاء عن المسلمين فقد روى ابن ماجة باسناد حسن عن البراء بن عازب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لزوال الدنيا جميعا اهون على الله من قتل مومن بغير حق وروى الترمذي وقال حديث حسن عن ابى سعيد الخدرى وابى هريرة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان اهل السماء والارض اشتركوا فى دم مومن لاكبهم الله فى النار وروى اليقى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعان على قتل مومن بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة ءايس من رحمة الله ويكفى فى ذلك قوله سبحانه ومن يقتل مومنا متعمدا الى عذابا عظيما هذا الوعيد فمن قتل مطلق المسلمين فيكف بمن يتعدى على المجاهدين الذين قاموا بهذه الوظيفة العظمى عن غيرهم من المومنين وكونه ممن له الولاية عليهم كما ذكره السائل فى السؤال لا يسوغ له ذلك الفعل الشنيع بل ذلك مما يزيد فى شناعته وقبحه وقد قال صلى صلى الله عليه وسلم ما من امتى احدولى من امور المسلمين شيئا ولم يحفظهم بما يحفظ به نفسه الالم يجد ريح الجنة رواه الطبر اذن ابن عباس رضى الله عنهما وقال صلى الله عليه وسلم من ولى أمة من امتى قلت او كثرت فلم يعدل فيهم كبه الله على وجهه فى النار روان الحاكم عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال صحيح الاسناد ولاجور أعظم مما فعله هذا الظالم فان قلت فهل على هاؤلاء المومنين المقتولين درء حيث توجهوا للجهاد بغير اذن واليهم المذكور قلت لادرك عليهم فى ذلك حيث كان من ولاة الجور كما ذكر ففى العتبة قال ابن وهب ان كان الامام لا لم يجز لاحد ان مبارزا العدو او يقاتله الا باذنه وان كان غير عدل فليقاتل وليبارز بغير اذنه قال ابن رشد وهذا كما قال اذا كان الامام غير عدل لم يلزم استيذانه فى مبارزه ولاقتال وقول الظالم فى النداء عليهم عند الاطامة بهم هذا جزائهم وجزاء من يفعل مثل فعلهم يحتمل ان يكون مراده ان ذلك جزاؤهم على قصدهم الجهاد بغير اذنه اوانه جزاؤهم على قصرهم الجهاد فى تلك الجهة المخصوصة او على قصرهم له مع خصوص القوم الذين توجهوا لنصرتهم والجهاد معهم وعلى كل هذه الاحتمالات ففعله من الكبائر والواجب على من قدر عليه ام يمكن اولياء الدم من ان يقتصوا منه قال تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا الاية ولا يكون كافرا بذلك الفعل اذا لا يكفر احد بذنب من اهل القبلة كما فى الرسالة نعم ان كان قصده من الجهاد محبة الكفرة ونصرة اهله فلا اشكال فى كفره لاكن بالمنع هذا الاحتمال بعيد بحال من هو موسوم بالاسلام وحينئذ فيحمل على انه عاص من اهل الكبائر تجب عقوبته وعقوبة كل من تحالا معه على ذلك الفعل الشنيع واقامه القصاص عليهم كما ذكرنا والله سبحانه اعلم ٠

واجاب ايضا الحافظ العراقى فقال ان قتل النفر الذين توجهوا الى محل الجهاد لتكثير سواد المسلمين والاعانة فى قتل اعداء الله الكافرين يعد من فاعله ردة لانه لا يصدر الا ممن خلع من عنقه ربقة الدين وانه انما قتلهم لاجل جهادهم وقد صرح بذلك حيث نادى هذا جزاؤهم وجزاء من يفعل مثل فعلهم ولا يقتل مومنا مسلما لاجل الجهاد الا كافر فهو كمن قتله لاجل ايمانه فقياسه عليه واضح ظاهر وحكمه انه يستتاب

من فعله الذميم الذى يقصيه من دار النعيم ويدنيه الى دار الجحيم فان تاب فيمكن منه اولياء المقتولين قصاصا وان لم يتب فيقتل حد الكفر وقد خسر خسرانا سنا وحق عليه قوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا الاية فالسيف يحكم عليه على كل حال فهذا هو الحق والله اعلم واحكم وما بعد الحق الا الضلال وقد قال تعالى ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق وقال عليه السلام لا يحل دم امرء مسلم الا احدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل النفس بغير حق وفى صحيح البخارى عن ابن عمر أمرت أن اقاتل الناس الحديث وقد نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى الكعبة فقال لها ما اعظمك وان حرمة المومن لاعظم منك ولا سيما من تلبس باعظم طاعات ربه طالبا رضاه ومغفرة ذنبه راجيا ما اعد الله لذويه الى ان قال وكتب على برهانهم المراقي الحسنى وفقه الله .

اقرأ في العدد العاشر

- القاضي ابو بكر بن العربي -15- للأستاذ سعيد أعراب
- ماهي فتنة داوود ؟ للدكتور عبد الله بن الصديق
- على ضفاف وادي المخازن للأستاذ عبد العلي الوزاني

دراسات في الأدب المغربي:

مظاهر الثقافة

لمغرب ما بعد الأدارسة وقبل المرابطين

للأستاذ عبد الكريم التواتي

-3-

4 – أسس الثقافة المغربية الى ما قبل المرابطين

ثقافة امة ما هي قعطا مجموعة تجاربها العديدة من السنوات بل القرون ، وهى بالتالى جماع الرسوبات المتلاحمة والمتواجدة التى مازت ذاتيتها ، واعطتها خصائصها ، وكونت وجودها ، وبلورت اتجاهاتها وان شئت فقل ، ان الثقافة – وكما في مفهومها العام – هى العوامل البيئية . اجتماعية واقتصادية وسياسية ، وانسانية التى واكبت الجماعات والافراد الذين تكونت منهم هذه الامة او تلك ، ولهذا فليس من الممكن البحث عن أصول ثقافة امة ما بعيدا عن ماضيها القريب والبعيد التى تمتد فيه واليه جذورها وجذور وجودها ...

والامة المغربية فى حدودها الفسيحة الارجاء . الممتدة عبر اقطار المغرب العربى الكبير شهدت عدة تحولات بشرية وجيولوجية ، قبل ان تتمايز فصائلها التى تجسمت فى اقطارها الاربعة حسب التقسيمات السياسية لمختلف التيارات الحكمية التى تعرضت لها وتحاورت اخذ زمام الامور فيها او تعاقبت عليها منذ مرحلة ما قبل التاريخ بعصريه الحجرى والبرونزى والى بداية التاريخ .

ولابراز خصائص الثقافة الاسلامية : والاسس التى قامت عليها ، فى هذا الجزء من الشمال الافريقى ، لا بد – فى نظرنا – من التعرف الى الرسوبات التى تمخضت عنها التحولات الحادثة ، قبل الوجود الاسلامى ، ربطا للتفاعلات مع بعضها ، وانطلاقا من ان الانسان هو – نفسانيا وعقليا – مجموعة من الفيوضات التلقائية والمكتسبة من الخارج التى تبلور اتجاهاته الخاصة واختياراته المتمايزة .

ويكاد الاجماع ينعقد على ان المغرب تعرف الى مجموع الثقافات المتعاقبة عليه منذ اتصاله بابناء عمومته الفينيقيين الى ارتباطه بوجه ما مع الرومانيين ، الى التحامه وانصهاره مع العرب المسلمين ...

وكل مراحله التاريخية تؤكد ان المغرب انفتح انفتاحا كليا ، وانفعل لمختلف التيارات الفكرية والثقافية التى كان يحملها اليه اولئك الذين نزلوا ساحته بحثا عن رزق ومعين ، او طمعا فى استغلال خيراته ، او املا فى احتلال اراضيه .

فقد تقبل الثقافة البونيقية التى حملها معهم الفينيقيون ، وتبنى لغتهم التى ظلت لعدة قرون لغتهم ، وكانت هذه اللغة ، فى نظر الكثيرين من المؤرخين – من الاسباب التى يسرت الانصهار بينهم وبين العرب الفاتحين ، لان هؤلاء ذو نسب ووشائج عرقية بالفينيقيين

المنحدرين من الرافدين ، واستعملوا الخط للكتابة الخط الحميري الذي اتى به اولئك الفينيقيون ، ثم حوروه الى ما عرف ، فما بعد بالخط اللوبى ، كما اثبت ذلك علماء الجيولوجيا الذى عثروا فى جبال الاطلس الصحراوى قرب كلو مبشار على احجار والواح نقش عليها هذا الخط الحميرى او ما اشتقوه منه مما يسمى بالخط اللوبى ، الذى هو — فى راى المختصين بهذه الشؤون — اقدم من الخط الهيروغليفي المصرى القديم ، كما اثبتوا ان اولئك السكان المغاربة الاولين كتبوا ملاحم بتشلحيت ، وبخطهم اللوبى ، قالوا وكانت هذه الملحمة شبيهة بملحمة الصابىء التي اشارت اليها دائرة المعارف الاسلامية …

ولم يكن تاثر اجدادنا المغاربة بالثقافة الرومانية باقل من تاثرهم بالثقافة الفينيقية البونيقية ، اذ تكفي الاشارة الى ما اثبته التاريخ الرومانى نفسه من نبوغ عديد من المغاربة فى مختلف مجالات تقافة ذلك العصر ، من ادب بنوعيه : النثر والشعر ، وقصة ولاهوت وتاريخ واجتماع سياسة …

ويزخر ذلك التاريخ باعلام عديد من مثل القياصرة الثلاث من اسرة (كورديان GORDIEN ؟ ومثل اللاهوتيين (سيريانوس) اسقف قرطاج الذى الذى وضع كتاب (الصبر) و (اغسطنيوس القديس الذى عاش بين 354 م — 430 م ، وهو مؤلف كتاب الاعترافات قبل اعترافات جان جاك روسو الفرنسى ، ومثل (فلوريوس FLORUS) المؤرخ المشهور ، ومثل (ابوليوس) القصاص و (اتورتوريان) توريان) 160 — 245 م ، الاديب والكاتب المبدع ومثل (كريبيوس) الشاعر الذى نبغ فى عهد رومانيي الشرق البيزنطيين ، ومثل القيصر (سبتيموس ساويروس SEPIME SEVERE) 193 — 211 م الذى كان جزا سوريا الى منطقتين سوريا العليا والمجوفة ، ثم سوريا البحرية الفينيقية واللبنانية (1) .

وانفعل اجدادنا المغاربة كذلك لثقافة القوطيين ، ابناء عمومة الوندال ، الذين كانوا نزلوا سبتة سنة 543 م ، بمعونة المغاربة ، حين توسموا فيهم امكانية التعاون على طرد المستعمرين البيزنطيين، حتى لا يقال ان الملك القوطى (بوليان) الذى اثبت الاستاذ البحاثة اعراب سبتة المغراوية ، انما اعان فاتحي الاندلس من العرب لما كان يوجد بين هؤلاء الفاتحين وبين اولئك القوطيين المنحدرين من اصلاب مغراوة من وشائج الدم والقربا واواصر الاصول الثقافية …

ولكن لا يظنن احد ان تاثر اجدادنا وانفعالهم للتيارات الثقافية الخارجية تجاوز حدود التفهم والاخذ والعطاء ، الى الانصهار فى هذه الثقافات الاجنبية الى درجة محو الذاتية المغربية ، فهذا شىء مرفوض لا تدعه يكن له موجود ، ولا ما كان يتوفر عليه المغاربة من الحساسية الوطنية لقوميتهم ولوجودهم الخاص ، ومميزاتهم الذاتية جعلهم يرفضون ان تمس منطقة ارواحهم بما قد يجردها من اختياراتها الخاصة ، او يحولها الى مجرد دمى تحرك من الخلف ، والرفض لمثل هذا الانصهار هو الذى جعلهم يرفضون المسيحية كدين ويرتدون عنها ، متبرئين منها لعهد قسطنطين الرومانى الذى كان يحيا الى تاريخ 312 م ، اذ راوا كيف ان هذه المسيحية التى اصبحت الدين الرسمى للدولة لم تعد سوى شعارات للتصدير ، وانها افرغت من مضمونها الجميل الذى كان استهواهم ايام اقبلوا عليها يعتنقونها ، ذلك المضمون الذى كان يعني الاخوة والمساواة والرحمة والتسامح ، فحوله قسطنطين الى مجرد خواء .

والمغربى بطبعه رجل جد ، لا ينخدع بالظواهر البراقة ولا يؤمن بالقشور .

الا ان جل الباحثين عن اصول الثقافة المغربية فكرا وحضارة وعمرانا ، عندما يتناولون دراسة مراحل التطورات التاريخية المتعاقبة على هذه البلاد ، ويحاولون استشفاف عناصرها الثلاثة ،

---

1 — انظر كتاب تاريخ الرومان لفيكتور دورى HISTOIRE ROMAINE : VICTOR DOURY

اى ما قبل التاريخ بصورتيه : الحجرية والبرونزية ، وبداية التاريخ ، ثم العصر الرومانى الذى برزت فيه بالخصوص بعض مظاهر ثقافة مغربية ، يكادون يجمعون على ان مرحلة بداية التاريخ — وفى معظم اجزاء منها على الاقل — انما تبتدىء مع الفتح الاسلامى ، مع ملاحظتهم ان الفترة الواقعة ما بين بداية القرن الثامن الميلادى ونهاية القرن الحادي عشر منه ، أي ما بين القرن الثامن والخامس الهجرى ، كانت وكما اشرنا قبل فترة فقيرة الوثائق أو منعدمتها تماما ...

ويدفع الملاحظين الى التركيز على هذه الظاهرة ، ما شوهد من اقبال البربر لا على الدخول فى الاسلام افواجا وبصورة خارقة وانما ايضا باسهامهم فى الفتوحات العظيمة التى باشرها المغرب انطلاقا من فتح الاندلس وبانتشار المذاهب العقدية الاسلامية المختلفة المشارب التى كانت تزخر بها اصقاع العالم الاسلامى لتاريخئذ .

لقد كانت الفترة الواقعة بين قدوم عقبة ابن نافع الفاتح الاول وقدوم ادريس الاكبر الفاتح الثالث ، ومؤسس الوجود العربى فى مفهومه الحق وبجميع اسسه وعناصره ، كانت زهاء ثلاثة قرون وربع قرن ، ومع ذلك فقد كانت كافية — رغم الاضطرابات المتوالية — لتعريب البربر ، جعلهم يتمسكون بالاسلام كعقيدة يستميتون فى فى سبيل الدفاع عنها والذود عن حياضها ، ويتخذون من اللغة العربية لغة الدين والمراسلات والحكم ، وبسرعة جعلت المؤرخين الغربيين يتساءلون عن هذه الظاهرة التى اسموها اعجوبة وحملتهم على تسجيل مثل هذه الفقرات التى كتبها (بوسيكى) فى كتابه (البربر) فقد قال هذا المؤرخ : (.. تقطعت بلاد البربر كل علاقة لها مع الغرب فى القرن السابع ، وذلك لترتبط بالشرق ارتباطا كليا لا رجوع فيه ، ومن غير ان يحدث من اجل ذلك نزاع داخلى ، او ازمة ضمير وان العرب سادات البلاد الجدد امكنهم بعدئذ ان يتخلوا عن مزاولة السلطة المباشرة ، فاستطاعوا بذلك ان يسلموا البلاد الى نفسها ، لكنهم طبعوها بطابع عربى ، لن يمحى اثره ابدا ، فقد عربوا المغرب حتى ليمكننا أن نعتبره اليوم فى مجموعة تقريبا كناحية قاصية من مركز العروبة دعوة الحق ع 3 س 4 س 44 .

بل وان يحاول هؤلاء البربر ربط اصولهم بالعدنانية والقرشية ، كما يشير صاحب هذا الشعر الذى يقول فى وصف البربر فى زعمه :

قدم لهم شرف العلا من حمير
واذا انتموا صنهاجة فهم همو

بينما يقول آخر فى نفس الموضوع و

ايها السائل عن احسابنا
قيس عيلان بنو العز الاول
ولنا الفخر بقيس انه
جدنا الاكبر ، فكاك (الكبول) !

الا انه يجب التنصيص على ان مجال ثقافة الفتح — بالطبع — ما كانت يومئذ تتعدى المجال التبشيرى الدينى ان صح التعبير هذه الثقافة التى يعبر عنها صاحب القرطاس بالعبارة التالية — وقد أشرنا الى مضمونها قبل — (كما تولى اسماعيل بن أبى المهاجر افريقيا سنة 100 م من قبل عمر بن عبد العزيز ، علم اهل افريقيا الحلال والحرام) .

ثم كانت المهمة التبشيرية التى اوفدت بعثتها من قبل هذا الخليفة ، ومن ابرز شخصيات البعثة عبد الرحمن بن نافع ، وسعيد بن مسعود التجيبى، كانت مهمتها قطعا هى مهمة ابن ابى المهاجر .

حتى اذا جاء القرن الثالث الهجرى واوائل الرابع رأينا الثقافة العربية تتمركز فى نقاط مختلفة من البلاد مما سنشير الى اهمها فيما بعد .

ويتم ذلك ، رغم القلاقل والاضطرابات ، التى عمت اصقاع الشمال الافريقى من القيروان الى المحيط الاطلسى تقريبا بسبب تدخل المسودة العباسيين الذين هالهم ان يروا كيف ان الفاطميين — بعد الادارسة والامويين قبلهم — لم يكفى ما اسسوه من ملك وسلطان بتونس والذى تنازلوا عنه للصنهاجيين ، حلفائهم وانما اخذوا يزحفون على الشرق بعد ان سيطروا على مصر ،

وكان هذا الاستشراف الفاطمى لامتلاك الشرق مما سبب كارثة سياسية فى افريقيا الشمالية ..

لقد ارتأى الفاطميون ان يستخلفوا على تونس انصارهم من الصنهاجيين كعمال لهم على مجموع اراضى افريقيا بما فيها القيروان . ولكن هؤلاء استمرؤو الحكم فانتهبوه لانفسهم ، ولكى تطعوا الطريق على الفاطميين ، تستروا وراء التظاهر بالولاء للعباسيين مناوئى الفاطميين ، فما كان من العباسيين الا ان اهتبلوا الفرصة بتقريرهم مد المساعدة المادية للثائرين الصنهاجيين وتقديم كل عون ومساعدة لهم ، وازاء هذا الوضع ارتأى الفاطميون ، من جهتهم انتقاما من العباسيين والصنهاجيين معا — ان يتبنوا البدو الهلاليين وبنى سليم ويزجوا بهم فى اتون الاحداث ، وان يمدوهم بما أعانهم على الثورة ضد حكام القيروان وكل من يؤيدهم بالشمال الافريقى ، وهكذا اغرقت المنطقة فى بحران من الفوضى والدماء .

الا أنه من الوجهة الثقافية وتعريب البربر ، كان قيام هؤلاء الثوار من بنى هلال وبنى سليم جد مفيد ، اذ عمل — عن طريق تغلغلهم فى كل ارجاء المنطقة على تلقين الاهالى اللغة العربية ، وعلى تعريب من كان تبقى من هؤلاء الاهالى غير معرب ...

واذا كان من الملاحظ ان أنعلوم ان كلا من المغربين الاقصى والاوسط قد تأخر — نسبيا — نضجها الثقافى بالقياس الى القيروان بل وحتى الاندلس ، للاسباب التى سبق ان ألمحنا لبعضها ولما نضيف هنا من ان السكان الاصليين ، بالاضافة الى اكتفائهم من الثقافة العربية بالعلوم الدينية ، مما يتصل بالعقيدة ، وبخصوص شؤون الفقه والشريعة ، كانوا حريصين على الاحتفاظ بلغتهم الام قبل الاسلام اى البربرية فانه اثر انسياح الهلاليين وبنى سليم ، او بصورة اضبط تاريخيا فى اواخر القرن الثالث الهجرى فما بعده شهد هذان المغربان حركة علمية وثقافية مهمة ، كان من ابرز آثارها ما احتضنته الدولة الرستمية التى كان اسسها سنة 271 هـ بتاهرت (تيارت) بالجزائر ، أبو زيد الرستمى الفارسى الاصل ، وان احتفظ هؤلاء الرستميون باللغة البربرية استمالة لقلوب الناطقين بها من البربر وربما ايضا اظهارا لشعوبية أبى زيد الفارسية ومناواة منه لما كان نشأ فى المغرب من مراكز للثقافة العربية الاسلامية على ان ظاهرة الابقاء على اللهجة البربرية فى المغربين الاوسط والاقصى ظلت قائمة حتى الآن ، وسوف نرى فى دولة الموحدين اوشكت او كادت تصبح اللغة الرسمية فى قطاعات مهمة من شؤون الدولة كخطبة الجمعة .

5 — اهم المراكز الثقافية بالمغرب قبل المرابطين

الحديث عن اسس الثقافة المغربية ، وجذورها الاولى ، وعن الرسوبات والخمائر المهدة لتلقى الثقافة الاسلامية يفضى بنا الى محاولة القاء اضواء كاشفة ، ما امكن — على اهم المراكز الثقافية التى كانت تحتضن العلم والفكر ، وتمد المشتغلين بهما ، والمهتمين بمجالاتهما بالزاد الاول والمادة الخام لكل ثقافة ، واعنى بذلك الجو الثقافى الناشىء عن الاستقرار السياسى والازدهار الاقتصادى والمبادرات الاجتماعية .

ونحن اذا اردنا ان نضع جردا جغرافيا لاهم هذه المراكز التى نؤكد بادىء ذى بدء أن البلاد كانت تزخر بعدد وافر منها ، فى تلك العهود ولا سيما فى شمال المغرب بوجه خاص ، وقد يكون ذلك نظرا لقربها من نقطة العبور الى الاندلس التى كانت هدفا لكل الولاة والفاتحين العرب ، فلن نستطيع ذلك ، لقلة الوثائق والمراجع ، الا بصعوبة بالغة قصوى ، الشىء الذى يضطرنا الى الاقتصار على الاشارة لبعضها ، تكوينا لفكرة عامة عن مجرى ثقافتنا وقنواتها وروافدها المتواحدة ...

واول هذه المراكز اقدمية هو بدون شك مدينة طنجة لوقوعها كما قلنا فى نقطة العبور والربط بين المغرب والاندلس .

اولا طنجة : كانت هذه المدينة اول بقعة آوت الفاتحين الاول مع رائدهم الرئيس موسى بن نصير الذى كان انزل بها — كما يقول ابن خلدون — عربا مع طارق بن زياد ، وامرهم ان يعلموا البربر القرآن والفقه ، وقد بلغ هؤلاء العرب

المكلفون بالتلتين — حسب بعض الروايات — سبعة عشر نفرا .

وقد كانت هذه المدينة — في الحقبة الواقعة ما بين ادريس الثاني وبين الوجود المرابطي — تزخر بعدد وافر من فطاحل العلماء ، وجلة الفقهاء ، واكابر القراء ومن بين هؤلاء :

1 — عبد الله بن سمحون بالجيم او الحاء كما يرى ذلك عبد الله جنون

2 — ابو عبد الملك مروان بن سمجون الذى ينسب اليه قوله (لم ارحل الى المشرق حتى حفظت اربعة وثلاثين الف بيت من اشعار الجاهلية) ووصف ياقوت الحموي في معجمه لهذه العبارة (انه من فطاحل الخطباء).

3 — محمد بن عبد الله بن الغازى المتوفى سنة 296 هـ .

ثانيا مليلية وسبتة :

وهما مدينتان قديمتان ، ويقال فيما يخص الاولى : ان مليل اليفرنى البربرى جدد بناءها اوائل القرن الثانى الهجرى فحملت اسمه ، وانها قبل ذلك كان يطلق عليها الفينيقيون اسم (روسدير) ومن اشهر ابنائها في ميدان الفكر والثقافة :

1 — خلف بن مسعود الجراوى المليلي .

2 — احمد بن فتح الذى كان يضاهى ببكر بن جاد معاصره في العلم والادب .

واما سبتة ، فما نظنها بحاجة الى من يثبت اسمها في ميدان اعلاء شأن العروبة والاسلام ، ولمن شاء ان يعرف عليه ان يقف على تراجم من ترجم لهم من ابنائها ، ابنها البار القاضى عياض في مداركه ، او ان يستحضر قالة المعتمد بن عباد وهو في صولة ملكه وعز سلطانه ، حين اثير اسم سبتة في احد مجالسه ومن بعض رجالاته ، فقد كان قال — وهو يتحدث عن سبتة — (اشتهيت ان يكون عندى من اهل سبتة ، ثلاثة نفر ،ابن غازى الخطيب — وابن عطاء الكاتب — وبن مرانة الفرضى ...)

والمدينتان هاتان ضمهما الى الاندلس الناصر الاموى غداة محاولة العبيد بيين غزو المغرب .

ثالثا النكور : وهى مدينة كانت توجد بناحية الريف ، وعاشت عاصمة لبنى صالح العرب في امارتهم ، هذه الامارة التى كان اسسها العبد الصالح صالح بن منصور الحميرى ثم تعاقب على ابنه المعتصم ، ثم شقيقه ... ويقال ان هذا الاخير توجيه شؤونها بعد وفاته اوائل القرن الثانى الهجرى هو الذى اضفى على النكور ، ما جعلها بعد فى راس قائمة المدن المهمة بالمغرب لتلك العهود . بل واعتبرها محمد الوراق المتوفى سنة 292 هـ ويعد احد المؤرخين الكبار الذى ضاعت آثارهم — اعتبرها احدى المدن الكبرى ، الشيء الذى حمله على ان يؤلف فيها كتابا خاصا ، وان قيل انه بايعاز من الامويين بالاندلس ، ربما لمناهضة سبتة ، واشتهرت مدينة النكور بجامعها الاعظم الذى كان شيد على غرار جامع الاسكندرية ، وقد تخرج من هذا الجامع علماء افذاذ امثال :

1 — حسين بن فتح الذى روى عنه الباجى

2 — موسى بن ياسين مولى صالح الذى كان يلقب بالعالم

3 — عبد الرحمن بن سعيد الفقيه المالكى — وابراهيم بن ايوب الشاعر الذى خصى بلدته النكور بجزء مهم من قصيدته التى نظمها في مدح امير ادريسى حسب راى الاستاذ ابن تاويت التطوانى (دعوة الحق ع 8 ص 98 س 11) .

وقد جاء في هذه القصيدة ، مما بخص مدينة النكور الابيات الآتية :

ايا الماسى الذى ابغى وسؤلى
ودنياى التى ارجو ودينى

الحرم من يمينك رى نفسى
ورزق الخلق من تلك اليمين

ويحجب عن جبينك طرف لحظى
ونور الارض من تلك الجبين

وقد جبت المهامة بين نكور
اليك بكل ناجية امون

وعمرت هذه الامارة الى ما بعد القرن الرابع الهجرى ، الى حين سقطت فى يد قائد العبيديين مصالة البربرى ... وفى وصف فظاعة هذا السقوط انشد بعضهم هذا الرجز :

لما طغا الارذل وابن الارذل
فى عصبة من الطغاة الجهل

قال (تكور) دون ربى معقلى
اتاه محتوم القضاء الفيصل

من الاله المتعالى الاعدل
حطم اهل كفرها بكلكل

على قنا من الرماح الذبل
ذولة شعثاء لم تفتل

ولحية غبراء لم ترجل

ومن الطريف ان نسجل هنا ما ذكره المؤرخون عن العلاقات التى كانت تسود بين هذه المدينة العتيدة وبين العبيديين للذين كانوا يحاولون اخضاعها لسيطرتهم وتوترت تلك العلاقات بين حكام النكور وامير العبديين الى ان تطورت الى حد التراشق بنبال الهجاء الشعرى ، ذلك ان الامير عبد الله الفاطمى حين راسل امير النكور سعيد بن صالح من اجل تسليم امارته ختم كتابه فى الموضوع بهذين البيتين ·

فان تستقيموا استقم لصالحكم
وان تعدلوا عنى ار قتلكم عدلا

واعلو بسيفى قاهرا لسيوفكم
وادخلها عفوا واملاها عدلا

قالوا فاستشاط امير النكور غضبا لهذين البيتين اللذين راى فيهما حطا من قدره فرد برسالة يرفض فيها الاستسلام ويهدد المغيرين ويتوعدهم ، وزيادة فى اغاظة الفاطميين ذيل هو الاخر برسالة رده بأبيات جاء فيها :

كذبت ورب البيت لا تعرف العدلا
ولا عرف الرحمن من قولك الفضلا

وما انت الا كافر ومنافق
تميل مع الجهال فى السنة المثلى

وهمتنا العليا لدين محمد
وقد جعل الرحمن همتك السفلى

رابعا سجلماسة :

اسست هذه الحاضرة الصحراوية — فيما يذكر التاريخ — سنة 140 هـ ـ 757 م على يد الخوارج والصفرية ، الذين اسسوا فى نفس الوقت — وعلى يد طائفة اخرى منهم — دولة برغواطة على الشاطىء الغربى للمغرب ، ما بين آسفى وسلا ثم اتخذ هؤلاء بلدة (تامسنا) عاصمة لدولتهم ، ولعل الناحية المدعوة حاليا (الاغواط) فى اقليم الواحات بالجزائر ينتسب اهلها الى هؤلاء ·

وكانت سجلماسة — فيما يتحدث عنه تاريخ المواصلات التجارية بين مختلف المناطق الافريقية — ملتقى الطرق التجارية الرابطة ما بين مصر والعراق وفارس وافريقيا الشمالية مرورا من (تومبكتو) وتوات وعين صالح ·

وكان يغلب عليها من حيث الحضارة والعمران الطابع الشرقى ، حتى سماها بعض المؤرخين من (المغرب) اذ كانت ثالثة المدن الاسلامية العظيمة فى افريقيا بعد القيروان المؤسسة سنة 65 هـ 670 م وفاس المشيدة ابتداء من سنة 192 هـ

وقد ظلت سجلماسة هذه مملكة مستقلة زهاء ثلاثة قرون ، مسيطرة على الاراضى الواقعة ما بين وادى درعة وجبال الاطلس من البلاد المغربية ، وبلغت اوج ازدهرها الثقافى ورفاهتها الاقتصادية فى الثلاثة قرون الواقعة من الثامن الميلادى الى الحادى عشر منه ، واستطاع سجلها الثقافى ان يحتفظ بمثل هذه الاسماء اللوامع فى ميدان الفكر والعرفان مثل :

1) يحيى بن زكرياء المعروف بابن الرياطى الذى روى عنه محمد بن مخارق ، ويحى بن فطر ، وعبد الرحمن بن خلف التجيبى الثغرى ·

2) عيسى بن سعادة الفقيد ، وقد كان رفيق الى الحسن الفاسى وابى محمد الاصيلى فى رحلتهم لسماع ولقاء حمزة بن محمد الكنانى ...

3) سمكو الامير ، وكان اخذ عن حكومة ومحمد بن الفتح بن ميمون ...

وابرارا لعظمتها الاقتصادية يكفي ان نذكر ان ما كانت تدفعه كضرائب للدولة الفاطمية أيام اضحت مجرد مقاطعة تابعة لاملاك العبيديين بلغ اربعمائة الف دينارا سنويا ..

خامسا فاس : وقد سبق ان تحدثنا عن بعض معالم تاريخها الحافل على انه ينبغي التنصيص على ان تأخير تأسيسها عن بعض المراكز الثقافية التى لمحنا اليها قبل ، لا يعنى تقاسعها ثقافيا وحضاريا وعمرانا، ان تكون اخلد تلك المراكز واكثرها عمرانا ، فانها فى هذه المجالات سبقت غيرها وكتب الله لها واجلها افادة ، واعظمها نفسا وبركة ..

وان يكن من الملاحظ ان فاس — رغم انها كانت من المدن الاولى التى امها — ومنذ السنوات الاولى لتأسيسها — العديد من العرب الوافدين من القيروان والاندلس بل ومن العراق وفارس التى كانت احدى ابواب هذه المدينة تحمل هذا الاسم ، وفى روض القرطاس ما يفيد ان اسمها اشتق من كلمة فارس ، اقول انه رغم ذلك فانها لم تتعرف باكرا الى الابعاد والمجالات الثقافية التى سبقت اليها بعض هذه المراكز .

ويعلل الاستاذ ابن تاويت التطوانى هذا التخلف بأن العرب لم يقصدوا فاسا قبل ان يطمئنوا الى ان هناك من يثيبهم على مدحهم او يخاف هجومفيسكتهم بما يقدمه لهم من مكافآت واتاوات ، حتى اذا جاء ادريس الثانى وكون منها عاصمة ملكه — وفى هذه الجملة ما يوحى باعتقاد الاستاذ راى القائلين ان فاسا كانت قبل الوجود الادريسى بها — وجلبه اليها كل عوامل الاغراء على الاقامة وضمن لها الازدهار الاقتصادى بما كان يحصل عليه من مغانم واسلاب فى حروبه ضد من كانوا لا يزالون غير مسلمين توافد الناس على هذه الحاضرة واسوها آملين ان يجدوا فيها وارف الظلال وواسع النعم ، وعميم الخاء ، وقد وجدوا ما وجدوا ، قال ابن تاويت (... ولهذا لا تجد من مذكوريها فى التراجيم الامن كان يعيش اواخر القرن الثالث فما بعدها

دعوة الحق ع 8 ص 120 س 11 .

ثم من المؤكد ان كل تلك المراكز الثقافية التى خصصناها بالذكر وغيرها مما لم نذكره شاركت فى ارساء اسس وقواعد الثقافة الاسلامية .

الا ان الادارسة عملوا بوجد خاص — وهذا من اهم اعمالهم وابقاها بحق — على حل سكان الجنوب المغربى على اعتناق الاسلام خاصة فى قبائل صنهاجة التى لم يكن انتشر فيها الاسلام بعد بصورة واسعة او مركزة ، بل لم تنشط حركة التبشير الاسلامية هناك الا فى اواخر القرن الثالث الهجرى ، وهو الظرف الوحيد — فى الوجود الادريسى — الذى نشطت فيه حركة اعتناق الاسلام عن عقيدة واقتناع ويقين .

ولكن ليس معنى ذلك ان الحركات التبشيرية بالاسلام لم تكن معروفة او متواصلة ، فان كثيرين من البرابره الذين اعتنقوا الاسلام وحسن اسلامهم واخلصوا دينهم لله قصدوا للدعوة الى اعتناق ما اعتقدوه دينا والى التبشير بمبادئه السمحة الخالدة ومن بين هؤلاء زيد بن سنان الزناتى الذى دفعته غيرته الدينية الى الاغراق فى الاخلاص واعتناق مذهب الاعتزال الواصلى ، بل وكان من دعاة هذا المذهب الذى قيل انه بسبب زيد هذا استطاع المذهب الواصلى ان يغزو كل ارجاء المغرب وان يكون له فيه انصارا عديدين تجاوزوا الثلاثين الفا فيما تذهب اليه بعض الروايات التاريخية ، وحتى قالوا ان قائل البيتين الآتيين يشير الى هذا الانتشار والذيوع ، اما البيتان فهما :

له خلف شعب الصين فى كل ثغرة
الى سوسها الاقصى وخلف البرابر

رجال دعاة لا يفل عزمهم
بتهكم جبار ولا كيد ماكر

على ان بقيا من هذه الطوائف الاعتزالية الواصلية توجد حتى الآن بالقطر الجزائرى ، وبالذات فى واحات (مزاب) من صقع (غرداية) ، وهؤلاء هم الذين كانوا — وكما اشرنا قبل — اقاموا لهم امارة هناك فى الاراضى الجزائرية مما يلى (تاهرت) وكانت عاصمتهم (ايزرج) كما يقول (ابن خرداذبة) ..

ويقال أن سكان اوربة الذين حل بينهم ادريس الاول صحبة مولاى راشد الذى كان يتزعمهم عبد الحميد الاوربى كانوا اتباع المعتزلة الواصليين ، الشيء الذى سهل مهمة راشد فى اقناع ابناء جلدته وقبيلته ، اذ يقال انه اوربى الاصل ، بضرورة التعاون مع المولى ادريس لقيام اول دولة علوية عربية مستقلة عن بغداد . وبين الاعتزال والتشيع لحمة نسب ووشائج قربى لا تخفى على احد .

والشيعة هى الاخرى بذلت جهودا جبارة مشكورة فى ميدان تعريب البربر ، وتثقيفهم ثقافة اسلامية عن طريق محاولاتها المتكررة الناجحة حينا ، والفاشلة احيانا اقامة وجود سياسى لها فى هذه الديار ، قد حققوا فى هذا الهدف الشيء الكثير ، عندما استطاع العلويون فى المولى ادريس اثر انسياحه واخوته محمدا النفس الزكية الذى كان ثار ضد المنصور العباسى واخاهما سليمان الذى قيل انه هو الآخر نزل نواحى تلمسان ، حيث استطاع ابناؤه من بعده أن يستقلوا بها ويكونوا لهم بها امارة ، ثم اخاهما عيسى الذى انتهى به المطاف الى القيروان اقول حين استطاعوا فى المولى ادريس ان يحققو املهم فيقيموا لهم دولة باسم دولة الادارسة العربية المسلمة ، هذه الدولة التى كانت بحق قاعدة انطلاق الثقافة العربية الاسلامية نحو آفاق التفتح والانتشار ، عبر كل اقاليم الشمال الافريقى بل كل اقطار افريقيا تقريبا .

على انه من المحقق الاكيد ان بدأ التفكير فى بث ثقافة اسلامية فى المغرب بدا مبكرا جدا ، وحتى قبل عهد عقبة ابن نافع الفهرى ، وموسى بن نصير ، اذ مع الفتوح الاولى للاسلام فيما بين النهرين ، والتى توجت بفتح مصر على يد عمرو بن العاص ، أذن عثمان ابن عفان لواليه على مصر عبد الله بن ابى سرح — فى السنة السادسة والعشرين فى الهجرة — فى فتح بلاد البربر ..

ومعلوم ان الفتوح الاسلامية كانت تعتنى — بالدرجة الولى — بالعلم والثقافة ، وبتعلم الداخلين فى دين الله عقائد دينهم واصولها ، وبتلقينهم طقوس هذا الدين التى تعتبر فيها القراءة شرطا اساسيا ، وعلى الاقل فى الصلاة !

ثم تعاوز ولاة العرب من قبل دار الخلافة ، فكان معاوية بن خديج ، وعقبة بن نافع ، وابو دينار ، وحسان بن النعمان الغسانى الخ

ولو عثر على آثار رموز فى هذه الحقبة القدماء وكتبهم التى تناولت تاريخ هذا العهد ، بالاخص آثار امثال أبى عبد الله محمد بن يوسف المعروف بالوراق والمتوفى سنة 292 هـ ،والذى كتب — فيما قبل — عن سجلماسة وتكور وتاهرت وفاس وعن البصرة التى قيل فى جمالها :

قبح الاله اللهو الا قنينة
فى بصرة ، فى حمرة وبيض
الخمر فى لحظاتها والوردفى
وجناتها والكشح غير مفاض

وامثال آثار ابن الودون ، والبرنوسى اللذين قيل انهما كتبا عن تاريخ الادارسة ، وقد اشار الى المؤرخ الاول صاحب كتاب (بيوتات فاس) بينما نقل عن الثانى صاحب كتاب القرطاس ، اقول لو عثر على آثار هؤلاء وأمثالهم لامكن التعرف على كثير من مظاهر الثقافة والادب العربيين للعهود الاولى للوجود الاسلامى بهذه الديار ، اعنى عهود ما قبل عهد الادارسة فعصرهم ثم عصر مغراوة وبنى يفرن .

على أن صاحب الاستقصاء ،نقلا عن مؤلف (الحجمان) تحدث عن جماعة من المغاربة الذين يمكن ان يكونوا قاموا بزيارة خاطفة الى الجزيرة العربية للقاء عمر بن الخطاب وحتى الرسول عليه السلام ، وانهم اسلموا على يديه ، وعادوا ليلقنوا اخوانهم ابناء جلدتهم تعاليم الدين الحنيف امتثالا للاية القرآنية الكريمة (... فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) .

ويقال ان هؤلاء النفر هم الذين يطلق عليهم (دقاء سبع رواضى) بجبل الحديد من ناحية الشياظمة ، واذا كانت القصة لا تخلوا من بعد وتنقصها الادلة الثبوتية القاطعة فانها مع ذلك ليست مستغربة وليست ببعيدة .

للحديث صلة

فاس : عبد الكريم التوانى

ملامح من المغرب الحديث :

بوادر المسرح الإسلامي بالمغرب

للأستاذ زين العابدين الكتاني

دفعني الى تناول هذا الموضوع بالـــذات :

اولا : صدور العدد الخاص من مجلـــة (الفنون) (1) التي تصدر عـــن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية المخصص للنصوص المسرحية المغربية فى فجـــر هـــذه النهضـــة ..

وان العودة الى الوثائق المتعلقة بالمسرح والتي سبق لي الاطلاع عليهـا ، خصوصا لان هذا العدد يعتبر الثاني (2) من نوعه ثم ان هذه المجلة سبق لها أن أصدرت عددا عن مهرجان المسرح العربي الذي عرفه المغرب من قبل .

ثانيا : الاخبار التي تناقلتها وسائل الاعلام التي تقول بان المملكة العربيـــة السعودية تعمل على اقامة أسس لمسرح اسلامـــي .

ثالثا : صدور كتاب عن (دار الجيل) بلبنان بعنوان : (قصص القـــرءان فى مواجهة أدب الرواية والمسرح) للاستاذ احمد موسى سالم (3) الذي يذكر أنـــه يستهدف به « الخروج بالاصالة العربية فى منهج الفكر والتعبير ... » (4) .

واذا كنت ساحاول أن ارتكز على بوادر للمسرح الاسلامي بالمغرب فانني أجد نفسي مضطـــرا الى الاشارة الى طبيعة الاختيار المغربي فى المجال الفني بصفة عامـــة .

ومن هنا من هذا المنطلق نجد أن المغرب قد اختار الفن ــ كما يجمع عدد من الذين واكبوا ظهور الحركة الفنية الجديدة ــ طريقا من طرق الاتصـــال بمختلف المواطنين وفئاتهم ، كما كان مظهـــرا عـــن

(1) العدد : 5 و 6 السنة الاولى ــ مارس ابريل 1974 .
(2) كان اول مجلة خصصت عددا خاصا هي مجلة (آفاق) لاتحاد كتاب المغرب عدد : 4 السنة الثانية 1967 وهو عدد خاص بالمســرح .
(3) صدر فى حوالي 400 صفحة من الحجم ما دون المتوسط سنة 1977 .
(4) انظـــر غـــلاف الكتـــاب نفســـه .

مظاهر توعية المجتمع المغربي ، والتزامه للتطـور الزمني المطلوب ... تبعا لـ (حركـة الانبعـاث والتطور) التي عرفها المغرب ، ولدعوة الذين آمنوا منذ العقد الثامن من القرن التاسع عشر من ضرورة بعث الوعي الجديد ، والتخلص من تهمة الانـزواء والتقوقع التي اتهم بها من البعض ، أو تخيل البعض الآخر ان الآراء الشاذة والمتطرفة التي ظهر بها بعض العلماء مقياسا للفكر المغربي الذي اعلن مؤمنـا في نفس الوقت .. « أن وسـائل الاعلام هي في الحقيقة حرب بالاقـلام ... » (5) .

ولذلك نجد الحركة الفنية قد ارتكزت اولا على منطلق استفاد من اسس المعرفة الانسانية ، مصارعا الذين يدركون حقيقة الاختيار المغربي الجديد الاصيل لا في مضمونه ولا في مفهومه ... فكان الاختيـار الجديد في المجال الفني يستخدم الوسائل الوقتية الحساسة للوصول الى الغاية ... وهذا الاختيـار مستهدفا تركيز الوعي بصفة عامة ، والانطلاق نحو التخلص مؤكدا ان هذا الاختيار لم يكن عفويـا ، ان يتمركز في المجال الفني ، على التمثيلية التاريخية من جهة ، والحماسية من جهة ثانيـة في مجـال المعركة الكبرى .

وتلك هي سربة هذا المنطلق المضبوط .

وفي نطاق هذه المناقشة اود أن اشير اولا الى أن هناك تمثيلية اغفلها اغلب الذين تحدثوا عن المسرح المغربي ولم يشيروا اليها ، وهي تمثيلية (في ليلة المولد) (6) المشتملة على خمسة مناظـر والتـي أهداها كاتبها الاستاذ السيد أحمد زياد يومئذ الى محرر المغرب محمد الخامس رضي الله عنه بمناسبة عيد العرش في نونبر سنة (1947 م / 1367 هـ) الذي اقترن اذ ذاك بعيد المولد النبوي حيث يقول في مقدمة التمثيلية :

« ... مولاي : هذه المسرحية تاريخية تمثل لونا من الانتاج المغربي في عهدكم الزاهر ، وضعناها لنبين لمواطنينا الكرام ــ بجلاء ــ الحوادث العظام التي اقترنت بمولد سميكم وجدكم الاعلى نبينا جميعا سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وازكـى التسليم ، وانا لفخورين بالقيام ــ جهدنا ــ بهذه المحاولـة المتواضعة ، متيقنين بحسن أثرها ، وشدة وقعها في نفوس اخواننا أفراد رعيتكم الكريمة ، وهي حظنا في الاحتفاء بعيد المولد العظيم .

وان نحن رفعناهـا لسدتكـم العاليـة بالله ولجلالتكم الكريمة ــ فقصدنا بذلـك ــ الاشارة الى وجوه الشبه البارزة ــ التي تربط حركة الانبعاث في عهد نبينا محمد بن عبد الله بعواملها في عهد ملكنا محمد بن يوسف .

فكلاهما انقلاب خطير .

وكلاهما صراع بين الحق والباطل .

وكلاهما كانت تحوطه السياسـة والكياسـة والصلابة ان اقتضى الحال ، وبفضـل ذلك أتـت الرسالة النبوية أكلها ، وبفضل ذلك ستوتي رسالتكم الملكية غرسها ، فتقبلوها بالقبول الحسن ، وزودونا بعطفكم المعنوي الذي هو اساسي لنجاح الاعمال ، وجني الثمار ، لنا ولكافة العاملين المخلصين لعرشكم في السر والعلانيـة .

ولتثق جلالتكم باننا نحذو حذو نصائحكم (طبقا لما جاء في خطاب العرش سنة (1947 م) عاملين لنزع حجب الجهل عن افكارنا ، ومن افئدتنا اليأس الخامل ، مجتنبين أباطيل الهرج ، ملازميـن التؤدة والوقار في سلوك أنفع نهج ، مطمئين في طريق الحق الذي نصبو اليـه (7) .

ليلـة المولـد ... التمثيليـة :

وهكذا فاذا ما انتقلنا الى موضوع التمثيليـة فاننا نجدها تصور (ليلة المولد) بل تتحدث عن أمية ابن أبي الصلت وهو يتمعن في الكون المحكم التنظيم البديع ، مستهزئا بعقول العرب والكهنة والاحبار ، المعتقدة ان الاحكام من صنع اللات والعزى ، والمؤمن بأن هناك دينا جديدا سيظهر كما تحدثت به الكتب ، ومولد نبيه ورسوله سيسبق بأشياء تعجـز عنهـا

(5) انظر كتابي (الصحافة المغربية نشأتها وتطورهـا) ج : 1 ص : 182 .
(6) المطبوعة (المطبعة الامنية بالرباط) سنـة 1947 .
(7) ملخـص تقريبـي للتمثيليـة .

اللالهة والاتيان بعشر امثالها ... اختيرت كبشائر وتمهيد لهذا المولد القريب ...

وفعلا زلزل البيت الحرام زلزالا ارتجت له مكة وراجاءها ، ليثبت احدى العلامات ، بل البشائر التي تحققت يوم مولد ذلك الرسول الذي سياتي بالدين الجديد ، ليغير نهج الحياة الذي أصبح غير لائق بكرامة العرب بل الانسان ، من عادات ذميمة ومعتقدات فاسدة ، بشرت به الرسالات السابقة ...

انه مولد صاحب الدين الجديد الذي انشق له ديوان كسرى ، واخمد بيوت النار بفارس ، وفسلا يستمع كسرى الى الساسان الاول وهو يقول :

اذا كانت المقاييس قد اختلت ، وانحرف الناس ، واذا انحط اهل فارس فى الاخلاق ، فسيولد رجل فى الجزيرة العربية يقلب اتباعه وضع فارس ، فيغيروا دينهم وكل شيء فى حياتهم ، وسيطهر البيت من الاصنام والالهة ، كما سيتبعه حكماء وسادات فارس .

وفعلا يظهر النبي الجديد فى قريش اسمه محمدا ، فيحدث رجة عظيمة فى مكة ، وتحولا فى التاريخ ، ويصبح الشغل الشاغل لقريش بعد أن التف حوله انصار اكثرهم من الموالي والعبيد ، واعلن القدر ، واثبت الواقع أن النبي الرسول الجديد ولد بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (8) .

واذا كان الاستاذ زياد قد ادرك اهمية اختياره لموضوع من هذا القبيل فى هذا الوقت بالذات خصوصا وان المدرسة المسرحية الاسلامية كانت يومئذ لا زالت فى المهد فانه لم يفته ان يكتب توضيحا يشرح فيه موضوع تمثيليته هذه ، ويشرح معطيات هذا الاختيار والداعي اليه ، فاوضح بان هذه التمثيلية « قصة ليس لها أول ولا آخر ، ولا هي رواية عقد لها ليأتي لها بحل ، وليس هناك تحليل علمي ولا آخر فني ، ولا تشتمل على ما تعود الناس ان يروه فى القصص والروايات الخيالية او الواقعية ، وليس فى هذه الصحائف المعدودة شيء من هذا او ذاك ،

ولكن كما يقول الكاتب : هناك مناظر فنية رائعة على خشبة المسرح ، وهي صور حية ، ناطقة معربة عن هذه الخوارق التي يسميها ظرفاؤنا الاقدمون (ارهاصات) وقد كانت وما زالت شيئا يقرأ فى كتب السير ، ويتناقلها الاصحاب والمؤمنون الروحيون من هؤلاء الذين يتلذذون بذكر هذه الارهاصات ويطربون للحديث عنها ويخشعون لذكرها لانهم يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب .

فالى هؤلاء نتحدث فى هذه الصفحات حديثا قليلا ، والى هؤلاء وحدهم نقدم هذه الارهاصات راجين أن تنال الناحية الدينية حقها من التصوير والتمثيل ، ليكون الدين رائدها الخلقي ، ومثلنا الاعلى فى جميع ابواب الحياة التي نلجها اليوم وهي رغبة طالما الح صاحب الجلالة فى السير على منوالها .

أما الفنانون المدققون الراسخون فى هذا العلم ، فاعتقادنا قوي بأن هذه الصفحات سوف لا تهزهم ، ولا تأخذ باعجابهم لانهم فنانون ، نعم لانهم فنانون وكفى ، وسوف لا نلومهم ، ولكن عليهم أن لا يلومونا كذلك ، بيد اننا نقطع ونجزم بأن التمثيلية ستروقهم ، وتحرك عاطفتهم الاسلامية ان هم راوها بمناظرها واضوائها ومواقفها الرهيبة ، واخراجها وتمثيلها ، ولقد حاولنا — يقول الاستاذ زياد — أن تكون منظرا تمثيليا ينحصر اوله وآخره فى اطار هذا المنطلق الرفيع خصوصا وقد اطلت علينا بوادر المسرح الاسلامي ... (9) .

منطلق ... وأسلوب مغربي

ومن هنا من هذا المنطلق ، فتمثيلية (فى ليلة المولد) لا أستطيع ان اجزم بانها أول لبنة فى هذا الموضوع الجديد ، ولكن اوكد بانها :

1 — أول تمثيلية انجزت فى هذا النطاق باسلوب مغربي ، وتفكير مغربي فى مجال خلق المسرح الملتزم الهادف الى خلق المسرح المغربي .

2 — بانها فى طليعة انتاج المسرح الاسلامي الذي ابتدأ فى مصر بتقديم مسرحية (عبد الرحمن

(8) اذ كان ما ذهب اليه الدكتور محمد يوسف نجم بخصوص ظهور المسرح الاسلامي يبتدىء فى الثلاثينيات . انظر كتابه (المسرحية فى الادب العربي الحديث) .

(9) توضيح الكاتب بتصرف .

الناصر) فى شكهر دجنبر 1941 (10) بينما اطل علينا الاستاذ احمد زياد بهذه التمثيلية فى نونبر 1947 ، وهذا ابرز جانب واوضح هدف انطلق منه الكاتب فى هذه المناسبة .

وهذا اذا انطلقنا من منطلق الذين كتبوا عن تاريخ المسرح العربي بصفة عامة .

اما اذا رجعنا الى ما نتوفر عليه لحد الان من مصادر فى هذا الموضوع فاننا نجد ان فكرة انشاء « المسرح الاسلامي » ظهرت لاول مرة فى فاس فى محاولة تهيء رواية « صلاح الدين الايوبي» وذلك عام 1321 هـ / 1903 م وذلك ما أواصل البحث عنه للعودة اليه فى حلقة قادمة عندما يكتمل الموضوع . (انظر نص الوثيقة) .

ويؤكد هذه البوادر التي عثرت عليها ان اول روايات قدمت بالمعنى المسرحي العلمي بالمغرب ربما كانت هي أيضا :

1 — رواية (صلاح الدين الايوبي) (11) والتي قدمتها فرقة جمعية قدماء تلاميذ مدرسة الثانوية الاسلامية الفاسية سنة 1927 .

2 — (راوية صلاح الدين الايوبي) (12) التي قدمتها ايضا (فرقة التمثيل الهلالي الاهلي بطنجة وذلك سنة 1929 .

3 — رواية (مسجد الله) (13) التي كتبها الاستاذ الحسن السائح ، وغيرها من الموضوعات التي لا يتسع لها المجال فى هذه الدراسة الخاصة (14) .

* * *

واذا ما أردنا ان نعود الى بداية المسرح الاسلامي فى العالم العربي بصورة مختصرة فاننا نجد ان هذا المسرح كما يبدو من عدد من المصادر قد ابتدأ فى مصر فى نطاق (جمعية الشبان المسلمين) حيث قدمت ضمن نشاطها الكثير من المسرحيات دون الاستعانة بالعنصر النسائي لمعارضة البعض فى اول الامر لظهور هذا العنصر ، وعندما قدمت مسرحية (اسماء ذات الناطقين) اضطر الفريق الى وجود العنصر النسائي ، وقد وافق المسؤولون بالجمعية على ذلك بشرط الظهور بالحشمة الواجبة سواء فى الملبس او فى المظهر ، او فى الاداء المسرحي .

وعند ما نجح الفريق فى اداء رسالته ، زار فروع الشبان المسلمين بمصر فى كثير من الجهات، وقدم عروضه الفنية بها وقدم أيضا الكثير من هذه العروض بفلسطين فى كل من نابلس ويافا فى عام 1946 و 1947 .

لقد قدم فريق المسرح الاسلامي أكثر من 35 مسرحية اسلامية تاريخية منها مسرحيات : (عبد الرحمن الناصر) و (صلاح الدين الايوبي) و (الاخشيد) وغيرها .

وقد اشترك فى تاليف الكثير منها الاستاذ عباس علام ، والدكتور احمد الشرباصي والسيد محمد محمود مستولي والسيد فؤاد الطوخي (رئيس الفرقة) .

ولما كان هذا المسرح يفتقر الان الى النصوص الجديدة فقد تقرر اجراء مسابقة ذات جوائز مادية لتاليف المسرحيات الاسلامية التي تناسبه .

وقد امتد اثر المسرح الى الكثير من الفروع ، فاصبحت هناك فرق للتمثيل فى أكثر من جمعية .

بل ان هذا الاثر قد امتد الى مجال الحياة الفنية على المستوى الكبير ، فقد كان نشاط الفريق حافزا لتقديم عدة افلام ذات مواضع اسلامية تذكر

---

(10) كما ذهب الى ذلك الاستاذ علي احمد باكثير فى سلسلة مقالاته من (نحو المسرح الاسلامي) المنشورة فى (مجلة الشبان المسلمين) المصرية سنة 1976 و 1977 .
(11) عثرت على اخبار وجود قصة صلاح الدين الايوبي واواصل التنقيب عن النص .
(12) لنجيب الحداد اللبناني .
(13) كتاب (القصة والمسرحية فى الادب المغربي) للسائح نفسه ص : 70 .
(14) وهناك ايضا مسرحية (السلطان صلاح الدين ومملكة اورشليم) التي الفها فرح انطون سنة 1914 . انظر كتاب (المسرح النثري للدكتور محمد مندور) ص : 61 .

منها : (بلال مؤذن الرسول) و (خالد ابن الوليد) و (الله اكبر) و (ظهور الاسلام) وغيرها ....

واكثر هذه الافلام شارك اعضاء المسرح الاسلامي فى التمثيل فيها ...

وكثيرا ما تلجأ البلاد العربية والافريقية الى الفريق لاستعارة بعض المسرحيات الاسلامية لتقديمها عندهم وخاصة فى المناسبات الدينية .

كذلك نجد ان اول تمثيلية اسلامية قدمت الاذاعة المصرية هي تمثيلية (عبد الله بن الزبير) وهي من تاليف الاستاذ حسن عبد المنعم (رئيس اتحاد الاذاعة والتلفزيون) وقد قدمها فريق المسرح الاسلامي من استديوهات الاذاعة المصرية سنة 1943 .

* * *

وبعد ، فاذا كان الواقع فى البلاد العربية بالخصوص يدعونا الى تجديد الحياة ومراجعة انطلاقها من المنطلق الاسلامي ، ومن اختيارها الاصيل فان مراجعة المسرح العربي من الاساس اصبحت اكثر اهمية واكد الواجبات ، وهذا ما يشير اليه ايضا الدكتور احمد الشرباص (15) حيث يقول :

« تجب العناية بحسن الربط بين الدين والفن ، لان الاسلام قد جاء لتنظيم الدين والدنيا ، والفن ذو وصلة وثيقة بجانب الدين ، فاما صلته بالدنيا فتتمثل فى أن الفن يعمل لتجميل هذه الحياة ، واظهار مفاتنها ومحاسنها ومباهجها ، حتى يسعد بها اهلها ، وحتى يقبل عليها ابناؤها اقبال الراغبين فيها المحبين لها بعد ان عرفوا ما غاب عنهم قبل ذلك من وجوه الحسن والجمال فيها .

واما صلة الفن بالدين فنعرفها ونفهمها اذا تذكرنا جيدا ان الطبيعة وهي منبع الفن الاصيل هي كتاب الله المنظور ، كما ان القرءان الكريم هو كتاب الله المقروء او المسموع ، وصاحب الفن حين يأخذ اصول فنه ومواده من كتاب الله المنظور ، يكون قد ربط بين فنه وحمى ربه ، ولذلك نعتقد أن الفنان الاصيل الصحيح قوي الايمان ، وثيق الاعتقاد ، عميق الاتصال بالله ، وتتجلى آثار ايمانه ويقينه واتصاله بخالقه فى اعماله الفنية المختلفة (16) .

(له صلة)

(15) انظر كتابه (وسائل تقدم المسلمين) المنشور سنة 1960 .
(16) نفس الكتاب .

مدينة سبتة في عهد الموحّدين
من خلال بعض الرسائل الديوانية

للدكتور الحبيب الهيلة (تونس)

في اطار التبادل الثقافي بين المملكة المغربية والجمهورية التونسية الشقيقة زار المغرب مؤخرا العالمان التونسيان الكبيران فضيلة الدكتور بلخوجة مفتي الديار التونسية والدكتور المؤرخ الحبيب الهيلة . وقد قام الضيفان العربيان بجولة ثقافية واسعة عبر اقاليم ومدن المغرب القيا خلالها سلسلة من المحاضرات العلمية والاسلامية الهادفة خلفت صدى طيبا في أوساط المثقفين والجمهور المغربي .

ويطيب لنا ان ننشر المحاضرة القيمة التي القاها الدكتور الحبيب الهيلة تحت عنوان : مدينة سبتة في عهد الموحدين من خلال بعض الرسائل الديوانية . بقاعة المحاضرات بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية .

انه لمن دواعي الشرف والاعتزاز ان امثل امامكم اليوم وفي ذلك تعبير عما جمع بين بلدينا من عوامل الالتقاء وعوامل الاتحاد في المسيرة الحضارية الاسلامية في مختلف مراحلها منذ عهد الفتح الى عهدنا هذا ولا اكتمكم اني عندما عرض على الموضوع الذي وددت ان اتناوله كنت بين عاملين : احدهما يسالني استكون كالذي يهب التمر للهجر ، ايمكن ان يتكلم عن سبتة ممن لا يعرف سبتة ولا يعرف المجتمع المغربي عن قرب ولا عن معايشة والسبب الثاني الذي كانت لــه الغلبة في النهاية هو ما عرفته من تزاوج الحضارة وتكاملها بين الجانبين المغرب الادنى والمغرب الاقصى وما كنت أومن به دائما من انه لا سبيل الى من يبحث ادبا ويواصل انتاجا عمليا الا اذا كان له شرط الاتصال بين الجانبين الجانب التونسي والجانب المغربي . فهل يمكن ان تدرس ظاهرة حضارية هنا او هناك دون ان يكون للباحث اتصال وطيد بالجانب الثاني فهذا التكامل هو الذي شجعني من ناحية ثم من ناحية ثانية هو ما وجدته في مكتبتنا اي مكتبة جامع الزيتونة والمكتبة المغربية من وثائق منفردة تتعلق بمدينة سبتة . تتمثل في مجموعة من الرسائل صدرت عن امارة تمثل عهد الازدهار الذي عاشته هذه المدينة وذلك بالنظر الى ان هذه الامارة التي اعتبرتها ويعتبرها الكثير من الباحثين مثالا للمستوى الرفيع ومثالا للعهد الذهبي الذي عاشته هذه المدينة ونظرا

لذلك تاقت نفسى منذ سنوات طويلة الى ان اتتبع هذه الرسائل وبتتبعى لها وجدت نفسى بجانب نفوس تقربنى وتدينني من كل مظاهر الحركة العلمية من ناحية وتربطنى بكثير من مظاهر التحول والاثر السياسى الذى عرفته المدينة فى هذا العصر ، كلنا على بينة على ان لدول الاسلامية والنظم السياسية فى المناحى المغربية كانت دائما تقوم على مبادىء وعلى آراء عقلية وقلما تجد دولة او نظاما قام الا وقد اعتمد على هذه الاصول نظرا الى ان لاثر الدينى واثر الاسلام فى المجموعة الاسلامية كان كبيرا.. كان بعيد المدى وانك لا تجد من الدول ذات الاهمية الا دولا تمثل نوعا من الحضارة وتمثل نوعا من النبوغ العلمى والفكرى ودولة المرابطين لا بد أنها تتصل بوجيج النسب بطريقة نظرية علمية الا وهى ان هذه الدولة هى دولة الفقه دولة الفقهاء خاصة دولة انتشار كتب الفقه وهذا التمثل او هذا الاتجاه الذى سلكته هذه الدول والذى دفعها فى شيء الى ان تقف مواقف المعاداة من الاتجاهات الصوفية او العقلية الاخرى . فاذا موقفها يتمثل خاصة فيما قامت به اى احراق كتب الغزالي ولئن كان هذا العمل فى ظاهره بسيطا ، الا انه كان من ابعد الدوافع التى دفعت ذلك الشاب المهدى بن تومرت مع دعوات او مع توجيه من الامام الغزالى على اختلاف فاننا نلاحظ ان انتصار هذا الاتجاه الجديد هو انتصار اتجاه الدولة الموحدية يقوم على أسس نظرية عملية تعتمد الاصلين القرآن والسنة ، وكان رد الفعل شبيها بما اثار هذا المشكل وكان باحراق كثير من كتب الفقه الشرعية ، ولكن هذه الغلواء الموحدية لم تكن لتتواصل نظرا الى ان النظر العقلى والبحث فى معطيات الحضارة الاسلامية يجعل بين مختلف هذه الاختصاصات تزواجا وتكاملا ليس له انفصال ولا انفصام مما جعل الموحدين لا يتمسكون بمبدئهم هذا المعاش لفروع الفقه بل يلحقون العمل او المسيرة العلمية بما قاموا به من جهد فى جميع المجالات فكان ذلك تقوية لعمل نظرى فى القرآن وكان من ذلك شأن لاج المحدثين ، وكان من ذلك ظهور مدارس فقهية ذات اهمية ولعلها كانت اقوى من تلك التى كانت فى عهد المرابطين ثم ظهرت بعد ذلك الدولة المرينية التى لم تقم فى حقيقة الامر على مذهب نظرى عقائدى حضارى علمى وانما هى فى الحقيقية كانت امتدادا لما بناه ووضع أسسه الموحدين

وتم هذا العمل وهذا التكامل خاصة فى عهد أبى الحسين المريني والذي بلغ فى عهده العلم مبلغا عظيما وبلغت فى عهده الحركة الفقهية فى كامل انحاء المغرب درجة لم تصل اليها فى العصور السابقة . واذا كان امر الحضارة فى المغرب على هذا النمط من العمل المتواصل العلمى فان امر السياسة فيه كان يختلف اختلافا بينا فاذا ما تتبعنا القرن السادس وهو مدار حديثنا الآن وجدنا ان هذا الجناح من البلاد الاسلامية قد لاقى منذ اوائل القرن نكبات ونكسات متوالية ولسنا فى معرض الحديث عنها جميعا وانما نشير الى اهمها الى عقاب العقاب الى سقوط قرطبة بعد ذلك باقل من ثلاثين سنة وسقوط اشبيلية بعد ذلك باقل من 10 سنوات فلم يات منتصف القرن السابع الهجرى الا وقد فقد المغرب وفقدت البلاد الاندلسية الكثير من حصونها والكثير من معالمها العلمية والحضارية وكان بجانب هذا وهو اصل وسبب لهذه النتائج التشتت والتفرق الذى كان فى البلاد الاندلسية ، من ناحية والبلاد المغربية من ناحية اخرى والافريقية من ناحية ثالثة . فقد كان فى البلاد الاندلسية توزع للسلطة وتسابق نحو الملك ولو على مدن وقرى صغيرة فكان ابن الاحمر وابن هود وبنو اشقيلولة وكان ابن الرميمى وكان غيرهم اولئك لا تجمعهم وحدة بل يجمعهم امر هو سباقهم نحو ارضاء قوة الاستبداد التى كانت تثقل او كانت اثقلت طريقة ترويض هذه القوة اما فى المغرب فقد انقسمت البلاد الى ثلاثة قوى موحدية ومرينية وبنى عبد الوارث فى حين قويت اطماع بنى حفص وكان شأنهم أن استغلوا[1] فى اول الامر وامتدت ايديهم بعد ذلك الى تلمسان والى سبتة والى طنجة ثم الى اشبيلية ثم كانت هذه المدن الثلاثة الاخيرة قد خطبت لبنى حفص واذا نظرنا الى مختلف هذه المراكز وجدناها تتمايز فمنها ما كان على درجة أولى من مستوى الثقافة وارتباط الثقافة بالمسيرة السياسية ومنها ما كانت السياسة لها فيه نصيب الاسد وكانت هى المحرك الوحيد فمن بين المراكز ذات النوع الاول مدينة سبتة تلك المدينة التى استعصت على عبد المومن بن على وكانت آخر المعاقل المغربية سقوطا بين يديه ، وعندما دخلت تحت راية الموحدين قضت شطرا من القرن السادس وشطرا من القرن السابع تحت راية الموحدين ولكن من اخطاء الموحدين الشهيرة نزوعهم الى الانقسام

فكان انقسامهم هو الذى جعل كثيرا من المراكز تتخلى عن الطاعة لهم وترفض سلطتهم ولكن سبتة لم تصل الى هذا الحد اى رفض السلطة الموحدية الا فى سنة 640 تقريبا ذلك ان اوائل هذا القرن كانت فيه سبتة تحت امرة مجموعة من امراء الموحدين واشياخهم الذين كانوا يتولونها من السلطة المركزية . ثم فى سنة 20 من هذا القرن ولى عليها ابن خلاص وهو سياسى فقط لم تكن السياسة عنده ملتزمة لاتجاه ثقافي حضاري فكان فى سيره وظل مواليا طيلة 20 سنة للدولة الموحدية وبعد ذلك بدا له ضعف هذه الدولة ، وبدت له اهميته ومركزية مدينته التى يحكمها فتاقت نفسه الى ان يكون ملكها وقد كان فى ذلك العصر كثير ممن لم تكن لهم اهمية اصبحوا ملوكا . اذن استقل امدا قصيرا وبعد ذلك وجد نفسه امام بعض المشاكل وفى خوف ورهبة من القوة المجاورة فاذا هو يلتجىء الى من بعد عنه وهى الدولة الحفصية بتونس فيكتب لها ولم يدم الامر طويلا نظرا الى ان المستوى الثقافى والحضارى الذى كانت عليه المدينة ما كان يستطيع ان يترك مدينة كهذه ان تذهب ضحية اطماع اشخاص ليست لهم اية علاقة بالجذور التى تربط وتقوى اصالة هذه المدينة ، يعنى الحضارة والثقافة فكان من ذلك ان ثار اهل المدينة ليبحثوا عن قائد جديد اي عن امير للمدينة وبما ان هذه المدينه قد رسخت عروقها فى المعرفة واتصلت بجميع انواع المعرفة فكان من الطبيعى ان يقع اختيارهم على رجل يرضى نفوسهم يكون مثالا عندهم فوجدوا ابى القاسم العذفى وهو فى الحقيقة من عائلة لها مجد علم ولها صلات بالمعرفة فقد كان جده الرابع ممن رحل الى ابن ابى زيد القيروانى فكان له معه اتصال وكان له تلميذا وكان جده الثانى قاضيا وكان ابوه من كبار الفقهاء والمحدثين خاصة ولم يقف فى مرحلة الرواية وانما كان يبحث عن ما يتماشى او يبتدع الاراء الجديدة ويحاول ان يضع فى المجتمع الذى عاشه نوعا جديدا اى من اتصال المفاهيم الدينية فى المجتمع وتبين ذلك فيما كان قد دعا اليه فى الاحتفال بالمولد النبوى وذلك انه كان اول من دعا الى هذا النمط من الاحتفال ووضع لذلك كتابا سماه « المنظم فى الاحتفال بالمولد النبوى المعظم » ومن اطلع على العديد من تراجم ابناء هذا العصر يجد فى كثير من الاحيان اسما لتلميذ له او لشيخ ولا بد انه واجد كثيرا من ابناء هذا العصر وكان الابن قد سار على نفس الطريقة التى سلكها الاب فلذلك كان فقيها حتى ان الاب عندما مات لم يكن قد اتم كتابه فتممه الابن وعندما اصبح اميرا ، وهو اميرا يدرس هذا الكتاب فى جامع سبتة وهكذا كان الاختيار من اهل المدينة لرجل تجتمع فيه كل الصفات التى تتطلبها المدينة ولما قامت الثورة لم تجد من يناقضها او يعارضها حتى ان بعض رواة التاريخ ليروا من انه لم يقتل فيها غير ثلاثة او اربعة من الاشخاص واتجه توا اى هذا الامير الى مدينة يمدها بما تستحق له ، او ما هى فى حاجة اليه خاصة فى تلك المرحلة التاريخية العصيبة التى تجعل من هذه المدينة ذات اثر بعيد فى نصر المسلمين او انهزامهم فكان قد قوى جانب الثقافة وقد كان قويا ، ثم ذهب الى الجوانب العمرانية فاكمل بناء سورها واضاف اليه ما يستحقه هذا السور ثم بنى جبا للماء وغير ذلك من المنجزات الهامة بهذه المدينة ، ومن بين ما قام به هو تكوينه للاسطول نظرا الى انه شعر وهو على حق فى ذلك من ان هذه الفترة ستجعل للمدينة اثرا بعيدا وتحملها دورا هاما لانها تواجه جانبين تواجه الشمال بما كان فيه من تكالب وتطلع من النصارى لمواصلة الاستمداد وكذلك الجنوب الذى كان يبدى من تطلع اهل المغرب لاستعادة هذا الوطن السليب الى اعادة راية الاسلام الى منطقة الاندلس وفعلا كان ذلك فقد قامت فى تلك المرحلة هذه المدينة برد هجومات متعددة نصرانية جاء الكثير منها من البلاد الاندلسية وجاء بعضها من ايطاليا فاذا نحن نجدها تقف صامدة وتدافع لتبقى هذا المركز الاستراتيجى صالحا لان يكون معبرا لاهل المغرب الى الاندلس . والمتتبع لكتاب التاريخ العام للبلاد المغربية لا يجد ذكرا لكثير من تفاصيل المواقف السياسية لهذه المدينة ونبحث فاذا نحن نجدها تارة موحدية وتارة مغربية ولا نجد نصا يدلنا على الوقت ولا الزمن الذى يحدد فترة الانتقال من الخضوع للسلطة الموحدية الى خضوع للسلطة المرينية ، ولكن هذه الرسائل لها من الاهمية ما يجعلنى الفت اليها الانتباه قد افادتنا بالكثير من التحقيقات التاريخية وبكثير من المعطيات التى لم نجدها فى غيرها من الكتب وفى غيرها من الوثائق التاريخية هذه الرسائل كتبها رجل حسن اختياره من طرف امير حسن اختياره ايضا فاذا كانت مدينة سبتة قد اختارت لنفسها

اميرا فقيها عالما فان هذا الامير قد اختار لنفسه كاتبا يعد فى عصره من ابرع الكتاب واحسنهم وارفعهم درجه وهو شخصيه مثاليه . اندلسى الولاده حيث ولد باشبيليا ثم مغربية سبتة الاقامة حيث قضى بها اربعين سنه . وتونسى لاقامته بها امدا كان يعطى دروسا فى الحديث بالزيتونه . وبعد ذلك انتقل الى قضاء انحج فمات بالمدينه المنوره.
هذا الكاتب هو خلف بن عبد العزيز الغافقى القبتورى .. هذا الرجل جاء به الزمان فى حين كان الزمان قد التفت عن مدينة اشبيلية ذلك انه ولد وعاش باشبيليه امدا لكنه لم يجد من حظ الاقامة بها شيئا نظراً لانه اضطر لمغادرة بلده لما كان يتهددها من عوامل الاستبداد وقد تتبعنا ترجمته ووجدناها ذات علائية القوم فهو تلميذ لابن جابر فهو تلميذ لابى الحسن وتلميذ لابن ابى الربيع وتلميذ لعلية لدرجة رفيعة اليه بارزة فى الثقافة ؛ ثم بانتقاله الى مدينة سبتة وجد فيها الامير حاجته لانه يجمع بين عوامل ثلاثة : الادب ويضيف اليه معرفة واسعة فى الحديث فهو من كبار المحدثين فى عصره ويضيف الى ذلك جانب معرفته باللغة والفقه . ولعل كثيرا من هذه الحقائق لم تات لنا الا بمعرفة اساسها فهو قد جمع فى هذه الرسائل التى قد تكون وحيدة ذلك العصر ولذلك يمكن أن يعتبر استاذ للسان الدين ابن الخطيب ولعلى لا ابالغ فى ذلك نظرا الى ان لسان الدين ابن الخطيب كان يسميه تقية الكتاب فاذاً كانت هذه الثقافة الواسعة قد التقت مع نظر سديد وحسن تدبير فى السياسة فان هذا الالتقاء هو الذى جعل الاختيار مرضيا ومقبولا ومرضى النتائج ، فكان الاختيار من طرف ابى القاسم العدمى لكل هذه العوامل ، ويبدو ان هذا الكاتب اقام على ديوان الانشاء امدا لا يقل عن 35 سنة تقريبا حيث انه وجدنا من هذه الرسائل رسالة يمكن أن نؤرخها بسنة 647 واخرى يمكن ان نؤرخها 688 وهى مرحلة جمعت بين ثلاثة من امراء البيت وهم ابى القاسم وابو حاتم وابو طالب ولكن هذه الرسائل نجدها فى الحقيقة تقدم لنا نوعين من الاهمية ، هناك الاهمية اللغوية الادبية التى ليس الآن موضوع دراستها ولا من شاننا ان نتحدث عنها وانما نتعرض لها تعرضا بسيطا عندما نشير الى ان هذه الرسائل يمكن ان تعتبر من اهم ما كان يعتمده القلقشندى فى صبح الاعشى فان الدرجة التى يتباهى القلقشندى فى درجة رفيعة من الكتاب لا يمكن فى الحقيقه ان تصل الى درجة ابى القاسم فى رسالته هذه اما القيمة التاريخية فانه يمكن ان نجعلها تتناول جهات متعدده فهى تفيدنا من ناحية اولى بان هذه الرسائل قد كتبت فى ثلاثه عهود تاريخيه سياسية ، فقد كتب بعضها فى عهد كانت فيه مدينة سبتة تنضوى تحت لواء الموحدين ، وبدراسة هذه الرسائل استطعنا ان نحدد هذا الزمن فهى قد ابتدات من سنة 647 الى 665 ، ثم هناك مرحلة او عصر ثانى هو عصر استقلال سبتة عن السلطة الموحدية والمرينيه استقل فيها المدينة واستقل فيها ابو القاسم بامارته وهذه المرحلة يمكن بدراسة هذه الرسائل ان نجدها تتراوح بين 665 و 673 ثم تاتى بعد ذلك مرحلة الانضواء تحت الدولة المرينية وتبدا من سنة 673 ، عدد هذه الرسائل هو عدد قليل وهو 11 رسالة فقط ويمكن ان نضيف اليها رسالتين قد وجدتا ، أعتقد رغم ان المصدر لم يذكره الكاتب الا انا أعتقد بالمقارنة لنص الرسائل التي بين يدي ونص هاتين الرسالتين ما يثبت على ان الكاتب هو بنفسه لان هذه الرسائل قد كتبت فى ذلك العصر وكتبت بنفس ذلك المستوى الا انها وقعت فيها اخطاء ..

ثم هناك معطيات جديدة وجدت فى هذه الرسائل هى ان مدينة سبتة لم تمر من عهد الموحدين الى عهد المرينيين مباشرة وانما مرت من عصر كانت قد استقلت ومن هنا نلاحظ الى ان هناك اربع من هذه الرسائل هى من عهد الموحدى ورسالتان من عهد استقلال سبتة وخمسة رسائل من عهد المرينيين ، بايجاز نتحدث عن رسائل كل عهد فى العهود الثلاث ، رسالة العهد الاول ، اى عهد الانتساب للدولة الموحدية هى رسائل وجهت الى الامير الموحدى المرتضى واخرى الى ابن الاحمر ، وثالثة وجهت الى الرجل الصالح ابى محمد بفاس الحقيقة التاريخية التى نستطيع ان نستنتجها منها هى اولا ما كانت عليه سبتة وقيامها بدور الوساطة فى الخلاف الذى كان يحدث خاصة بين امراء الاندلس فى ما بينهم من ناحية وبين بعضهم وكذلك بين الامراء فى العدوة المغربية ، ثم نلاحظ ان فى احدى هذه الرسائل محاولة قوية وعنيفة ومسابقة من ناحية اخرى لاقناع الجانبين ، اقناع

ابن الاحمر واقناع الموحدين بضرورة الحفاظ على مدينة سبتة اذ عندما تدخل مدينة سبتة تحت طائلة ايدى النصارى فسيكون فى ذلك البلاء الكبير على هذه المنطقة الاسلامية وبتحليل سياسى بارع بلغة تعتمد التأثير الخطابى من ناحية وتعتمد التأثير الدينى من ناحية أخرى ثم ومن ناحية اخرى فى هذه الرسائل يريد ان يكون دائما المبلغ لكل التحركات النصرانية التى تقوم بها القوة النصرانية بالاندلس من ناحية ويقوم بها الاسطول النصرانى من ناحية ثانية . وكما وقع تحرك الا وجدناه يكتب برقية الى الجهات السياسية ليعلمها بذلك حتى تاخذ حذرهـا ، ثم يشير الى بعض المنافقين من المسلمين الذين اعانوا القوة النصرانية ، وهذه الرسائل الموحدية تفيد من جانب له اهمية كبرى الا وهو ما كان يريده ابـن العدتين من ربط العلاقة بين الطبقة المثقفة من جهة بالطبقة المثقفة بفاس وببقية المدن المغربية وقد كانت رسائل موجهة الى علماء فاس احيانا ولعلنـا اذا تارانا تلك الرسائل فى الدخبرة الثانية والتى تـدل كثير من المصادر على انها كانت تقرأ على المنابر فى كثير من مناطق بلاد المغرب فان فى ذلك دليل علـى ما كانت تريده سبتة وما كان يريده اميرها من ربط للعلاقة ومن ابقاء على هذا الحصن حتى لا يسقط لانه اذا ما سقط انفتح الباب امـام كل القـوى النصرانية التى كانت لا تريد ان تكتفـى بالعـدوة الاندلسية وانما تريد الاتساع فى البلاد المغربيـة .

اما رسائل عهد الاستقلال فانه فى الحقيقـة لم نجد الا رسالتين فقط ، احداهما لها اهمية كبرى من الناحية الدينية والادبية : ذلك ان هذه الرسالة قد وجهت لا الى ملك ولا الى امير وانما هى قـد وجهت الى محمد صلى الله عليه وسلم . وبعد هذا العمل الذى قام به هو اقدم ما عرفناه الى الآن من الرسائل من هذا النوع . وهاتان الرسالتان كثيـر من الباحثين فى البلاد يعتقـدون انهمـا من اقـدم الرسائل التى كتبت للنبى صلى الله عليه وسلـم وفى الحقيقة هى تعبير عن المحبة التى يكنها المسلم للنبى عليه الصلاة والسلام فنجـد بالمقابلة بيـن هذه الرسالة من الناحية التاريخية ، وكذلك مـن الناحية الادبية ، ومن حيث التفنن فى الاستعمـال نجد ان رسالة الفاستى فى هذا الموضوع وان كانت من اقدم ما عرفناه من هذا النمط من الادب ، كانت الاولى وكانت ابرع الرسائل التى عرفت ولعلنا اذا كتب لهذه الرسائل ان تطبع عندما نقراها نلاحـظ الفوارق ونلاحظ قوة الايمان الـذى كان للكاتـب وللامير فى نفس الوقت وكذلك سعة المعرفة عنـد الكاتب نظرا الى انه ضمن هذه الرسالة العديـد اكثر من مائة من الاحاديث النبوية التى يضمنهـا احيانا ويلمح اليها احيانا اخرى فى استعمالات ادبية عجيبة ، وفى طرق واساليب من النثر لا تجدها عند غيره ونعود الى الثالث المجموعة الاخيرة من هذه الرسائل يقف موقفا جمع بين الحسنين كما يقال ، جمع حسن مواقفه العسكرية حيث ان سبتة هى التى كانت تنقل جيوش المغرب التى كانت تحـاول ارداء راية الاسلام فى بعض المناطق الاندلسيـة ولعلنا عندما نتذكر ما كان فى ذلك العهد من حركات قوية دفعتها شحنات شديدة من الايمان وخاصـة اقصد بذلك حركات ابى يعقـوب المرينـى كان فى جوابه الاول والثانى وفى كل جواب لـه من هـذه المواقف العسكرية التى وجدنا فى كتب التاريخ اهمالا كبيرا لدقائقها ولكثير من مراحلها ، وهذه الرسائل نستطيع ان نقراها ونتتبع وكأننا نلاحـظ خريطـة عسكرية ونلاحظ كل مرحلة قضاهـا فى ان يـوم وصلت الى ذلك الحصن او الى تلك المنطقة واعماله ولقاءاته مع النصارى وكل هذا قد سجل بطريقـة عجيبة من الادب وفى اسلوب بارع يدل على اهتمام بعيد . اذن هذه الرسائل قد قامت مقام ما نسميه اليوم بالتغطية الاعلامية وكانت هذه التغطية تسير فى اسلوب جميل فهو دائما يوجل الخطاب الى امير المؤمنين ، ولكن تبعث من هذه الرسائل مجموعـة من النسخ التى توجه الى مختلف الاقطار لتتلى ايام الجمعة على المنابر فهى بذلك قد حركت كثيرا من الهمم وقد دعت الناس الى مـؤازرة هذا الاميـر المرينى ولعل ذلك مما زاده قوة ومما قوى ساعده فى الداخل ثم نلاحظ ان هذه الرسائل المرينيـة لا توجه للامراء فقط وانما توجه ايضا الى الطلبـة والشيوخ من اهل العلم وهى كذلـك توجه الـى الشرفاء ، شرفاء مدينة فاس وخاصة عندما — وهذه ملاحظة نلاحظها — مرض كبيرهم وهم ابـى الحسن الجوطى كبير شرفاء فاس فاذا بها فى تلك الرسائل دواعى الاخوة وما فيها من عوامل التآلف يبين لنا ما كان لهذه المدينـة من رغبـة فى تقويـة العلاقات حتى يلتئم الشمل وتكتمل مفاهيم الحضارة فى هذا المجتمع الصغير .

ونلاحظ ملاحظة ولعلها تكون الاخيرة وهي ان بعض هذه الرسائل يتحدث عن اعيان مدينة سبتة وحديث كهذا الفناه من المصدر ، لكننا نلاحظ فى هذه المرة أن رسالة لم تكتب عن طريق الامير او باسم الامير ابى القاسم وانما كتبت باسماعيان مدينة سبتة ، وهى موجهة الى الامير الموحدى يحدثونه فيها حديث الند للند وهى الرسالة التى كتبت فى آخر العصر الموحدى من ناحية ثم من ناحية ثانية نجد ان هذه الرسالة تعبر عن وجود مجموعة من الاعيان وقع اختيارها . وان اهم المسائل السياسية والعسكرية وغيرها تسير لا عن طريق الامير وانما عن طريق هؤلاء الاعيان ، هذا المجلس الذى تولى تسيير شؤون المدينة ، وهذا يذكرنا بمجلس شبيه به كان فى شمال ايطاليا فى مدينة البندقية ولعلها مقارنة يمكن أن تحدث وقد اشار اليها بعض المستشرقين وهو كايان كلوكان عندما لاحظ وجود الاتصال بين هذه المدينة من ناحية عسكرية وسياسية وخاصة فى عملها التجارى وفى طباع اهلها نجد شئا من الشبه بمدينة البندقية على كل هذا الامر دقيق جدا ولعل ما سنجده من الوثائق يستطيع أن يفيد .. وانى لاجد رغبة فى ان ازيدكم بعض هذه المعلومات الدقيقة التى لا نستطيع أن نستفيد منها بدرجة كاملة الا اذا استعملنا النصوص ، وتتبعناها وبذلك يكون العمل مقروءا ان شاء الله ، والغاية من هذا فان الحقيقة ابعد من أن نتحدث عن مدينة سبتة ، وهى اعتقد أعمق من ذلك بكثير فان ما عرفناه فى تاريخنا الانسانى أو ماقرأناه خاصة فى التاريخ المغربى فانه مع الاسف فى كثير منه لا يتناول الا الجانب الظاهرى السياسى فى حين أن النظرة المثلى المعاصرة هى تاريخ المجتمع ، تاريخ للصورة التى كانت عليها المجتمعات لان هذا النوع من التاريخ هو الذى يعطى مدى الايمان وهو الذى يعطى لنا الكثير من الحقائق التى تنير السبيل فيزيد شبابنا اعتزازا بهذا التاريخ لاننا لا نستطيع أن نتعرف على هذه الحقائق التاريخية اذا ما اكتفينا بالنظر فى تواريخ الحواديث وفى ذكر السنوات التى تولى فيها فلان او انهزم فيها فلان .. هذه الجوانب الظاهرة من التاريخ لا تعطى للمنتسب الى المغرب اى صورة حقيقية ولا تعطى للشباب ما يحتاج من شحنات الايمان فان عملنا يكون اكثر اهمية واعظم فائدة عندما يتجه الى دراسة اغوار المجتمع ، تطور كل حركة عقائدية او علمية او كل ظاهرة حضارية ومع كل الاسف فان مصادرنا التاريخية لم تهتم بهذا اهتماما اساسيا الا أن الامل يحدونا دائما ، وما نجده فى هذا البلد خاصة بالوثائق سيكون هو الذى يفتح لنا ابواب الامل بأن ندرس تاريخنا دراسة حقيقية تمكننا من أن نقوم بواجبنا نحو شبابنا الذى يتعطش الى أن يؤمن بتاريخ وكيف لا وهو قد انتسب الى أمة لها تاريخ وهى فى الحقيقة يمكن لها أن تمد روحه بما يستحقه من ايمان

والسلام عليكم .

أغلاط شائعة

للدكتور عبد الله بن الصديق

شاع بين كثير من الناس ، عبارات وجمل ، تجـري بينهـم فى محاوراتهم ومناظراتهم ، كانها مـن المسلمات . لا يحاول احد منهم أن يردها ، أو يناقش معناهـا ، مستدركان أو معترضا ، وهي في الواقـع خطا بحت ، ليس لها نصيب من الصواب . بل منها ما يمـس العقيـدة ويخدشها ، بحيث يصير معتقد معناها ، واقعا فى الضلال ، وهو لا يشعر . وتلك الجمل كثيرة ، احاول ان اجمعها فى كتاب خاص ، مع بيان خطرها وضررها .

واني ذاكر هنا بعضا منها ، نموذجا لباقيها ، وعنوانا عليه .

— 1 —

من تلك العبارات ، قولهم : المزية لا تقتضي التفضيل ، وهي اقبحها واشد ضررا . واظن الشيطان القاها على السنتهم ، ليضلهم بها .

فبسبب هذه العبارة الخبيثة اعتقدوا ان فى الاولياء من هو اعلم من بعض الانبياء .

كما اعتقدوا أن بعض الاذكار أو الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم ، يوازي القرءان ، بـل يزيد عليه مرات .

مع ان تلك العبارة التي بنى عليها هذا الضلال وامثاله ، كاذبة ومختلة .

اما كذبها ، فلان المزية تقتضي التفضيل حتمـا . وذلك لوجهين :

1 — أن معناها هي : الخصلة التي توجد فى شيء دون غيره ، فيتميز بها عليه ، وهذا هو معنـى التفضيـل .

2 — أن المزية والفضيلة والخصيصة والمنقبة ، الفاظ مترادفة ، تدل على الخصلة التي يفضل الله بها بعض مخلوقاته ، وقد تكون وهبية أو كسبية .

فالنبوة والرسالة ، مزية وهبية ، وخصيصة وفضيلة ومنقبة ، فضل الله بها انبياءه ورسله .

وتخصيص جبريل عليه السلام بالوحي ، مزية وهبية وفضيلة وخصيصة ومنقبة ، فضل الله بهــا جبريل على الملائكة .

والعلم ، فضيلة ومزية وخصيصة ومنقبــة ، فضل الله به العالم على الجاهل .

وليلة القدر ، فضلها الله بنزول القرءان فيها . وهي مزية وفضيلة وخصيصة ومنقبة ، وبها ايضــا فضل الله شهر رمضان .

ويوم الجمعة ، ويوم عرفة ، ويوم عاشوراء ، وعشر ذي الحجة ، فضلها الله بمزايا لم توجد فى غيرها من الايام .

وفضل الله مكة والمدينة ، بمزايا لم توجد فى غيرهما من البلاد .

واذا تعارضت المزايا فى شخصين أو زمانين او مكانين ، فضل أحدهما على الآخر ، بأكثرها عددا ، او اكبرها وزنا وقيمة .

ومن هنا كان النبي صلى الله عليــه وسلــم افضل الانبياء ، لكثرة مزاياه ، وعظم وزنها وقيمتها .

وعلى هذا الاساس يحصل التفاضــل بيــن الصحابة والائمة والعلماء والاولياء .

ثم المزايا التي يمكن المفاضلة بينهــا عنــد التعارض ، هي العارضة لصاحبهــا ، كالرســالــة والصحبة والعلم والزهد مثلا .

اما المزية الذاتية للشيء فلا يمكن ان توازيهــا مزية عارضة ، فضلا عن أن ترجح عليها .

ولهذا كان القرءان افضل الاذكار على الاطلاق ، لانه كلام الله ، فمزيته ذاتية له ، بمعنى انها جزء من مفهومه ، اذ لايمكن أن يتصور القرءان فى الذهن الا بانه كلام الله وصفته .

بخلاف الذكر او الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فانه عملنا أضيف الى الله على وجــه العبادة له ، وشتان بين صفة الله وعبادته !

فمن زعم أن بعض الاذكار يوازي القرءان ، أو يزيد عليه ، كان كمن زعم أن قدرة المخلوق فى بعض حالاتها ، تساوي قدرة الخالق ، أو تزيد عليها !

وكلا الزعمين فاسد بضرورة العقل ، ضــلال بحكــم الشــرع .

والحديث القدسي الذي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى . هو مع انه كلام الله ، تراخى فى الفضل عن القرءان ، لامرين :

احتمال أن يكون مرويا عن الله بالمعنــى ، لا باللفظ ، والقرءان ليس كذلك ، بل هو مروي باللفظ والمعنــى .

احتمال أن يكون وحيا فى المنام ، او نفثا فى الروع . والقرءان لا يكون وحيا فى المنام ، ولا نفثا .

فلهذين الاحتمالين ، لم يعط حكم القرءان فى الفضل ، ولا فى التلاوة .

واما خلل تلك العبارة ، فلأن الذين يلوكونهــا بالسنتهم ، فلا يستطيعون أن يذكروا لها معنى يفرق بينها وبين الفضيلة والخصيصة والمنقبة ، حتــى يمكنهم أن يقولوا : هذه مزية لا تقتضي التفضيل ، وهذه فضيلة تقتضيه .

نعم ، ليس لديهم تعريف يفــرق بين هــذه الالفاظ المترادفة .

ويلزم على هذا الخلل ، فساد كبير . اذ ما من فضيلة الا ويمكن ان يقال عنها : انها مزية لا تقتضي التفضيـــل .

فيقال فى خلة ابراهيم عليه السلام : انها مزية لا تقتضي تفضيله ، ويقال فى موسى عليه السلام . كونه كليم الله ، مزية لا تقتضي تفضيله .

ويقال مثل ذلك في فضائل النبــي صلى الله عليه وسلم ، وفى فضائل الصحابة .

فتبطل الفضائل ، ويختل ميزان معرفتها ، وفى هذا من الفساد ما لا يخفى .

قد يقال : ان الله تعالى صرح بتفضيل موسى بالكلام ، فقال سبحانه (يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي) .

فنقول : هذه الاية دليل لنا على أن المزيــة تقتضي التفضيل ، وعلى ان تلك الجملة كاذبــة .

ومن فروع هذه الجملة ـ سوى ما سبق ـ اعتقادهم ان الولي قد يكون أعلم من النبي ، مستندين الى قصة موسى والخضر عليهما السلام ، بناء على زعمهم ان الخضر ولي .

وهذا رأي ضعيف شاذ .

والراجح عند الجمهور ، وهو الذي لا يجوز غيره : ان الخضر نبي . والدليل على نبوته من القرءان امور :

1 ـ قوله لموسى (انك لن تستطيع معي صبرا) ولا يجرؤ ولي أن يخاطب رسولا بهذا النفي المؤكد ، اعتمادا على مجرد الالهام او الكشف ، ولو انه نبي يوحى اليه ، ما علم ذلك ولا نطق به .

2 ـ قتله للغلام ، ولولا أنه أوحى اليه بقتله لما فعل ذلك بمجرد الهام الاولياء .

3 ـ قوله عن اليتيمين (فاراد ربك ان يبلغا اشدهما) ما علم ارادة الله ذلك الا بوحي منه .

4 ـ قوله (وما فعلته عن أمري) اى فعلته بوحي .

5 ـ علم النبي يقيني بوحي ، وعلم الولي ظني بالهام. ولم يكن موسى ليرحل فى طلب علم ظني ، يخطىء ويصيب ، ومعه علم يقيني لا يخطىء .

6 ـ تبين لي من اسلوب القرءان الكريم أن الله تعالى اذا نسب الى ذاته المقدسة تعليم شخص معين ، فذلك دليل على نبوته اقرأ قوله تعالى: (وعلم آدم الاسماء كلها .. وعلمك ما لم تكن تعلم .. واذ علمتك الكتاب والحكمة .. وانه لذو علم لما علمناه .. وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث .. وعلمناه صنعة لبوس لكم) .

وقال فى الخضر (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) فهو نبي .

7 ـ قوله تعالى (آتيناه رحمة من عندنا) اى نبوة .

8 ـ قول موسى له (هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا) اي مما علمك الله .

9 ـ وفى الصحيحين عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن الخضر قال لموسى عليهما السلام : أنا على علم من علم الله لا ينبغي لك ان تعلمه وانت على علم من علم الله لا ينبغي لي أن اعلمه . معنى كلامه : أن كلانا على علم من الله بشريعة تخالف الاخرى ، فلا ينبغي لاحدنا أن يعلم شريعة الآخر ، لانه غير مكلف بها ، وتثير دهشته واستغرابه .

وهذه هي النبوة فى اجلى معانيها .

وبعضهم استند الى قول ابي يزيد البسطامي : خضنا بحرا وقفت الانبياء بساحله ، فهم منه أن الولي قد يخوض فى علوم ومعارف ، لم يعرفها الانبياء . وابو يزيد لم يقصد هذا المعنى ، لانه كفر صراح .

وانما قصد بحر الشهوات ، فهذا البحر وقف الانبياء بساحله ، يحذرون الناس من خوضه . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « انا آخذ بحجزكم عن النار وانتم تقتحمون فيها » .

وقال أيضا : « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » .

وروى ابن عبد البر فى الاستيعاب عن خالد بن سعيد بن العاص : أنه راى فى المنام انه وقف به على شفير جهنم ، وراى والده يدفعه فيها . وراى النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بحقويه ، لئلا يقع فيها . ففزع وقال : أحلف بالله انها لرؤيا حق . ولقى ابا بكر رضي الله عنه ، فذكر ذلك له . فقال ابو بكر : أريد بك خير ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه ، وانك ستتبعه فى الاسلام الذي يحجزك من أن تقع فيها ، وابوك واقع فيها ، فلقى النبي صلى الله عليه وسلم باجياد فأسلم .

فوظيفة الانبياء ، تحذير الناس من خوض بحر الشهوات الذي يؤدي بهم الى النار ، أعاذنا الله منها .

— 2 —

ومنها : قولهم : حسنات الابرار سيئات المقربين . هذه الجملة قيلت قديما ، ووقعت فى كلام بعض الكبراء ، مثل الامام النووي رضي الله عنه . وظنها بعضهم حديثا ، وليست هي بحديث ، كما قال الحافظ السخاوي .

والواقع أنها خطأ من وجوه ثلاثة :

1 ـ ان الحسنة من حيث ذاتها ، لا تختلف باختلاف فاعلها . فالحسنة من العاصي ، حسنة من الطائع . والحسنة من العالم او الولي ، حسنة من النبي .

ولا يعقل أن تكون حسنة من صالح ، هي نفسها سيئة من نبي .

نعم قد يعرض للحسنة ما يجعلها سيئة ، لامر خارج عارض لها ، لا لذاتها .

وهي من افراد مسالة الواحد بالشخص له ، جهتان ، لا تلازم بينهما . وهذه المسالة مقررة في علم الاصول .

2 ـ ان الابرار ، هم المقربون ، اختلفا في المفهوم ، واتحدا في ما هو صدق .

وعلى هذا يصير معنى الجملة : حسنات الابرار ، سيئات الابرار ، وهذا تهافت .

والدليل على اتحادهما ، قول الله تعالى في الملائكة المقربين (بأيدي سفرة كرام بررة) مع قوله في الصالحين من المؤمنين (وتوفنا مع الابرار) .

بررة وابرار ، جمعان لبار . اولهما جمع كثرة ، والاخر جمع قلة .

عبر في الملائكة بجمع الكثرة ، لانهم مع كثرتهم ، طائعون مقربون ، ليس فيهم عاص .

وعبر في المؤمنين ، بجمع القلة ، لانهم اقلاء بالنسبة لغيرهم . يؤيد هذا انه عبر في اضدادهم بجمع الكثرة ، حيث قال سبحانه : (اولئك هم الكفرة الفجرة) لانهم اكثر بني آدم .

3 ـ ما المراد بحسنات الابرار ؟ ان اريد جميعها ، فهو باطل قطعا . وان اريد بعضها ، فما هو ؟ وكيف السبيل الى تعيينه ؟ وما الدليل عليه .

— 3 —

ومنها قولهم : خطأ مشهور ، خير من صواب مهجور . وهذه جملة خطيرة ، تدعو الى ترك صواب كثير ، بدعوى انه مهجور ، لا يعرف .

وقد وقعت اخطاء كثيرة ، في مسائل دينية واشتهرت ، فهل يتبعها الناس ، ويدعون الصواب المهجور ؟ ان فعلوا ذلك ضلوا ضلالا مبينا .

ثم الخطأ يحصل عن جهل من المخطىء ، والصواب نتيجة علم وبحث ، فهل يجوز ان يقدم الجهل على العلم ؟

والله تعالى علمنا أن نقول (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا) .

فأفاد ان الخطأ من المعفوات ، وان الصواب هو الاصل والقاعدة .

وصرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله « ان الله وضع عن امتي الخطأ والنسيان والامر يكرهون عليه » .

فكيف يصير الخطأ المعفو اصلا معمولا به ، ويطرح الصواب الذي هو الاصل ؟ !

اليس في هذا مخالفة للكتاب والسنة ؟ !

ثم ما هذه الشهرة التي تجعل الخطأ مقبولا دون الصواب ؟ ان كانت عند العوام ، فلا اعتبار لها . وان كانت عند العلماء ، فلم يحصل انهم تواطأوا على خطأ حتى اشتهر بينهم . بل لا بد ان يتنبه له ، وينبه عليه طائفة منهم .

ثم لفظ الهجر ، يفيد ترك الشيء عن عمد ، كما قال الله تعالى (وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرءان مهجورا) . وقال (واهجرهم هجرا جميلا) .

وترك الصواب عن عمد ، يوقع في الاثم . لانه اما عن عناد ، او استكبار .

فاستبدال الخطأ المشهور به ، اصرار على الاثم ، وهو معصية .

فحق تلك العبارة ان تكون هكذا : صواب مهجور ، خير من خطأ مشهور .

— 4 —

الابيـــات المشهـــورة :

طلع البـدر علينـــــا
من ثنيات الـــــــوداع

وجب الشكـر علينـــا
مـــا دعـــا للـــه داع

ايها المبعوث فينـــا
جئت بالامـر المطـــاع

صرح الشيـــخ مسعـــود بن محمد بن علـــي جموع ، فى كتاب الدرة المضية من خبر سيد البرية: انها قيلت فى استقبال النبي صلى الله عليه وسلم ، عند دخوله المدينة المنورة مهاجرا .

وهكذا شاع بين الناس ، وهذا خطأ مشهور !

والصواب كما قال ابن القيم انها قيلت عنـــد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبـــوك ، وثنية الوداع ، موضع فى المدينة من جهة الشام ، لا من جهة مكـــــة .

القاهرة : عبد الله بن الصديق

الشاعر الوزير محمد ابن موسى دراسة في شعره

-7-

لالأستاذ محمد المنتصر الريسوني

ومن معارفه النحوية هذه التورية أوردها في قوله من قصيدته له يذكر فيها (الصلة) و (العائد) المعروفين في النحو العربي .

فيها السعادة والسيا
دة والزيادة بالمقاصد
فيها المطالب والمطا
يب والطرائق والتلائد
فيها من الخير الكثير وفي المنى (صلة) و (عائد) (1)

ومن معارفه في علم المنطق حديثه عن الماهية وموضع استعمالها ، في الرسالة التي كتبها على لسان طالب الى فقيه عرائشي — وقد مر الكلام عنها — يقول فيها (... ونظنه لو سئل عن تحديد الماهية (2) بقيديها ، وأين تستعمل أفي خصوص الموجودات ، أو فيها وفي المعدومات ماهية لجد في الهرب غير زائد على أنها نار حامية ...) .

ومن معارفه العروضية قوله في مدح الملك محمد الخامس رحمه الله — وقد سلف الحديث عنها — يشير فيه الى تفاعيل بحر الطويل الذي آثره على غيره في موضوع المدح لكونه — كما في رأي

(1) انظر الحديث عن الصلة والعائد في كتب النحو قديمها وحديثها في باب (الموصول) ، فراجع مثلا ابن مالك (جمال الدين محمد) تسهيل (الفوائد وتكميل المقاصد) ص 33 وما بعدها — تحقيق محمد كامل بركات — دار الكتاب العربي للطباعة والنشر — 1398 هـ — 1978 م وراجع الصبان (محمد بن علي) (الحاشية على الاشموني) على الفية ابن مالك ج 1 ص 155 وما بعدها .

(2) راجع تعريف الماهية عند الجرجاني (أبو الحسن علي) التعريفات) باب (الميم) ص 104 — الدار التونسية للنشر — 1971 وعند جميل صليبا المعجم الفلسفي ج 2 ص 314 — 315 — ط 1 — 1973 .

الشاعر ـــ اوقع فى النفس واوعى لما يريد معالجته من مضامين :

وما تركت يمناه مجدا موئـلا
ولا شرفا الا غرت منه حاصـلا
امولاى ما حـد البراع ببالـغ
بنعتك شأوى من فعولن مفاعلا (3)

ونعثر فى كناشتـه المذكـورة علـى بعـض المعلومات فى العروض كقوله (من مجزوء الكامـل المرفل) (4) وقوله (من مخلع البسيط) (5) . والماماته بالاعلام التاريخية وباثراته وتضميناته لشعر غيره تستوقف قارئ شعره ونثره ، تشده اليها شـدا وتطوف به عبر انباء التاريخ والادب، وتقدم له البرهان تلو البرهان على ما للشـاعر من اطـلاع واسع على التراث ، واستظهار للنصوص الشعرية القديمة ومن هذا الوادى قوله مساجلا الشاعـر عبد اللـه التبـاج (6) :

لفظ ارى كوكـب الابـداع فى شـرف
ورائق الغـرض المطلـوب منجـذبا
فـ (المجد) من رائق الاسلوب فى دهش
و (السعد) (7) يحتار فى المعنى لو انتصبا

فكلمة (المجد) (8) يشير بها الى مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس وكلمة (السعد) (9) يشير بها الى سعد الدين التفتازانى احد اعـلام العربية والمنطق .

---

(3) للطويل موسيقا تحـوي النبـرة الجـادة وتفاعيلـه هـي :
فعولن مفاعيلن فعولـن مفاعيلـن فعولن مفاعيلن فعولـن مفاعيلـن
وقد ابدل الشاعر نون (مفاعيلن) الف وصل لتناسب باقي الالفات الاخرى التي لحقت روي القصيدة وهذا لم يوتر البتة فى الوحدة الموسيقية ، لان النون ساكنة والالف ساكنة ويمكن مراجعة الطويل فى كثير من كتب العروض القديمة والحديثة ، انظر مثلا الزمخشري (ابو القاسـم محمـود) (القسطاس المستقيم) ص 94 وما بعدها ولصاحب هذا البحث حديث عن الطويل فى كتابه المخطوط (المعجم العروضي) باب (الطاء) .

(4) الترافيل من علله الزيادة وهو ان يزاد سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع مثل (متفاعلـن) تصير (متفاعلاتن) انظر الزمخشري المصدر السابق ص 73 وفى المعجم العروضى المذكور ورد فى باب (التاء) ورمز له بـ (ـ 0) .

(5) تفاعيله هي : مستفعلـن فاعلـن فعولـن
مستفعلـن فاعلـن فعولـن
انظر التبريزي (الخطيب) (الوافي فى العروض والقوافي) ص 67 ، تحقيق عمر يحيى وفخـر الدين قباوة ، ص 67 ـ ط 1 ـ 1390 هـ ـ 1970 ـ وفى المعجم العروضي ورد الحديث عنه فى باب (الميـم .

(7) استعمل الشاعر فعل (احتار) انسياقا مع الخطا الشائع والمسموع عن العرب (حار) و (استحار) و (حير) راجع المادة فى لسان العرب ، ج 1 ص 767 ـ ع 1 والقاموس المحيط ، ج 2 ص 16 .

(8) الفيروزابادي (729 ـ 817 هـ = 1329 ـ 1415 م) من ائمة اللغة والادب ولد بكازان من اعمال سيراز ، من كتبه القاموس المحيط والقاموس الوسيط لما ذهب من كلام العـرب الشماطيـط) و (بصائر اهل التمييز فى لطائف الكتاب العزيز) توفي فى زبيد ، انظر السيوطي (جلال الدين) بغية الوعاة ج 1 ص 273 ـ تحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم ـ طبعة الحلبي عام 1384 هـ ـ 1964م وانظر السخاوي (محمد بن عبد الرحمن) (الضوء اللامع) ج 10 ص 86 نشره القدسي عام 1353 هـ .

(9) هو مسعود بن عمر التفتازاني المعروف بسعد الديـن (712 ـ 791 هـ = 1312 ـ 1390 م) من اقطاب العربية والمنطق ولد بتفتازان فىخراسان وابعده تيمورلنك الى سمرقند ومات بهـا ودفن بسرخس ، من كتبه (تهذيب المنطق و (المطول) فى البلاغة و (شرح العقائد النسفية) ، انظر السيوطي المصدر السابق ج 2 ص 285.

ومن هذا الوادى كذلك قوله من قصيدة بعث بها الى الاستاذ العلامة السيد عبد الله كنون بعد شفائه من مرض الم به :

من صادع جنبات الشك من فلق
وقارح لمحات البرق فى السدف
كانها القضب فى يمنى (أبى حسن)
والسمهرية فى كفى (ابى دلف)

ولعل (ابا حسن) عند الشاعر هو الامام على (10) بن ابى طالب رضى الله عنه الذى اشتهر بشجاعته وسيفه البتار فى خوض الحروب ، واما (ابو دلف) (11) فهو احد قواد المأمون وصاحب الوقائع المشهورة والطعنة النافذة .

ومن هذا الوادى كذلك قوله يتغزل :
سالت وصالها يوما فقالت :
مطامع (اشعب) قرعت صفاتى

فالاشارة هنا الى (أشعب) (12) الظريف الشهير بالمطامع .

وفى مولديته التى مطلعها :

واها لعهد بأكناف الحمى سلفا
لم استطب اسفا من بعده اسفا
بصمات متنبية جلية وذلك فى قوله :
لم نخش غيا ومن اعلامنا فئة
من وارثيه حموا اعلامها حنفا
اذا مضى علم منهم بدا علم
وان بدا علم منها كفى وشفى
هذا البيتان يذكراننا بقول المتنبى فى سيف الدولة .

جيش كانك فى الارض تطاوله
بالارض لا امم والجيش لا امم
اذا مضى علم منها بدا علم
وان مضى علم منه بدا علم

---

(10) ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره (23 ق. هـ ـ 40 هـ = 600 ـ 661 م) يكنى ابا حسن وهو الخليفة الرابع الراشد العادل واحد المبشرين بالجنة واحد كبار الخطباء والعلماء الاعلام ختم الله عليه بالشهادة ، انظر الاصبهاني (ابو نعيم) (احمد) حلية الاولياء) ج 1 ص 61 ـ دار الكتاب العربي ـ 1372 هـ ـ ط 2 ـ 1387 هـ ـ 1967 م وانظر ابن عبد البر الاستيعاب ج 3 ص 1089 ، الترجمة 1855 .

(11) ابو دلف القاسم بن عيسى العجلي (... 226هـ = 840 م) أحد قواد المأمون ثم المعتصم صاحب الوقائع المشهورة والطعنة النافذة ؛ انظر ابن خلكان وفيات الاعيان ج 1 ص 242 وما بعدها .

(12) هو ابن جبير المعروف بأشعب ويكني ابا العلا (... 154 هـ = 771 م) ظريف من اهل المدينة كان مولى عبد الله بن الزبير تأدب وروى الحديث عنه وكان يتقن الغناء ويضرب به المثل فى الطمع انظر الكتبي (ابن شاكر) ج 1 ص 22 ط 1299 هـ وانظر ابن حجر (احمد) لسان الميزان ج 1 ص 450 ؛ الترجمة 1403 ـ ط 2 ـ 1390 هـ ـ 1971 .

(13) هو احمد بن الحسين (303 ـ 354 هـ = 915 ـ 965 م) الشاعر العربي المشهور الذي شغل الناس بشعره ولد بالكوفة ونشأ بالشام وتنقل فى البوادي طالبا اللغة والادب ؛ اتصل بسيف الدولة فحظي لديه بالتجلة والاكبار قتل وهو فى طريقه الى الكوفة ، انظر ابن خلكان (وفيات الاعيان) ج 1 ص 102 وما بعدها وانظر الجرجاني (علي) (الوساطة بين المتنبي وخصومه) تحقيق الاستاذين محمد ابى الفضل ابراهيم وعلي البجاوي ، وانظر البيتين فى الديوان قافية الميم ج 4 ص 172 ؛ وضع عبد الرحمن البرقوقي ـ ط 2 1357 هـ ـ 1938 م .

(14) هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الربعي (303 ـ 356 هـ = 915 ـ 967 م) أمير حلب ولد بـ (ميافارقين) بديار بكر كان اديبا شجاعا كثير العطايا لذلك كان مقصد العلماء والشعراء ؛ لهوقائع مشهورة مع الروم توفي بحلب ودفن بميافارقين انظر الثعالبي (عبد الملك) يتيمة الدهر ج 1 ص 27 وما بعدها ؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ط 2 ـ 1375 هـ ـ 1956 م ، وانظر ابن خلكان (وفيات الاعيان) ج 3 ص 79 .

ولا مشاحة عندي ان ابن موسى ـ وهو في غمرة العملية الشعرية او بعبارة اخرى في اثناء المخاض الشعري ـ امتاح حافظته فانثالت عليه بعض معاني المتنبي ، بل بعض تعابيره ، وما شعر بذلك وقد امست المحفوظات جزءا من ثقافته .

وفي قصيدته التي يمدح بها الملك الراحل محمد الخامس رحمه الله يقول :

وقال لسان الحال والكون شاهد (الا هكذا فليكسب المجد كاسبه)

يذكرنا بقول ابي تمام (15) يمدح ابا العباس عبد الله بن طاهر (4) .

فلو نطقت حرب لقالت محقة :
الا هكذا فليكسب المجد كاسبه

ومن تضميناته قوله في رثاء الفقيه السيد احمد الزواقي السالف الذكر مضمنا بيتا لمروان بن ابي حفصة (17) يرثي معن بن زائدة الشيباني (18) .

ذكرت ما مضى لك من اياد
يضوع نشرها من كان قائلا
(سيذكرك الخليفة غير قال (19)
اذا هو في الامور بلا الرجالا)

ومن تضميناته قوله في قصيدة (شكوى غريبة) ـ وقد ساف الحديث عنها ـ مضمنا عجز بيت لكثير عزة (20) :

قاضي القضاة وروح كل فضيلة
ومن اغتدى ذخرا لكل جليلة
فاذا الفحول رموا بعبء ثقيلة
عزت وعالج حلها بسهولة
(خروا لعزة ركعا وسجودا) (21)

---

(15) هو حبيب بن اوس الطائي المعروف بابي تمام (188 ـ 231 هـ = 804 ـ 846 م) من الشعراء العباسيين المشهورين ولد في جاسم من قرى حوران بسوريا ، استقدمه الخليفة المعتصم الى بغداد فنبه امره ، ولي بريد الموصل وتوفي بها ، من تصانيفه (ديوان الحماسة) وله ديوان شعر ، انظر الصولي (ابو بكر) اخبار ابي تمام ـ طبعة مصر 1356 هـ ـ 1937 م ، وانظر ابن خلكان وفيات الاعيان ج 1 ص 334 .

(16) هو امير خراسان (182 ـ 230 هـ = 798- 844 م) ، ومن اشهر الولاة في الدولة العباسية ولي عدة مدن وكان كريما وذا علم ومعرفة وتجربة ، توفي بنيسابور ، انظر ابن خلكان (وفيات الاعيان) ج 2 ص 271 وما بعدها .

(17) من الشعراء المجيدين (105 ـ 182 هـ = 723 ـ 798 م) كان جده ابو حفصة مولى مروان بن الحكم ، ومروان من اهل اليمامة قدم بغداد ومدح المهدي وهرون الرشيد ومعن بن زائد ، توفي ببغداد ودفن بمقبرة نصر بن مالك ، انظر ابن خلكان وفيات الاعيان ج 4 ص 276 وما بعدها .

(18) هو معن بن زائد بن عبد الله الشيباني احد اجواد العرب ولي اليمن زمن المنصور العباسي ، قتل غيلة وقيلت فيه مراث كثيرة ، انظر المصدر السابق ج 4 ص 331 ، وانظر ابن حبيب (ابو جعفر محمد) اسماء المقتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام ص 195 ـ ط 1 ـ تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون .

(19) قال اسم فاعل من (قلى يقلي) ابغضه وهجره واصله (قالي) حذفت ياؤه لانه منقوص منون في حالة الجر .

(20) هو كثير بن عبد الرحمن الخزاعي (.. ـ 100 هـ = .. ـ 723 م) شاعر من اهل المدينة اتصل بعبد الملك بن مروان فحظي عنده ، اشتهر بحبه لعزة بنت جميل الضمرية حتى عرف بكثير عزة وكان عفيفا في حبه لها ، توفي بالمدينة ، له ديوان شعر ، انظر ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) عيون الاخبار ج 1 ص 147 ـ 148 مصور عن الطبعة الاولى ـ 1383 هـ ـ 1963 م ، وانظر ابن خلكان ج 1 ص 265 .

(21) الشطر من قول كثير : لو يسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزة ركعا وسجودا

ومن جميل كتاباتــه النثرية التي تنـم عـن المقدرة الفائقة فى عملية التضمين والتورية وحسن التصرف فى الاساليب ، كلمة كتبها بمناسبة انشـاء معهد مولاى المهدى الذى تولى ادارتـه الاستـاذ السيد المكى الناصرى ، وقد ضمنه اسماء الكتب موريا ، واري من الواجب اثباتهـا لتتبين بالحجـة والبرهان مدى المام الشاعر بكتب التراث .

(كنا تولينا منذ سنة وثلاثين شهرا تدشين (22) هذا المعهد المستنير اجابة لطلب مديره النابغـة العبقري الاستاذ محمـد المكى الناصـرى (23) ، فرحبنا بمشروعه النبيل وثبتنا اقدامه على المنهاج السوى متفرسين فى طالعه بحربه تشاء مت انستهل (بالغيث المنسجم) (24) ونواة صالحة تنفلق عن (أزهار الرياض) 25 ومهدا وثيرا تنمو بين احضانه ثمار القلوب (26) ومشكاة لا تلبث ان تسطـع بـ (مشـارق الانـوار) (27) فما تخلفت عن تصديق فراستنا فى براعته فى (جمـع الوسائـل) (28) ولا اقدامه على المكاره الحافة بما يتوخاه من (المقصد الاسنى) (29) اذ لا زلنا نتلقى من انبائه انباء اجتهاده فى الجمع بين (التحصيل والبيان) (30) وادمانه على الاكتراع من مناهل الصفا (31) وحرصه على الاخذ بالحظ الوافر فى (احياء علوم الدين) (32) ما وسـم جبينه بـ (عنوان الشرف الوافى) (33) وقدمه الى استدرار المرجو من (المواهب اللدنية) (34) ما وجب الثناء على الاساتذة الذين عرفوا كيف يهذبون اخلاقه بـ (الترغيب والترهيب) (35) ويتوجون احلامـه بالجواهر الثمينة ويرصعون أفكاره بـ (فصـوص الحكم) (36) وقد كان من دواعى الغبطة والابتهاج أن جاءت هذه الذكرى بين يدى المشروع العظيـم الذى هياه (سـعادة) المندوب السامـى التنيتنـى جنرال لويس اوركاس) لاصلاح مناهج التعليم بهذه المنطقة السعيـدة وتوجيهـه التوجيـه الكفيـل بتنوير العقول بـ (الضياء المستبين) (37) وتغذية الارواح بـ (عوارف المعارف) (38) وكاننا به وقـد سرى مفعوله بطول البلاد وعرضها سريان المـاء فى العود والعافية فى البدن السليم فعلى الهمم ان تنهض وعلى القرائـح ان تتهيـأ وعلى العزائم ان تستعد للتبارى فى ميادين الفوز ان الشرف لا ينال بالترف ولا يوصـل الى الراحـة الا على جسـور التعب فالى الامـام يا معشـر الطـلاب واللـه ولى التوفيق وهو الهادى الى سواء السبيـل .

---

(22) دشن هذا المعهد الخليفة السلطاني والمقيم الاسباني العام ورجالات الدولة وذلك يـوم 14 ذي الحجة الحرام 1358 هـ موافق 23 يناير 1940 م ، راجع صحيفة معهد مولاي المهـدي ص 16 وجريدة الوحدة المغربية العدد 124 — 23 ذي القعدة 1358 موافق 2 فبراير 1940 .

(23) مـــر التعريـــف بــه .

(24) الغيث المنسجم فى شرح لامية العجم لخليل بن أيبك الصدفـي .

(25) ازهار الرياض فى أخبار عياض لابي العباس احمد المقـري .

(26) ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب لعبـد الملك بن محمد الثعالبـي .

(27) مشارق الانوار على صحاح الآثار للقاضي عياض .

(28) جمع الوسائل فى شرح الشمائل لعلي بن سلطان محمد القاريء الحنفي .

(29) المقصد الاسنى فى شرح الاسماء الحسنى لابراهيم بن علي الكفعي .

(30) التحصيل والبيان فى فقه السيد سلمـان لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي .

(31) مناهل الصفا فى فضائل الشرفا لعبد العزيز الفشتالـي .

(32) لابي حامـد محمد الغزالـي .

(33) عنوان الشرف الوافي فى الفقه التاريخي والنحوي والعروضي والقوافي لاسماعيل بن أبي بكـر المقـري اليمنـي .

(34) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية فى السيرة النبوية لاحمد بن الحسين محمد الحسيني السحيمي

(35) الترغيب والترهيب لزكي الدين عبد العظيم المنـذري .

(36) لمحيي الدين بن عربـي .

(37) الضياء المستبين بكرامات الشيخ محمد الامين لمحمد بن فاضل اليعقوبي .

(38) عوارف المعارف لعمر السهروردي .

ولم تكن ثقافة ابن موسى منحصرة فيما مر من حديث عن المعارف التى الم بها الماما واسعا ؛ وضرب فيها سهم وافر ، بل امتدت الى علم الجداول والطلاسم ، وفى كناشته السالفة الذكر نقف على صور منها (39) منقولة عن الكتب المتخصصة فى هذا الشان مما يعكس اهتمام الشاعر بهذا اللون من المعارف .

وقد عثرت على ابيات ثلاثة له فى دفتر متوسط الحجم ضمن فيها اعدادا على طريقة حساب (الجمل) تتحدث عن جدول يسمى (المخمس الخالى الوسط) واليك ما وجدته بتمامه .

وكاتبه سامحه الله الابيات الآتية لترتيبها فوق المخمس الخالى الوسط ونصها :

3   22 6   21   20
جرى بك وضاح كأن كئوسه
19   16   10   4
طيور يواقيت يروق دقيقها
14 2   7   12   15
يدور بها زاه ، يباريق هيفه
5   24   8   25   9
همت كدرار حول كهف طريقها
23   18   17   11
كجارى حيا يزور ، ياتى اتيه
بغاية مامول وقت (1) حقيقتها

محمد بن عبد القادر ابن موسى

* * *

واحب بعد هذا ان اذكر هنا اجازة علمية اجاز بها العالم الشاعر ماء العينين المذكور شاعرنا ابن موسى ، خلع فيها عليه اوصافا كلها تبرز مكانته العلمية والادبية ، وهى وثيقة عادلة ناطقة تشهد لشاعرنا بالتفوق والتبريز فى عالم الادب والمعرفة وفيما يلى نص الرسالة :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا وشفيعنا محمد وعلى آله وسلم

حمدا لمن جاز بالحسنات وبدا بالاحسان وجعل اللسان العربى افضل لسان ، والسلامات على المبعوث للقديم والحديث ، القائل احب العربية لثلاث الى آخر الحديث ، وعلى آله وصحبه وتاليه من سائر الاجناس المنزل فيهم (كنتم خير امة اخرجت للناس) اما بعد :

فقد طلب منى الاخ فى ذات الله المعرض عن كل شاغل عن الله ولاه ، العلامة المشارك الحسيب الناظم الناثر الاديب ، من نبغ لدرر البلاغة قاموسا الفقيه السيد احمد ابن موسى ، البسنى الله وإياه حلل التقوى ولا زال على اعباء الطاعات يتقوى ان اجيزه بمنظوماتى واشعارى وكل ما سمحت به نتائج افكارى ، فلبيت نداءه واجبت دعاءه قائلا : قد اجزتك ايها الاخ الشقيق والخل الصديق بجميع

---

(39) الشطر الثاني لا يتزن وفيه بياض بمقدار كلمة .

(40) سألت السيد العم الاستاذ عبد السلام الريسونى عن الجدول فاجابنى اجابة مطولة فى ست صفحات ذاكرا بتفصيل الغاية من الجداول والمصطلحات المستعملة فيها وغيرها ثم تحدث عن الجدول الخالي الوسط فقال (فواضع هذا الجدول الفارغ الوسط اراد جهده وسعى ما أمكن له ان يضمن مجموع اعداده فى ابيات ثلاثة دون ان يشير الى الاسم الخاص الذي ينبغي ان يرتكز عليه هذا المخمس والذي هو الاساس فى علم الاوفاق الى ان قال (فواضع هذا المخمس اراد ان تكون خاصيته زيادة فى الفهم والذكاء ودفع الاذى وبلوغ المقاصد ونوال المآرب ، وقهر الاعداء والخصوم حسبما يظهر ذلك من الاس الذى اراده لهذا المخمس ومن الارقام التي وضعها داخله ، لكنه سامحه الله لم يهتد الى الاتيان بحقيقة احكامه ، واتفاقه على الوجه المطلوب ليحصل له بذلك المرغوب) الى ان يقول منتقدا (فان الوفق يعتبر فى حد ذاته غير مطابق للاصول ولا يمكن ان يتم به الوصول وان كان قد وفق فى استخراج الضلع الاول والثالث والرابع عموديا فانه اخفق فى الاعمدة الباقية سواء منها العمودية او الافقية الخ) ونبه الى اننا اتينا بالجدول وبغيره للتدليل فقط على ثقافة الشاعر ، واعتقادنا الاسلامي برفض هذا البهتان والشعوذة .

ما نظمت من دواوين والفت مـن تقاييد نثريـة بن سائر المعقول والمنقول من فروع واصول واوصيك كنفسي بتقوى الله العظيم والا تنساني في صالح دعائك الخاص والعميم وهذه أبيات للحال تناسب ما جادت بها قريحة الكاتب :

وضعـت لكـل مأثـرة مجـازا
وتـؤثر للتـواضـع ان تجـازا
نشدت اجازتـي ايـاك فضـلا
لو ان الامـر منعكـس لجـازا
هنيئـا قـد اجزتـك دون قيـد
تجيز وانـت افضـل من اجـازا
اليـك زمامهـا البلغـاء ترمـي
اذا رمـت القريض والارتجـازا
وانت بحالها الطـرف المجلـي
اذا خضت الحقيقـة والمجـازا
جزيت لرعيتـك الادب ابـن موسى
بأحسـن ما الاديـب بـه يجازا

كتبه الحقير المعترف بالتقصير ماء العينين بن العتيق هدى سواء السبيل ، في 8 من قعدة الحرام عام 1357 والصلاة والسلام على خير المرسلين والحمد لله رب العالمين » .

* * *

ان ثقافة ابن موسى جملة وتفصيلا اصيلة مترامية الاطراف ، متنوعة الوجهات ، لذلك يسوغ لي ان اقول : انه كان شاعرا ناثرا متفننا وعالما ضليعا واسع المعارف ، الامر الذي دفع استاذنا السيد عبد الله كنون الى أن يصفه بشتى الاوصاف العلمية فمرة يصفه في مراسلاته له معه بـ (العلامة الاديب الكبير)ومرة بـ (حليف الادب) (41) ومرة يصفه في رسالة لـه لي شخصية بـ (فقيد الادب) وبقوله (لقد كان نسيج وحده) (42) وبقوله (خاتمة الادباء من ا لجيل الماضي) وبقوله (له قلم بارع في النشر الفني ، وملكة راسخة في نظم الشعر الجيد) (43) .

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

(يتبع)

(41) هذه المراسلات تحت يدي وهي مؤرخة بتاريخ 27 محرم عام 1361 هـ وبتاريخ 26 رجب 1376.
(42) هذه الرسالة مؤرخة بتاريخ 21 شعبان 1396 هـ .
(43) وردت هذه العبارات في مقدمة قدم بها الاستاذ كنون قصيدة ابن موسى في مدح الملك الراحل محمد الخامس بهذه المجلة العدد 4 ـ السنة التاسعة ـ شوال 1385 هـ فبراير 1966 م ، وان استاذنا كنون معجب بشاعرنا وقد أبدى اعجابه أثناء حديثي معه عنه في صيف 1396 ولا زلت اذكر قوله في حرقة واسى (انـه الرجل الضائـع) .

عطاء التربية الإسلامية

للأستاذ اسماعيل الخطيب

هم يقراون ما كتبه مفكرو الاشتراكية حول الوضعية التربوية فى البلدان الاشتراكية قبل التحول ، وهى وضعية تتمثل فى ان التعليم كان محصورا فى ابناء الطبقة الحاكمة التى عملت على ترك ابناء الشعب يعيشون فى جهالة وحرمان من كل اشكال التربية والتعليم ليظلوا اداة طيعة يسخرها الحكام للانتاج .

هذه الوضعية لم تكن معروفة فى مجتمعنا الاسلامى ، فلقد كانت المدرسة فيه (شعبية) ينتفع بها ابناء الطبقة الكادحة حتى صار العلم كانه وقف عليها وحتى ساهمت الامثال العامية فى توضيح هذا الواقع بقولها : « سيدى بن سيدى ما يقرا » .

و « سيدى بن سيدى معناه ابن من وسع عليهم ماديا لكنه لهى بذلك عن ان يرتاد مراكز التربية والتعليم الموزعة فى انحاء البلاد .

وهذه المراكز التعليمية ما عرف على امتداد التاريخ انها تأخذ مقابلا بمعنى أن التعليم كان مجانيا حتى اذا ما شذ عالم وفرض اخذ مقابل على تعليمه سجل هذا الامر بغرابة ، وظل كل كاتب عنه يشير الى هذا الشذوذ .

فى حين ان الغرب ظل التعليم عنده «تجاريا» مما دعا دعاة الشيوعية سنة 1848 ينادون بمجانية التعليم كمطلب اساسى للطبقة الكادحة وكحق تطالب به

فالذين يرددون هذا القول فى مجتمعنا يبرهنون عن جهلهم بوضعية المجتمع الذى يتحدثون عنه وفيه ، وهم فى الواقع يغمضون اعينهم عن تراثنا الاسلامى وعطاءاته ليفتحوها على مجتمع بعيد عنا مخالف لمنهجنا .

فخلال القرن التاسع عشر الذى ظهر فيه دعاة الشيوعية بهذه الافكار وتلك المطالب كانت الجامعات الاسلامية تعطى عطاءها للشعب كله فحتى المدارس العلمية كالبيمارستانات كانت مفتوحة فى وجه كل متعطش للمعرفة وليكون المجال انسح ، ولئلا تكون هناك (كلفة) تمثل عقبة فى وجه طالب العلم ، فقد فتحت المساجد ابوابها — التى لا تقفل — لكل طالب علم ليجمع بين الدين والدنيا ، وليرتاد فى حرية الدروس المختلفة التى تلقى فى رحابها .

بالاضافة الى ذلك فان واقع التربية فى الاسلام يختلف تماما عن واقع التربية فى اوروبا ، هذا الواقع الذى قامت الافكار الاشتراكية والشيوعية لتندد به وتعمل على تحطيمه من الاساس .

فالتربية الدينية فى المجتمعات الاوربية يقتصر سلطانها على العواطف والوجدان ، وسط هالة

من الطقوس ، وما فيها من ترانيم واناشيد والحان والبسة واصنام ، فلا تأثر ادنى تاثير على المنطق والفكر مع البعد التام عن الحياة العلميــة .

« ولكن التربية الاسلامية تختلف عــن هذا التصد اختلافا كليا لا يدع أى مجــال لنسبــة او مقارنة اذا هى تتجــه اول ما تتجه الـى المنطـق والتفكير الخلصين من شوائب العاطفة والوجدان ، ثم تسعى بعد ذلك ــ اى بعــد ان تترك تاثيـرها الكافى فى المجــال الفكــرى المجــرد ــ الى أن يصب الفرد سلوكه فى حياته العلمية ضمن خطوط وقوالب وضعتها شريعة هذا الدين ابتغاء ايجـاد أعظم قدر من الانسجام والتناسق بين الانســان ونوزعه الفطرية فى هذه الحياة » (1)

ومن ثم فان التربية الاسلامية تجعل الطالــب يحمل رسالة فكرية يعتقدها ويحملها بايمان ويقين ويدافــع عنها ويواجــه بها كل انمــاط الحيــاة فهو يرى أن الرسالة التى يحملها تؤمن الحل لكـل المشاكل ، والتفسير لكل الظواهر ، فهى مشعــل ينير الطريق .

فاذا ما عرفنا منهــج التربيــة الاسلاميــة وعطاءها ، ادركنا ان هذه التربية ليست هى التى يبحثهــا علمــاء التربيــة الحديثــة ولا هى التـى تطبق فى المدارس الغربيــة فى البلاد الراسماليــة وهى بالطبع ليست المطبقة فى مــدارس البــلاد الشيوعيــة ، فاذا كان الامر كذلــك فما جــدوى (الدراسات) التى يقوم بها بعض (الباحثين) فــى ميدان التربية والتعليم عندنا ويتخذون من التربية الاشتراكية نموذجا ينبغى السير عليه ، وقد ترتب هذه (التربية) فى غير بيئتنا ، وكانت نتيجة الظروف لم تعرفها بلادنا .

لقد صار من الواجــب على الداعين الــى الاسلام التربوية ، واهمة التربة الاسلاميــة ومــا تطبيق المنهج التربوى الاسلامى أن يبنوا نظريــة ينتج عنها من تكوين مجتمع قوى متماسك بعطــاء .

ان الاسلام فى الوقت الذى تسعى فيه مناهج التربية البشرية الى ايجاد (المواطن الصالــح) ، وتختلف الانظمة فى تفسير معنى «المواطن الصالح» يعمل على تحقيق هدف أكبر واشمــل هو اعــداد الانسان الصالح بمعناه الانسانى الشامل من حيث هو انسان ، لا من حيث هو «مواطن» فى هــذه البقعة من الارض او فى ذلك المكان .

وذلك معنى اشمل ولا شك من كل مفهــوم للتربية عند غير المسلمين .

وطريقر الاسلام فى التربية هى معالجة الكائن البشرى كله معالجة شاملة لا تترك منه شيئــا : جسمه ، وعقله ، وروحه ، حياته المادية والمعنوية وكل نشاطه على الارض .

« انه يأخذ الكائن البشرى كله .. على ما هو عليه بفطرته التى فطره الله عليها ، لا يغفل شيئا من هذه الفطرة ، ولا يفرض عليها شئا ليس فــى تركيبها الاصيل .. ويتناول هذه الفطرة فى دقة بالغة فيعالج كل وتر منها وكل نغمة تصدر عن هذا الوتر، فيضبطها بضبطها الصحيح .

وفى الوقت ذاته يعالج الاوتار مجتمعة ، لا يعالج كلا منها على حدة فتصبح النغمات نشازا لا تناسق فيه ، ولا يعالج بعضها ويهمــل البعض الاخر ، فتصبح النغمة ناقصة غير معبرة عن اللحن الجه المتكامل الذى يصل فى جماله الاخاذ الى درجــة الابداع (4) .

وحسبى فى هذه العجالة ان اشير الى وجوه اهمية التربية الاسلامية : (3)

1 ــ بلوغ مرضــاة الله :

لا شك أننا هنا سنصطدم بالفكر المادى الذى يزعم اصحابه انهم لا يعتمدوا الا علــى العلــوم التجريبية ونتائجها بينما تتجاوز أفكارهم أوضــح حقيقة تجريبية دو أن تدركها أو تراها ، ولا ريــب

---

(1) تجربة التربية الاسلامية للبوطى : 23

(2) محمد قطب : منهج التربية الاســلاميــة : 19

(3) راجع : محمــد البــوطى : تجربة التربيــة الاسلامية : 29 وما بعدها .

ان هذه الحقيقة لست الا تجربة . هذا الكون الذى يعلن عن الفاطر الحكيم الذى ابدعه .

هذا الفاطر الذى يجب ان نتذكر دائما تبعات العبودية المفروضة علينا ازاءه ، وان نسخر كل الامكانيات التى وهبنا لما يرضيه ،وان نستعمل عقولنا فى التعرف الى ذاته ، والاهتداء الى وحدانيته وعظمته .. وان نصرف جهدنا الفكرى عن طريق التعلم والتعليم الى فهم كلام الله تعالى وسنة رسوله ونحمل هذه الامانة الى الجيل الذى يأتى بعدنا .

فبلوغ مرضاة الله هو سيد نتائج التربية الاسلامية .

2 ـ رفع المستوى الخلقى :

ونعنى الاخلاق الاجتماعية القائمة على مسرح المجتمع ، والتى لا بد لها من سلطان يفرض على الناس ان يصبوا سلوكهم فى معاييرها .

فالضمير ، ويقظة الضمر كما يقولون غير كاف لا ن يحمل صاحبه على اتباع سبيل الحق وان يردعه عن الانحراف الى الباطل .

« لقد تضافر وتعاون كل من الضمير والقانون وسلطة القضاء لاخضاع الناس لحكم الضمير ، فلم يستطع كل ذلك ان يتغلب على دوافع النفس وهوائها وظلت الجرائم كلها ترتكب تحت سمع الضمير والسلطان والقانون » .

ان المانع الوحيد الذى يمنع الانسان من الانحراف انما هو العقيدة الاسلامية التى تغرس فى نفس الانسان منذ نشأته ، وبذلك يتغلب على الدوافع والنوازع ويصب حياته فى قالب من حسن السلك .

3 ـ تمكين الروح القومية من النفس :

ومعنى ذلك ان العرب قد حملهم الله امانة كبرى هى امانة الحفاظ على دعوة الاسلام ونشره فبلغتهم نزل القرآن واليهم ينتسب افضل الانبياء ، وهم الذين ورثوا تراثا فكريا وحضاريا كبيرا . اضف الى ذلك موقع البلاد العربية فى وسط الدنيا كرابط بين اجزائها لذا وجبت الدعوة الى الوحدة العربية تحت لواء الاسلام وكمنطلق للوحدة الاسلامية الشاملة .

4 ـ ايجاد السكينة فى النفس :

القوى الثلاثة التى تستبد بنس الشاب هى : الشهوات ، الاحلام ، الطاقة . هذه القوى تأخذ بلب الانسان لتصبح قواه العقلية ماسورة مغلوبة على امرها ، ليس لها من امر الا الاشارة من بعيد الى الحق والفضيلة .

ويندفع الشاب بهذه القوى اندفاعا بلا ترو او تفكير .. نفسه ميالة الى الافلام الخليعة ، المجلات الساقطة ، الاغانى الهابطة ... حديثه مع اقرانه دائما يدور حول فلم او مجلة او هذه وتلك .. حتى الرياضة لا تأخذ من تفكيره الا النزر اليسير .

وعندما يخلو لنفسه بقصد المراجعة والمذاكرة يحاول ان يستجمع فكره ولكن هذا الفكر يأبى عليه فهو مشتت مهموم يتطلع الى اعادة الكرة والتخطيط للغد .

وتظل هكذا حياته ، وربما كانت النتائج وخيمة والعاقبة سيئة .

لذا عملت التربية الاسلامية على ايجاد «النفس المطمئنة» والتربية الاسلامية تحرص على ان تأخذ مكانها فى النفس منذ النشأة الاولى من المهد الى الحضانة الى مراحل التعليم .

ففى البيت تكون مهمة الاب والام هى تعهدهما بتعليم الطفل آيات من كتاب الله مع تبين معناها عندما يتهيأ عقله لتفهم المعانى ، والحرص على اداء العبادات مع تبيين مغزاها ومعناها وجدواها .

اما المدرسة فمهمتها بعد ذلك ان توسع فى شرح واجبات الدين ومراميه ، مع التركيز على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التى يرى الطفل من خلالها المثل الاعلى للطفولة الطاهرة ، ثم المثل الاعلى للشاب المستقيم ثم المثل الاعلى للرجل : الا نموذج الرائع للثبات والتضحية والصبر

على هذا المنهج سارت الدراسة فى (روض الاطفال) وفى (المدرسة الابتدائية) لتستمر بعد ذلك فى مراحل الدراسة ، فيكون المقدار الذى تلقاه الطفل والشاب من التربية كافيا ليعلمه ان قيمة اسلام المرء هى فى ضبط اهوائه وشهواته .

ولن كون بعد ذلك في حاجة الى رقيب ، مرقبيه في نفسه ، رقيب لا يفارقه وهو رقيب لا يزعج ، وانما يبعث الطمأنينة في النفس ٧٠

5 ــ تحصين اللغة العربية :

ان اللغة العربية لم تكسب خلودها واشراقها والروح الجبارة لتى سرت فيها الا بكتاب الله : القــرآن .

فاللغة العربية اذن هي الوسيلة لفهم كتاب الله وسنة رسوله ولقد عمل اعداء الامة الاسلامية من الداخل والخارج ــ بعد معرفتهم لدور اللغة العربية في توحيد الامة الاسلامية ــ على اضعاف مركز اللغة العربية في المجتمع الاسلامي ، فدعوا الى ما يسى بتبسيط اللغة العربية والى الاهتمام باللهجات الدارجة والى اعتماد اللغات الاجنبية في التعليم والادارة .

ان مستوى اللغة العربية لا يمكن أن يرتقى في مجتمعنا الا بتعليم الاطفال القرآن من الصغر ، بحفظه واتقان تلاوته ، وان من رواسب الاستعمار ان نرى الطالب بالثانوي أو الجامعة يتعثر في تلاوة القران ، وذلك لعمرى ما يريده اعداء امتنا لهــا .

ان تعهد الطالب بتلاوة القرآن تجعله ينشا « وجرس الجزالة العربية يطن في اذنــه ووقــع لتطيع العربي الموزون مندمج في نفسه » .

وان هذا لهو الاساس الاول لرفــع مستــوى اللغة العربية في مدارسنا .

ان اللغة العربية هي لسبيل لفهم الاســلام والعمل به على قدر الابتعاد عن هذه اللغة يكــون الابتعاد عن مصادر التشريع الاسلامي د فتحصين اللغة العربية تحصين للاسلام .

6 ــ القضاء على الخرافات : ٧

ان الخرافات التا تنشأ في المجتمعات كما تنشا الاشواك والحشائش وسط حقول الخضار وبساتين الازهار ــ لا يمكن لقوة أن تكشف القناع عن وجهها الا قوة واحدة هي التربية الاسلامية أو الفهــم الصحيح للاســلام .

وان الخرافات المنسوبة الى الــدين قــد تسببت في زحزحة كثير من الشباب عن دينهــم ، هذا الشباب الذي لم يعرف عــن الاسلام الحــق شيئا . وراى ما عليه المنتسبون الى الاسلام مــن تعلق بخرافات فظن انها من الاسلام ، ومثل هذا الاعتقاد تراه عند الغربيين الذيــن تستهويهــم الخرافات بشكل خــاص حتى صــرنا نسمع عــن « الرقص الديني » و « الاغاني الدينيــة » ثــم يعود اولئك الغربيون لينتقد الاسلام حسب هــذه الصورة المشوهة التي الحقوها به ، وقــد قرات بحثا لمستشرق ايطالي ركزه على الهجــوم علــى الاسلام المتمثل عنده في : ترقيــص الحيــات ــ مواكب بعض الطرق وما يقع فيهــا من ضــرب للرؤوس واسالة للدماء ــ ذبح القرابين وتقطيــع اللحم باليد قبل موت الذبيحة ، الى غير ذلك مــن المظاهر البدعية الخرافية التي حسبت على الدين وما هي منــه . ٧

ومجتمعنا المغربي ــ كغيره من المجتمعات ــ قد لصقت به خرافات وبدع وهنا ياتي دور التربية الاسلامية في المدرسة .. اننا بتوعية طلاب المدارس يمكننا ان نحصنهم بمصل واق يدرا عن المجتمع تاثير هذه الخــرافات ويوقــف حركــة نشاطهــا وتغلغلها .

7 ــ دعم الوحدة الوطنيــة :

لقد توحد المغرب بالاســلام ، ولم يعــرف المغاربة على امتداد تاريخهم فرقة واختلافا . دولة واحدة موحدة ، لغة واحدة ، دين واحد ، حتــى المذاهب لم نعرف خلافا فيها ، كل هذا شكل وحدة وطنية متماسكة ، غير ان الاستعمــار عمل علــى تطبيق مبدئه « فرق تسد » لكن مخططه باء بالفشل وظلت الوحدة الوطنية دعامة وسدا امام كل مؤامرات الاستعمــار .

واليوم تهدد مجتمعنا افكار دخيلة رســـوم مستوردة تعمل على تفتيت هذه الوحدة ، وتكوين مجموعات لا صلة لها بالمجتمع الذي تعيش فيه . ولقد ادرك أصحاب هذه الافكار خطر المدرسة في تكوين العقليات والافكار فراحوا يبثون سمومهــم في هذه المدارس .

وهنا ياتي دور التربية الاسلامية في مواجهــة الافكار المنحرفة المستــوردة نفسهــا ، وتشــق طريقها كرائدة تعطي للدنيا الحل لكل المشاكل التي يتخبط فيها العالم .

تطــوان : اسماعيل الخطيــب

شاعر الإسلام

محمد إقبال

للدكتور محمد رجب البيومي

علوت روض العبقريين ساعة
عن القائد المزكى بأرواح قومه
عن الرائد المجنى من النية امة
عن الباعث الاشعار مشبوبة اللظى
قواف لها مثل الكرام مروءة
لها نطق يغزوا الشعور مدججا
يدك القلاع الشمم من حجج الورى
علوت بروح العبقريين طائرا
حدت بى اليه فى الضلوع صبابة
نسرت واسلمت الزمام عواطفى
اسير وتثنى من خطاى هواجس
وما ضاق بى اقبال ، لكن وقته
سقتني قوافيه فأحيت مشاعري
تظل شواربها تغنى بمسمعى
اذا صاح بالاسحار منها مغرد
يبان تخط النفس منه طريقها
يفيض على الروح الفتى عزيمة
ويمحو ضباب الشك عن كل خاطر

اسائل من القاه عن ايك اقبال
حمية ليث شرايين اشبال
يربى بها اسلام صفرة اجيال
وأن تركت فى الروح نشوة جريال
فان ايدت رايا حبيته بأنفال
بقوة جيش فى المعامع صوال
وقد احرزت بين الحصون بأقفال
الى الطائر الصداح فى الفنن العالى
يشب لظاها محرقا بين اوصالى
لانشد فى افيائه راحة البال
تعاظمها ان يطرق الايك امثالى
حفيل بأعمال ، طموح لآمال
واخصبت منها خاطرى بعد امحال
فتعتق روحى من خوانق اغلالى
تلاه هتوف فى غدو وآصال
الى المثل الاعلى على خير منوال
بها يكبح الاهواء فى الهيكل البلى
فيصفو كمرآة جلتها يد الجالى

ويبكى على الاسلام فى غمراته ... بكاء الثكالى اجهشت بعد اعدال
رآه طريح الداء لورام وثبة ... الى امسه الماضى لناء بأثقال
رمى الدخلاء الغاصبون كيانه ... فخر كبنيان اصيب بزلزال
وعاثوا بأهله فسادا فشردوا ... شرود قطيع راعه صوت رئبال
وفيهم كتاب الله لو يعقلون ... لجدل من اعدائهم كل مغتال
عكفت عليه يا محمد تاليا ... فشعت من المتلو معجزة التالى
معان جلتها حكمة الشرق فانثنت ... تدل على اهل الحجا اى ادلال
وتغمض احيانا فتبدو عويصة ... كأنك منها واقف بين اجبال
تصلصل فى سمع الحقود مرنة ... فيجفل منها هاربا جوف ادغال
يكابد هولا اذ يلوح جمالها ... كأن جمال الشعر مبعث اهوال
ويسأل عن ومض بها يخلب النهى ... وعن رائق من مائها العذب سلسال
اطالعه بين السطور مترجما ... فاقتطف الازهار من روضه الحالى
اذا انقص التعريب بعض بريقه ... فان ساق النص يوحى باكمال
ابت لغة القرآن الا اقتناصه ... لتحفظ منه الدر فى كنزها الغالى
علام عشقت الفارسية دونها ... وميدانها يغرى بها كل صوال
لقد وسعت اى الكتاب وانها ... لاجدر ان تحظى بايات اقبال
تبعت خلال الدس فى سجاته ... وللشيخ فى غيب الرؤى اى تجوال
مصابيح تجلو كل آت امامه ... وتشهده ما كان فى الغابر الخالى
فادركتما سر الحقيقة فانجلت ... وقد حجبت عن كل عين باسدال
سلاما مع الانسان ازجى عتره ... فياتيك فواحا يحى واجلال
ستخفق ان رمنا تظرك بينت ... فانك يا اقبال منحة اجيال
وضحت لارباب القصيد رسالة ... فصاروا يقودون الشعوب كأقيال
وكانت رياض الشعر ملهى عنادل ... فاضحت بما ابدعت حومة ابطال

د. محمد رجب البيومى
الاستاذ بجامعة الازهر

التعدد

دليل على صدق الرسول الأعظم

للأستاذ ابراهيم محمد الجمل

الانسان العادى غير المتعصب يستطيع ان يلتمس الدليل على نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام من التعدد ، وان رسالته من عند الله ، فهو صلى الله عليه وسلم لم يتزوج هذا العدد من تلقاء نفسه وانما بأمر من الله سبحانه وتعالى ولهذا نجد الوحى ينزل عليه ليمنعه من الزواج بعد ان انتهى الغرض الذى من اجله أبيح له .

« لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شىء رقيبا » (1)

فالرسول ليس رجلا عاديا يأتى بمبادئه من تلقاء نفسه بل ان وراءه قوة خارقة لا يستطيع البشر ان يرقى رقيها ، وبهذا طالعتنا الاخبار من الهند بما قاله رجل كان بوذيا واسلم حديثا فقد وقف طويلا يفكر فى امر التعدد وكيف استطاع النبى محمد ان يجمع بين هؤلاء النسوة ، وان ينظم حياتهن بجانب ما قام به من اعمال عظيمة جمع فيها بين تنظيم الحياة الاجتماعية بين أصحابه والصلة بينه وبين الله والحروب التى خاضها وانتصر فيها والحياة المستقرة لمن تمسك بالمبادىء التى دعا اليها .

يقول البوذى الذى اسلم حديثا :

« دلائل النبوة للنبي محمد انه تزوج اكثر من عشر نساء ولم تشك واحدة منهن فى تصرف من تصرفاته ، ومع انه كان مشغولا بالفتوحات الا انه كان عادلا بينهن ، ومع قيادته الرشيدة فى الحروب فانه كان يميل الى السلم ومع كثرة المال الذى كان يأتيه فقد كان لا يبقى شيئا عنده ، وهذه قدرة فوق طاقة البشر لا يحتملها الا نبى يوائم بين ابيائه عادلا وتشهد كل نسائه له بانه على خلق عظيم فدل ذلك على انه نبي اذا ليس فى قدرة بشر ان يوائم بين سلوكه وكثرة ضيوفه وانشغاله بالحروب وانشغاله بالصدقات » .

ان الزوجة اعرف الناس بأسرار زوجها ودقائق حياته وهى اول من تقدر زوجها وتضعه فى المنزلة اللائقة به وقد تحكم عليه ويكون حكمها دليلا وشاهدا ينبغى اخذه فى الاعتبار ، وهو اول ما يناقش حينما تريد الوصول الى قضية او حجة .

ولناخذ فى الاعتبار مواقف لبعض زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام فصفية بنت حى كانت يهودية متعصبة لدينها وقومها ، قتل المسلمون اباها وعمها وزوجها فى الحرب ، ورضيت بالرسول زوجا واحبته حبا شديد بل حبا اكثر من نفسها ورأت بعينيها ما جعلها تتفانى فى طاعته وتود ان

(1) الاحزاب : 53

تفديه بنفسها وحياتها حينما كان فى مرضه الاخير فتقول وهى تبكى « انى والله يا نبى الله لوددت ان الذى بك بى »

فلو لم يكن اكمل الناس فى اخلاقه صادقا فى دعوته رجعت الى اهلها لتطلعهم على ما عليه من حال ولكن ذلك لم يحدث .

وجويرية بنت الحارث بن ابى ضرار سيد قومه اصابها من بلاء الاسر وذل النفس ما جعلها تستكتب الرسول ليفك اسرها فترجع الى اهلها ثم فضلت ان تكون واحدة من نساء الرسول عليه الصلاة والسلام .

ويأتى ابوها ليقول للرسول عليه الصلاة والسلام « يا محمد أصبتم ابنتى وهذا فداؤها فان ابنتى لا يسبى مثلها »

فيقول له الرسول الاعظم «أرأيت ان أخيرها ؟ أليس قد احسنت فيجيب : بلى فأتاها أبوها فذكر لها ذلك فتقول اخترت الله ورسوله »

فلو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاذبا فهل ترضى جورية بالرجل الذى اذل اباها وقومها فى الحروب وان تعيش فى كنفه وهو الفقير وتترك العز والسلطان ومتع الحياة لتعيش ولتموت مع رجل لا يكاد يملك قوت يومه .

وزوجة اخرى هى ام حبيبة بنت ابى سفيان سيد قريش وزعيم من زعماء العرب ، كان من الد اعداء النبى قبل اسلامه راته ابنته يذل ويهان ويحارب من زوجها فلو كان فى رسالته مغمز أو او مطعة أو ادنى كذب لتركته ورجعت الى ابيها وهى من الصدق والذكاء بمطان ونسوق ما حصل بنيا وبين ابيها وهو خير شاهد على تفانيها فى سبل العقيدة والدعوة وشدة حبها للرسول عليه الصلاة والسلام .

فقد جاء ابو سفيان الى المدينة — وقد نقض عهد الحديبية فقصد بيت ابنته ام حبيبة — يطلب مد اجل الهدنة — لكنها قابلته بامتهان لانه اساء الى رسول الله زوجها واب عليه الكفار . بل لقد منعته أن يجلس على فراش رسول الله ، فلما طوته بهت الرجل فردته الزوجة البارة الى صوابه قائلة :

« بل فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك فلم احب ان تجلس عليه » .

فلو كان محمد كاذبا فهل يطاوع ام حبيبه قلبها وعقلها ان تقابل اباها هذه المقابلة وان ترده عن فراش الرسول عليه الصلاة والسلام .

افليس كل هذا دليل على صدق الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام .

ثم ما فى بيت سيدنا محمد من نعيم والرفاهية حتى يتمسكن به وجلهن من سيدات العرب بنت ابى سفيان وبنت الحارث بن ابى ضرار وبنت ابى امية ابن المغيرة وبنت خزيمة بن الحارث بجانب ابنتى ابى بكر وعمر والحياة مع الرسول فى شظف من العيش وقد لا يجدن احيانا ما يقمن به الاود وقد يفضلن الصيام على الطعام .

فما الذى دعاهن الى التمسك بالحياة معه وتفضيله على انفسهن انه الله والعقيدة والدعوة وصاحبها عليه الصلاة والسلام ولقد خيرن بين الحياة مع الرسول وبين اختيار الدنيا والتمتع بها « يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما (1)

لكن الزوجات رضى الله عنهن تبارين فى اختيار الله ورسوله ولم تشذ واحدة اجماع اكثر من سبع زوجات على ما امتاز به الرسول عليه الصلاة والسلام من الخلق وعلى صدق دعوته كان من اقوى الادلة على ان الرسالة من عند خالق البشر وان الرسول كلف بها وان ما جاء به من عند الله لا شك فى ذلك ؟

ابراهيم محمد الجمس

---

(2) الاحزاب : 27 ، 28

أبو العباس أحمد سكيرج

في نفحة من نفحاته الصوفية

للأستاذ محمد عبد العزيز الدباغ

لقد كان للتصوف في المغرب آثار حسنة حينما كان يهدف الى تهذيب السلوك وتربية الافراد وتدريبهم على الطاعة وحينما كان يساهم في ترقيق أذواقهم وترهيف احساساتهم وتنمية مداركهم الجمالية ·

وهذا هو السر في ان التصوف المغربي كان يستمد من اصول الشريعة أحكامه وقواعده ولم يكن ينزلق فيما انزلقت فيه بعض الاتجاهات الصوفية الشرقية التي تسربت اليها فلسفات من الهند ومن بلاد فارس فأعطتها صورة رمزية لم تستطع كثير من عقول العوام استساغتها فجعلتها تعيش في دوامات الهائمين التائهين ·

وليس هذا عدم استعداد النفوس المغربية لتلك الاشرقات الشرقية فالنفوس واحدة والاحساسات البشرية متحدة ولكن المغاربة كانوا في حياتهم العامة واقعيين وكانت عقائدهم التي يتبعونها في غالب الاحيان تهدف الى البساطة في المظهر لئلا تتعقد الامور وتبهم فيعيش الفرد في حيرة واضطراب ولذلك نجدهم حتى في المذاهب الفقهية انسجموا مع الامام مالك لما يمتاز به هذا المذهب من البساطة وعدم التعقيد · ورغم وجود بعض الاتجاهات التي كانت تعكس بعض النظريات الاخرى في بعض الحقب التاريخية فان بعض المغاربة لم ينسجموا معها ولم تأخذ طريق الاستقرار في حياتهم او امتداد البقاء في بلادهم ·

وكانت الدراسات الفقهية في المغرب متكاملة مع الدراسات الصوفية ومتعايشة معها فلم تحدث تلك التفرقة الكبرى بين الاتجاهين وحاول الفقهاء في كل حين ان يردعوا كل حركة لم تحافظ على سننيتها او انزلقت في بعض المزالق الضالة التي حرفت التصوف عن مجراه السليم وافسدت عليه قوة الجلال ورقة الجمال ·

وحين تسربت الى الطرق الصوفية بعض ضلالات الجهال او حرفتها عن وجهتها بعض الخزعبلات المفسدة تصدت لاصلاحها جماعات من العلماء احيوا روح السلفية ودعوا الى الانقاذ من الضلال ومن بينهم في العصر الحاضر المحدث ابو شعيب الدكالي والعالم الهمام الشريف سيدي محمد بن العربي العلوي والاستاذ المشارك البحاثة علال الفاسي رحمهم الله جميعا برحمته الواسعة دعوة لامتنا من امثالهم من يحيي السنة ويعيد لها روحها التائقة الى الخير والاصلاح ·

ولا ينبغي ان يفسر وجود هؤلاء وامثالهم في طليعة الهادفين الى تطهير الشريعة بانهم لم يكونوا منسجمين مع الروح الصوفية النزيهة بل أن معارضتهم كانت موجهة الى مظاهر التعفن والجهل واشتغال بعض الطرق للمصالح الخاصة التي لا يعود نفعها على المجتمع العام ·

ولهذا يمكننا ان نقسم الحركات الصوفية التى انبثقت عن طريق بعض الزوايا والطوائف الى قسمين :

القسم الاول هو الذى يمثله الجاهلون سلوكا مثقفين او غير مثقفين . اولئك الذين تسربت الضلالات الى انفسهم فانحرفوا واشاعوا كثيرا من العوائد الضالة واستغلوا مظاهر التعبد فحولوها الى غلو ظاهر جعلوه وسيلة لتضليل الناس وطريقا لربح المال واستدرارا لعطايا المترفين . وهؤلاء هم الذين افسدوا طبيعة التربية الوطنية والخلقية فقامت الدعوة السلفية لتطهير البلاد منهم ولتحرير العقول من سيطرتهم الكاذبة ودعاويهم المزيفة .

اما القسم الثانى فكانت تمثله طائفة من العلماء الواعين الذين فهموا الروح الصوفية على حقيقتها ودعوا الى اتباع السنة المحمدية والى الابتعاد عن كل ما من شانه ان يكدر صفاءها او يطفىء ضياءها ويدخل فى هذا القسم دعاة الاصلاح من السلفية او اصحاب السلوك المستقيم من المنتمين لبعض الطوائف انتماء لا يصل الى حد الابتذال والاسفاف فحاولوا هم بأنفسهم أن تكون لهم مواقف مخصوصة لا تترك للتصوف تلك الصورة المحرفة التى غلب عليها الجهل والتعصب .

ومن بين هؤلاء الفقيه الاديب العالم الحاج احمد بن العياشى سكيرج رحمه الله دفين ضريح القاضى عياض بمدينة مراكش الحمراء .

يمتاز هذا الصوفى المتوفى فى اليوم الثانى عشر من شهر غشت سنة 1944 بخصائص كثيرة .

منها انه كان اديبا رائعا وشاعرا بديعا ومؤلفا تبدوا على تاليفه سلامة التعبير وسلامة الاداء .

ومنها انه كان مشاركا فى مجالات علمية مختلفة فلم تلهه الاهتمامات بالطريقة التيجانية عن التآليف الفقهية والعلمية والتاريخية فهو الذى نظم كتاب الشفا للقاضى عياض وتوجد منه نسخة مصورة بالخزانة الوطنية بالرباط تحت رقم 1061 قسم المخطوطات وله كتاب قيم فى تاريخ الثورة التى قام بها القائد المغربى العظيم عبد الكريم الخطابى ضد الفرنسيين والاسبانيين اسمه الظل الوريف فى محاربة الريف يوجد مصور الخزانة العامة بالرباط ايضا تحت رقم 1020 بالميكرو فيلم .

ومنها انه كان قوى الحجة والدلالة قوى الشخصية لا ينساق مع الآراء لمجرد كونها صدرت عن قريب او من قدوة بل يدخلها فى معيار النقد ويضعها فى ميزان العقل والنقل ليكون حكمه مبنيا على اساس من العلم متين .

ومن اهمها انه كان مجتهدا فى الطريقة التيجانية نفسها بحيث تعتبر اقواله حجة فى شرح كثير من بنودها وتوجيه بعض مميزاتها وهو فى العصر الحاضر يعد المؤرخ العمدة لرجال هاته الطريقة ويتجلى ذلك فى كتابيه كشف الحجاب ورفع النقاب بعد كشف الحجاب .

ونظرا لتهافت الناس على كتابه الاول فقد طبع مرات مختلفة وصار من الكتب التى تداولها الدول الافريقية وتعتنى بها خصوصا فى السينيقال وما جاورها .

وغير خاف ان هذا الرجل اكتسب هذه الشهرة من مواقفه العلمية ومن صدق لهجته فيما كتب . قرات له عن طريق الصدفة فى اوائل شهر مارس من هذه السنة اى سنة 1978 م رسالة كان قد وجهها قديما الى شيخ الطريقة السليمانية بندرومة وهى رسالة مطبوعة بتونس وليس عليها تاريخ الطبع الا انها كانت تمثل الفقيه فى اوائل عهده بالوظيفة حينما كان قاضيا بمدينة وجدة .

اسم هذه الرسالة « عقد المرجان الموجهة الى الشيخ محمد بن سليمان » ولا تتجاوز اوراقها ست عشر صفحة ولكننى استفدت منها أن الصوفى الحقيقى هو ذاك الذى لا يجعل الاستغراق فى العبادة وسيلة للتغرير بالناس وتضليلهم واستغلالهم لاخذ اموالهم فان الحزم كل الحزم فى أن يبحث الانسان عن وسيلة من وسائل الرزق تغنيه عن الناس فاذا اكتسبها بقيت عبادته لله خالصة .

قال فى هذه الرسالة يخاطب السيد محمد بن سليمان : ... وانى لاقول لكم قولة ذى صدق مراقب للحق أيها الولى الحميم قد كنت فيما سلف قبل اشتغالى بين الموالى ولوعا بمطالعة كتب الحقائق حتى دهشت فى امرى بما نراه من نفسى ويتجلى لى من حضرة الغيب واستحلى التكلم بين قوم أستميل قلوبهم الى واستلذ ما اكتسبه منهم فهم يكرموننى لصلاح فى نظرهم وانا آخذ منهم بانفصاحى لهم عن

حقائق غيبية اجدها في نفسي بمحضرهم وكـادت نفسي ان تسول لي التظاهر بدعوى ليزيدوا فـي اكرامي لكوني لا اعرف حرفة اكتسب بها المال او الجاه سوى ذلك حتى وفقني المولى بخشية منـه الا اعد نفسي في حيز من يغر الناس في الله ولما علم الله تعالى صدق انابتي نشلني مـن وحلتـي وشغلني عني فزج بي في بحار المخزن حتى يقضي الله امرا مفعولا والحمد لله على هذه الحالة وقـد شرحتها لك عسى ان تجد فيها اشارة لا يعرفهـا غيرك فتعمل عليها .

ويظهر ان القصد من شرح الاشارة المذكوره ما يأتـي :

اولا : المتصوف الحقيقي يجب عليه ان يبتعد عن الدعوة ليلا يسقـط في زلة الاعجـاب والرياء والدعوى والاختـلاف .

ثانيا : ان اكبر منقذ من الانزلاق ان يشتغل الانسان من اجل كسب رزقـه وان يحترف بحرفـة تغنيه عن الناس وتبعده عن الافتقار اليهم .

ثالثا : انه يرى ان الوظيفة مرحلة اوليـة في كسب الرزق واحسن ما فيها انها اغنته عن النـاس فهو لا يعتبرها عملا نهائيا لذلك قال : ان المولـى زج به في بحار المخزن حتى يقضي الله امـرا كان مفعـولا .

وعلى كل حال فالنص صريح في الدعـوة الى نزاهة الانسان الصالح من الدعوى والغرور والى النهي عن التعالي والتطاول والى عدم الاستثنـاء بأقوال المعجبين وهو من النصـوص الصالحـة للاستدلال بان الصوفية في المغرب لا تنساق للاهواء ولا تنزلق مع الضلال ولا تومن بالتواكليـة وانهـا تهدف الى ربط سلوك الانسان بالبحث عن وسائـل رزقه ليلا يكون عالة على غيره .

وهي بهذه الاعتبار تعد صوفية عملية واعية .
فعلينا ان نحيي هذه الروح العملية في بلادنا وان نجعلها عملا مقرونا بالتربية الصالحة . وعلينا الاسلام وآداب السلوك لنتحرر من تناقضات عديدة ان نعيد لصفاء نفوسنا طريقا نستمده من تعاليم فرقت بيننا فجعلت طائفة من الناس جامدة متحجرة تعيش على مفاهيم متخلفة وجعلت طوائف اخـرى تتحرر كل التحرر من قيود الدين وتنبذ ما فيه من روعته وموضوعية وجـلال .

ان الصوفيـة العمليـة حل وسـط نستطيع به أن نتغلب على تحجير الجامدين وعلى اضطراب المنكرين والجاحدين لانها صوفية لا تترك مجالا للدعوى ولا تهيـم في سبحات الخيال وتجليات الواصليـن ولا تترك الفـروق الكبيرة بيـن المرشديـن والمريدين وتصير بذلك مهيـاة للتصديـق من قبل العوام والخواص ومن قبل المثقفين على اختلاف مناهلهم الثقافيـة ولا يقـع في التصديق بهاتنا فصلت بين العلم ونتائجه ولا بين الفلسفة وتصوراتها ولا بين الفقه ووجـوه تأويلاتـه .

ولقد دفعتني روح هذه الفكرة الى الاستدلال مرة اخرى برسالة الفقيه سيـدي احمد سكيـرج رحمه الله بعد أن تصـور نفسـه وقـد غمرتـه التجليات حتى خرج من حدود المحسـوس الـى تطلعات المشاهدين فاذا به يرى أن الانقياد لهـذه الشطحات لا ينسجم مع الطبيعـة البشرية العادية فيعود مرة اخرى الى الواقع المعيش ويخشـى ان تستبد به سيطرة الاحوال فتبعده عن طبيعة الانسان لذلك قال . « ووالله ثم والله لقد رايتني في حيـز الفراغ انظر السماء دخانا والبروج في خللها وهـي في حيز والارض مثل السفينة وهي في حيز وعلمـت هنا ما في نفس البشر من سر الحق الذى ادار بـه الافلاك ولما رايت هذه الاحوال وهي في الحقيقـة اوحال الزمت نفسي الرجوع لابناء الجنس والجمتها بلجام الحق فطويت راسي تحت جناحي واخـذت الحذر في البدو والحضر بعدم استعظام ما تجلى لـي خشية الوقوف معه فلم اعبأ في هذا المقام بنتيجـة الدعوى لتحقيقي بانها بلـوى بسيان كنت فيهـا محقا او مبطلا فقالوا ثم ماذا فعلت ؟ فقلت فعلـت فعلتي وليست من لباس الخمول حليتي فلم اتظاهر بمظهر من يأكل من مال الغير باغراره ولا يظهـر من يربى لربه وهو مقيد في قيود اكداره واغياره ولكن عرفت ان التباعد من هذا الامر لا يكن الا باتخـاذ حرفة ولم اجد حرفة تشغل انكارى عن الدعـوى اكثر من تداخلي في حيز المستخدمين فالحمد للـه

على هذه الحالة فها انذا فى راحـــة بال من هـــده الحيثية وان كنت فى شغل شاغل فلما اجد منه مخلصا ولكن الله قادر على ستر القبيـــح باظهار المليـــح وهو المطلع على ما فى صميم الصميم فهذا ما اورده على الوارد لاكتبه وقد كتبته على الكتبة وقد قيل :

فـــلا تكتـب بكفــك غيـر شــيء
يسرك فى القيـــامــة أن تراه ...

وهكذا تستمر الرسالة فى هذا النفس العالى الذى يصلح للتوجيه والتربية وينفع فى التأديب والتعليــم فلا مجال للنفس من التذكر ببشريتها والا تاهت عن الوجود وضلت عن التواصل واصبحت فى معزل عن الكيان الاجتماعى وحينئـــذ يصبـــح الانسان غيـــر ســوى ولا صالح للتعايش والتعاون .

والواقع ان هذا الاتجاه العلمى الذى يكبـــح جماح المتصوفه فلا يتركه فى شطحاته أسلم لـــه وللناس لان كثيرا من الذين انكروا التصوف انمـــا انكروا فيه ذلك الغلو الذى جعل كثيرا من النـــاس يضطربون فى فهمه حين يذيعون افكارهم على العامة ولا يتركونها فى مجالهم الخاص فان عدم مـــراعاة مقتضى الحال يفسد على الناس اذواقهم وقد يثير فيهم الفتن ولهذا لا بد من التحـــرز قبل الاشاعـــة ومن التحقق قبل الاذاعة ولهذا قال الامام الصوفى الكبير ابو العباس احمد زروق فى كتابـــه قواعـــد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقـــة ويصل الاصول والفقه بالطريقة فى احدى قواعـــده « كثر المدعون فى هذا الطريق لغربته ، وبعدت الافهام عنه لدقته ، وكثر الانكار على اهله لنظافته وحذر الناصحون من سلوكه لكثرة الغلط فيـــه ، وصنف الائمة فى الرد على اهلـــه لما احـــدث اهل الضلال فيه وما انتسبوا منه اليه حتى قال ابـــن العربى الحاتمى رحمه الله احذر هذا الطريق فان اكثر الخوارج منه وما هو الا الطريق الهلك والملك من حقق علمه وعمله وحاله نال عز الابد ومن فارق التحقيق فيه هلـــك »

وما ذكره الشيخ زروق يمكننا أن نعتبره أساسا للدراسات المتعلقة بالتصوف ونجعله مبررا لوجوه النقد المختلفة التى وجهت لبعض طوائفه وان بعد ذلك عذرا للمحب والناقد والناكص والرائـــد وان نجعله نموذجا صالحا للصوفيين الذيـــن يربطـــون بين العلم والعمل اولئك الذين تتجلى فيهم مظاهر الالتزام الخالص الذى لا يعرف المراوغات والانتهازات فيساعدهم ذلك الالتزام على التحقـــق من العلـــم والعمل والحال ويصيرون قدوة صالحة لا تجد مـــن يفر منها او يزور عن سلوكها وفى ذلك مـــن الخيـــر والصلاح ما يهيىء امتنا للرقى والفلاح ويدفعها الى الاطمئنان والخير والسلام سواء فى علاقاتها الداخلية او فى علاقاتها الخارجية .

وهذا المنهاج الصـــوفى هو الـــذى يتلاءم مع طبيعة الانســـان الواعى الـــذى لا يغريه بريق الشطحات ولا تلهيه جاذبية الاحوال ولا ينزلق مع ضلالات الاوهام وهو الذى طبع حياة الفقيه سكيرج رحمه الله منذ ان نشلته القدرة الالهية من اوحـــال التعالى ومن السقـــوط فى براثيـــن الريـــاء والنفاق ومنذ أن هدته الـــى أن الصوفـــى الموفق هو الذى لا يستغل التظاهر بالعبادة والصلاح لابتزاز اموال الناس وانما هـــو ذلك الذى يضيف الى عبادته عملا يغنيه عن التملق الى الخلق ليزداد بذلك تعلقا بالحق وتمسكا به فى السراء والضراء .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

سجدات وعبرات

للأستاذ محمد أحمد اشماعو

شاع فى انحاء الاندلس ، وبين ملوك الطوائف ... ان اهل مدينة طليطلة محاصرون ... !

قبل اليوم ، كانوا فى هضبتهم الشامخة يتفياون الظلال الوارفة ، ويستمرئون الحياة العذبة معتبرين أنفسهم عائشين فى اجود بقاع الدنيا : خصوبة ارض ، ووفرة مياه ، وجودة هواء... بالاضافة الى ما يتمتعون به من هدوء فى النفوس ورقة فى الطباع ، وحلاوة فى الكلام ، مع شجاعة ا — عند الاقتضاء — فى مواجهة الحداث ، وصرامة وصراحة فى مواجهة التيارات الفكرية ، وفى الرد على الاشاعات والمجادلات والمنابذات ... فاليهود يجادلون النصارى ، وهم كلهم يناقشون المسلمين ، وبعض المسلمين العرب الاصلاء يتعالون على المسلمين المولودين ، والمولودون يعتبرون انفسهم — وقد انعم الله عليهم بالمواطنة الاصيلة وبالديانة السمحاء — انهم قد جمعوا المجد من اطرافه ! .

والاديب سعد بن ياسر شاب من خيرة شباب طليطلة ، انكب على طلب العلم طفلا ويافعا وشابا ، وما زال منكبا على طلبه ، ثقفته الثقافة العربية أمتن تثقيف ، استمع وطالع ، واستكتب وحفظ ، وتفهم وتعمق ، ثم اقبل بعد ذلك على اللغة القشتالية فاستمع وطالع ، واستكتب ايضا وحفظ ، وتفهم تعمق ، وزاد فخالط المولدين فاكتسب طلاقة فى اللسان تحدثا ، وتعرف على فى صحبتها وهكذا تفتحت قريحته ، فسار ملما امهات الكتب القشتالية فاقتناها ، ومضى اوقاتا بالثقافتين ، مطلا على العالمين حافلين بالرواج .

انه بمثابة ظل خفيف يتنقل بين دروب طليطلة وساحاتها ، رشاقة فى القوم وخفة فى الحركة ، ورصانة فى الاشارة والقول ، ورقة وعذبة فى الحديث والحوار ، لا يعلم الكثيرون عنه شيئا ، ولا يهمه ان يعلم عن الكثيرين اى شيء ، يكفيه أن تسير حياته افى مزاجه ومبادئه التى خطها لنفسه . الحقيقة الاكيدة انه مسلم متين العقيدة ، وانه اندلسى قح ، اما مسالة الاصول المختلفة يريد ان يدخلها فى حساب ... لا يريد ان يفصح عن اصله ، ولن يفصح عنه . وعند فورة الازمات وثورة المشاكل بين ذوى الاصول والملل المختلفة ، فى المجامع التى يحضرها يتمسك بالصمت : وان سنحت له الفرصة لمهرب اختفى ، حتى لا يضطر الى التمييز لهذا الجانب او ذاك ... ومتى هدات الاصول ، وطابت النفوس برز برز كما يبرز العصفور اللطيف بعد ساعات اعصار وامطار !

ان العرب الاصلاء حاولوا جذبه الى جانبهم ، واكدوا له ان المزايا الشخصية التى يتمتع بها لا يمكن ان يتحلى الاعربى اصيل ... وحاول المولدون اغراءه فانفسحوا له الصدور، واكدوا انه لا يمكن

ان يكون الا اسبانيا ، بكل ما يمتاز به الاسبانيين من كبرياء ، وانفة ، ومن صفاء ، نفس وحب للمرح ، والنصارى — حتى هم —. قالوا له ان استقامته وجديته ومثابرته حتما هى صفات مسيحى اصيل ، ولو انه ترك دين الاجداد .

مع كل ذلك فان له محباته المتينة التى لا تداخلها عوائق ولا منغصات ، فمحباته بالنهار . ولنسكت عن مصحابته بالليل ... مع الاصفياء ، والظرفاء : ادريس الحائك ، وعمر الصائغ د وعبد النبى صانع السيوف . ويحرص يوسف نخال اليهودى — بدوره — على ان يصاحبه ويتودد له ؛ لكن سعدا فى الواقع يجد عبئا فى هذه المصاحبة وهذا العبء الثقيل لا يخففه الا رقة زليخا ابنة يوسف وبهاها .

ان زليخا تريد ان تكون اديبة عربية ، تحبر النثر وتبدع الشعر وتتغنى بالاجزال ، لذلك اصرت ان تتلمذ على الاديب سعد ، فلا استاذ خير منه فى مدينة طليطلة ! واكراما لها ولوداعتها ورقة طبعها وشغفها بالادب العربى « قبل الحاج زليخا آ » الذى جاءه عن طريق والدها .. وبالمناسبة احب ان يداخل المجتمع اليهودى المنغلق ، وان يتعرف عليه وعلى عاداته وتقاليده ، وعلى معتقداته واوهامه ، وان سنحت الفرصة يتعرف على اللغة العبرية وآدابها ولم لا ؟ والمعلمة ستكون هى زليخا !

والحقيقة ، ان مهمة سعد لم تكن صعبة ، فذكاء زليخا وقاد (وحسها مرهف) وفهمها عميق ، وبذلك سهلت مهمة الاستاذ وتحقق رجاء الطالبة . لم يكن احلى على سمع سعد من صوت زليخا وهى تترنم ، تتغنى ، تتلمظ بالابيات الشعرية ، وتتغنى على الاخص بالشعر الغزلى ، الذى كان يؤثر على كيان الاديب الرقيق ، ويثير الكوامن الهاجعة ، ويثير — من جهة اخرى — الاعجاب والاعتزاز ، وقليلا من الغرور ، فى نفس الفتاة ، فتزيد بذلك النيران اشتعالا !

واتسع نطاق الراغبين فى الدراسة على يد الاديب سعد المحبوب ، اذ اتصلت به جمعية كنائسية ، وطلبت منه ان يقوم بالتدريس داخل احد معاهدها ، تدريس قواعد اللغة العربية وفنون البلاغة واسس العروض ... وللصدفة كان الفصل الذى اسند اليه يشتمل على تسع عشرة فتاة من المترهبات ، اللواتى يتضمن شبابا ونضارة وحيوية ، ورقة ايضا . تتعد بهن قوانين الرهبنة الشديدة حكنا وتهزهن نسائم الادب اللطيفة . الشديدة حينا ، وتهزهن نسائم الادب اللطيفة ، ودوافع الشباب والفتوة والتفتح ، لذلك هن صامتات عوابس منغلقات طورا ، طورا مبتسمات مرحات شوارد النظرات ، حلوات اللفتات والاشارات .. وهذا امتحان عسير للعواطف التى تنفعل باللفظ الساحر ،والتحديف باللحظ الرقيقة ، عند الاستاذ الاديب ، تلك العواطف الفاتر ! .

وكان يظن ان موارد اديبنا سعد بن ياسر المالية ستزيد بمثل هذه الدروس الخصوصية ، ولكنه فى الواقع ليس مضطرا لهذه المداخيل ، فهو قد ورث من ابويه بعض العقارات ، تاتيه مداخيلها الى ما بين يديه ، عن طريق وكيل ... واكتفى من بين تلك الاملاك بروض فسيح زاهر ، متنوع الاشجار والازهار ، وافر المياه ، وارف الظلال ، يسهر على العناية به بستانى هرم ، عمل فيه منذ فتوته حتى شيخوخته بدون توقف ، وفى زاوية من هذا الروض توجد حجرة جميلة واسعة ، مفروشة بالزرابى ، ومزينة بالارائك الانيقة والموائد المنقوشة ، تتوسطه شمعدانة نحاسية فاخرة والقيمة على هذه الحجرة هى زوجة البستانى الحازمة .. ويانى الاصدقاء الخلطاء ، النساج والصياغ وصانع السيوف الى هذا الروض ، فتكون جلسات كلها انس وصفاء ، وتكون هناك مطارحات شعرية ونكات ادبية ، واستعراض لما وقف عليه كل واحد من الطرائف والشوادر وانوادر ، خلال المطالعات واللقاءات والمجالسات والمناجيات ...

من جهة سعد قد يغتنم الفرص السانحة بين الحين والحين فيذهب لمجالسة النساج ، ويطيب له ان يمتع النظر بالوان الحرير المتعددة ، والتى تعد بالعشرات ، الغامق منها والفاتح وما هو بين بين ، حتى لكان المعمل حديقة زاهية بالورود والرياحين الملونة ، ويغتنمها فرصة فيتامل حذاقة الصناع ، وحضور بديهتهم ، وطول صبرهم . فالخيوط المتشابكة — سدى ولحام — يتوهم المتوهم انها تداخلت وتشابكت ، بدرجة لا سبيل الى فكها ، ولكن سرعان ما تنساب الخيوط ، وتدخل

فى بعضها ، فيخرج النسيج من اسفل جيدا محكما دقيقا ، وعليه رسوم وشكال تعجب وتدهش الابصار.

واذا فضلت من الوقت بقية فانه يذهب ليجالس الصائغ ، وهناك يرى ما ابدعته الانامل الحاذقة بالسبك والنقش والتخديم ، مما يصلح ويليق لنحور الغادات الاوانس ، وآذانهن وجباههن ومعاصمهن ، واعالى شعورهن الفاحمة او الذهبية ...

وبالحام من الصديق عبد النبى ينحرف عن هذا وذاك ويتجه الى مصنع السيوف بحى السيافين ، ويرى رؤية العين الافران فى الدكاكين مشتعلة مشغول من فيها بصهر الحديد الخام ، وتصفيته مرارا وتكرار ، ومعالجته ببعض العقاقير ، ثم صبه فى قوالب متنوعة متفاوتة الاحجام ، ومن هذه الدكاكين الساخنة تحمل المسكوكات من السيوف والخناجر والمدى الى ايد الصناع الحاذقين لتطرق وترقق وتسن ، وتوشع لها المقابض المزخرفة والحواشى المنقوشة وتعطاها السنابة الكاملة ... وتتناهى الى سمع القادم الى هذه السوق اصداء الطرقات الرنانة التى لا تخلو من عذوبة وجذابية غير ان الاديب سعدا يرى غيره ، ويسمع ما لا يسمع ! انه يتخيل بمجرد تدومه رقابا مفصولة عن اجسادها ، فى مكان ما ، من بلاد الافرنج او الاسبان لقشتاليين ، او فى بلاد الاسلام الشمالية او الجنوبية ويا ما فى ذلك من قسوة وقلة رحمة ... طالما تعجب كيف ان اديبا رقيقا مثل عبد النبى يساهم فى حصول هذا الضرر العظيم ، الذى ينزله البشر ببعضهم ، دون حقد — احيانا — وضغينة ، ودون سابق معرفة او اتصال بين الجندى وصاحبه الا يعرف ؟ الا يعرف هذا الرجل ان سيوفه ، التى يصنعها بهمة وخذق ، لا تصلح لشىء من الاشياء ، سوى القطع والبتر والبقر والذبح . والعياذ بالله !

على كل حال ، انها زيارات ولقاءات يستأنس بها الاديب فى أموال تفرغه من دروسه التى يخص بها الراغبين ادبه وعلمه وخبرته وسلامة وذوقه ، وكذلك الراغبات فيها ... وفى احوال تفرغه من الدرس الاسبوعى العامر الذى يتلقاه ، والذى يزيد به من تضلعه وتعمقه على يد العالم الفاضل الجهبد (محمد بن عيسى البلغمى) انها دروس حافلة ، لم ينقطع عنها سعد ابدا ، من ايام شبابه الاولى ، منذ كان الاستاذ العالم وافر الصحة ويقوم بها يوميا .. انها دروس عامرة ممتعة مشوقة ، كلها فوائد وطرائف ، بفضل ما يتوفر عليه المدرس العالم من براعة وتضلع وتعمق فى التحليل والاستنتاج ، ومن حافظة خارقة تساعده بيسر على التذكير والاستحضار والاستشهاد ... سعدا يكاديجزم — وهو تلميذ له منذ عدة سنين — أن هذا الرجل عالم وعن جدارة ، فمعينه لا ينضب ، واطلاعه شامس وخبرته تصل الى معارف الدنيا كلها ، فهو فقيه ، ومحدث ، ومتفلسف ، ومتصوف ، وعارف بالمذاهب والاديان والملل والنحل ، وما تفرع عنها ، وهو طبيب وعشاب ومؤرخ ومقوم بلدان ، ومنجم ، وحكيم وهو كذلك خبير زراعى وكيمائى وبيطرى ، وهو يبدع الاشعار والموشحات والازجال ... اما علوم اللغة وفنونها وخفاياها ... فلا يجاريهمنى ذلك احد !

وهذا العالم وفى لمدينته طليطلة ، متعلق الفؤاد بها ، يعرفها اسرة اسرة ، وفردا فردا ، وله صلة وثيقة بأفذاذها من اهل العلم والخبرة ... لا يفوته اسم درب ولا حى ولا ساحة ولا ضاحية ... يهتف مرارا وأنام من يحضر مجلسه ، ان طليطلة خير الديار ، وهواؤها اجود الهواء ، ومياهها اسوغ المياه ، وثمارها اطيب الثمار ، ولحومها الذ اللحوم ويزيد بلا تردد : لم يبق الا أن يكون اناسها خير ناس ! .

اناس طليطلة الآن محاصرون ، لقد قدم اليهم غازيا (الفونسو السادس) بجيوشه الجررة واسلحته لجبارة ، وخطته القهارة ... لكنهم كانوا مطمئنين الى ان سلاحهم لن يقهر ، فوجود مدينتهم على الهضبة ، تحيط بها الاسوار العالية ، يجعلها بمثابة نسر آوى الى عشه ، لا يلحقه متسلق ولا محلق ... !

لم يخضع العدو لهذه المناعة ولم يدخلها عاملا فى قهر عزعزيمته ، وانما جعلها — لبراعته —

---

(1) الاسم الموجود بين هلالين اسم تاريخى .

امس ثغرة فى الساحة الحربية يستغلها . ومن فوره ضرب حصارا واسع النطاق حول المدينة ، من جميع جهاتها ، وجعله حصارا صارما دقيقا لا تساهل فيه ، فلم يعد هناك من سبيل لدخول البضائع او خروجها ، او لتنقل المسافرين من المدينة واليها . ماجعل الرواج التجارى فى الاعالى يتوقف ، وجعل الناس يسارعون الى الادخار ، واغرى أصحاب الاموال بالاحتكار ، وبمرور الايام والاسابيع نقصت البضائع والاقوات ، وفرغت الخزائن — بكل الوسائل — مما فيها ، فعم الهول والاضطراب ... ان وطات الحصار قد اشتدت ، وبذلك اخذ اهل طليطلة يتبرمون ، ويضجون ، وتطور لامر الى ان اخذوا يضجون ويصرخون فى وجوه بعضهم بيد ووصلوا الى حد أن تنابزوا وتشاتموا ثم تقاذفوا ... وارتاى رؤساءهم أن يفتحوا مفاوضه مع العدو الذى ضرب عليهم الحصار ...

وما تسر سعد وهو تبالة استاذه الشيخ المدرس الا والجيوش المسيحية الغازية تدخل عليهم بيت الله ، واخذوا ينهرون الجالسين بغلظة وجفاء :

(هيا ، هيا اخرجوا من هنا لقد صار المكان كنيسة ولم يعد مسجدا ...)

وتوزع الحراف من خير لمهندسين القشتاليين الملمين بفن الهندسة الرومانية والقوطية .. توزعوا فى انحاء المسجد حديثهم يتبادلون الراى ويخططن لمحو الآثار الاسلامية ، وطمس معالم المحراب ، وما عليه من نقوش وكتابات فاخرة ، كما ارتاوا التقليل من شموع النور باغلاق بعض الشماسات والكوات ، واشار احدهم بازالة النافورات ومجارى الماء ، واغلاق باب الميضاة نهائيا ... فلا حاجة للقوم بعد اليهم لطهارة ظاهرية او باطنية ! .

وانتظر الجنود المقتحمون ان يفرغ العالم المدرس من درسه ، وان ينزل عن منبره العتيد بعد ما صعد فيهم النظر الشديد فاوقفهم عند حدهم وبرصانة العلماء ووقارهم ، وبدون اظهار لاى تاثر او خوف امر تلميذه القديم سعد ان يتابع سرده ، الى ان تم الدرس بكيفية عادية .. وعند هذا الحد قام الطالب وتقدم الى استاذه وتناول راحتيه معا ، وتحت انظار الجنود الجفاة — قبلهما ظاهرا وباطنا ، ومال على الراس فقبله ايضا بحرارة ، انه شكر السنين الطول ، ومرارة الحالة العسيرة التى وصل المسجد الكريم ... وتسمر الجنود حيث هم ، وثار عجبهم من هذا الثبات النادر ، ومن هذه الثقة الغالية بالنفس ، وتعجبوا من هذا الاجلال كله بين استاذ وتلميذه ، وكادوا يحسبونها علاقة بين عابد ومعبود ! وبلغت الدهشة بالجنود منتهاها حين رأوا الرجل الوقور ، وهو يتوجه فى تؤدة وخشوع الى جهة المحراب ، وعند المحراب طال به الوقوف ، وطال به الركوع ، وطال به السجود ... واخيرا رفعهما كفين مليحتين طاهرتين الى الله المتصرف الاعلى ، واخذ يبتهل ، واثقا أن هذا آخر ابتهال لمومن موحد ، مخلص فى توحيده ، وغالبته الدموع فغارت غزيرة ، حتى بللت اللحية المسندلة ، وكاد الشيخ ينهار من شدة المشاعر المؤلمة ، لكنه وجد فى تلميذه الوفى سندا ، من حيث اخذ بيده الى الباب ، ثم الى الطريق ، ثم الى منزله المجاور للمسجد ، وهناك ودعه ، واستودعه زيد الله تعالى .

وكان الموقف الرهيب هذا بمثابة ضربة شديدة نزلت على راس الاديب سعد ، الحسن النية السليم الطوية ، الذى كان يتوهم خيرا من الدنيا واهلها ، الى ان رآهم فى هذه الايام فى احوال لا تعجب ابدا ، بل تخيب الظنون بمرارة ... لقد استيقظ شيء كان غافيا فى اعماقه ، من حيث تيقن انه اذا كان مسالما فالآخرون ليسوا مسالمين ، واذا كان ودودا بالنسبة للجميع ، فالجميع ليسوا مستعدين لمنح ودادهم ، وان الامان الذى كان يشعر به على الارض الثابتة ما هو الا امان من قبيل الامان الموجود على ظهر سفينة ، مثية بين امواج صاخبة ... انه الآن مهدد بانتزاع الاملاك التى ورثها عن الاجداد ، فهو على هذا — يهدد بقطع الرزق ، الذى تقلب فى نعمته منذ سنين طويلة وهو مهدد بفراق مسقط راسه والمجالى التى الفها ، والعشراء والاصحاب الذين الفهم والفوه . لا مفر له من هذا او يستسلم ؟ هل يستسلم للذين سيقولون اخرج من هذه الارض ! فان قال لهم : اننى عربى أو بربرى ، قالوا له : اذهب الى بلاد المغرب والبربر . وان قال لهم : انا مولود فاصلى اسبانى اجابوه : فارق — اذا — وما دمت قد غيرت دينك ، فالارض الاسبانية لم تعد ارضك ولا السماء

الاسبانية سماءك ... اذهب ، اذهب ! . ان جابههم بالوثائق ورسوم الملكية قالوا له : لا فائدة من هذه الاوراق . لان المدينة مفتوحة ، وانت علـى هذا تعد من الاسـارى ... يمكن ان تفتدى نفسك بالمال ثم تسرح بعد ذلك ، لتذهب حيث تشاء مـن ارض المسلمين ... ويلاه ، كيف يخرج من ارض يعرفها الى ارض لا يعرفها ، ارض ليس متعودا على العيش فيها . وكيف يعاشر قوما ليسوا من قومه ، ولا يشبهونـه فى اى شـىء ..ما اصعب ذلك ومـا امره !

وخرج سعد يفتش عمن يوجد معه حلا لهذه المشاكل . وكانت اقرب دار اليه هى دار اليهودى يوسف والد زبخا ، لكنه وجد الاب والابنة فى حالة من اسوا الاحوال . ان الاسبانيين اشد معاملة فى حتهما واقسى من كل الناس . لقد سلبوا كل شىء ، وطاردوهما من سكنهما شر مطاردة ... كان الموقف عسيرا عليهما ، فلا مجال للحديث والنجوى !

وذهب من توه الى الاخوات الراهبات ، لكن الاخوات الراهبات كنا مع الاخوان الرهبان ، ومع من يخدمونهم ويساعدونهم منكبيـن على صلـوات الشكر للمعبود الذى اعطاهم هذا الانتصار الكبير ، بلا مقابل ، وارجع للمسيحيـة معقلهـا التاريخى ، بعد غياب استمر اربعة قرون ! لقـد كانت لصلوات حارة ، والتراتيل ملغومة صداحـة والاصداء تتردد فى انحاء المعبد الكبيـر .

لوى سعد راسه حسرة ، وادبر يريد الخروج، لكن احد الخدم من المولودين الصحيحى الايمـان والاسلام جذبه اليه ، وادخله مسكنه الجانبـى . وناوله من فوره قدحا من لبن المعـزى الطـرى المحلوب لتوه ، واخذ يحكى له ، بلسان مضطرب، وجنان ثائر بالاحزان العميقة الالام التى توشـك ان تمزق الاحشـاء :

ــ الا تعرف تفاصيل ما حدث ؟

ــ لا ، لم اتصل باحد ، لقد بقيت منعـزلا طيلة هذه الايام ، حتى خرجت هذا الصباح لتلقى الدرس الاسبوعى ...

ــ دعنى احكـى لك الاطـوار التى مـرت لتكون منها على بينة : لقد اشتد الحصـار كما تعلم ياسعد ، ولم تثبت الاقوام فى مـواقفهـا ، فسرعان ما ثار بينهم النزاع والصراع .. وقر الراى على ان يخرج وجوه طليطلة واعيانها فى وفد الى (الفونسو) ليفاوضوه ...

وفعلا ، دخلوا عليه دخول المواثقين بانفسهم، المتاكدين من صواب موقفهم ، المعتزين بمن يحمى ظهرهم ما ملوك الامارات العديدة ، التى تتفاوة قوة وثراء ونفوذا ... دخلـوا عليـه ليؤكـدوا ان (القادر بن ذى النون) اميرهم الضعيف الذى سبق ان طاردوه ، لا يساوى شيئا امام الامراء الآخرين الذين يمكنهم ان يتدخلوا لمناصرتهم تدخلا صارمـا مباشرا ، عند اشتداد الازمة ، وانهـم لاهميـة مدينة طليطلة سيفدونهم بالمال والرجال ...

استمع (الفونسو) الـى اقوالهم وامانيهـم وتلميحاتهم ، ثم قهقه فى وجوههم ساخرا ، وارتكب فى حضورهم ما لا يليق ما التصرفات ، خصوصـا وهم بمثابة سفراء ، والسفير عادة يحظى بالتقدير اللازم له ، واللائق بامقام الذى تحظى به دولته التى بعثته ... غير ان (الفونسو) ضـرب بهـذه الاعتبارات عرض الحائط ، ونكاية بهم ابرز لهم اول ما ابرز مندوب اميرهم (القـادر) ، وظهـر المسكين امامهم ذليلا حقيرا ، لا يجد من نفسـه القدرة على رفع بصره ، للنظر فى وجوه بنى قومه ، فاحرى ان يقر بهم او يتحدث اليهم .

وصرخ (الفونسو) فى وجه المندوب ، آمـرا اياه ان يتحدث الى اناسه ! لكن الرجل ارتجـف ، وذهب عنه كل قول ، وانتقل سائرا ــ دون قصد منه ــ الى اقرب مكان للملك القشتالـى الجبار ، وقال بصوت خائر ضعيف :

ــ انا لا استطيـع ان اقـول الى شـىء ، القول هو ما تلتم ايها السيد الجليل ، وفى نيتى الا اغادر حاشيتك حتى الموت !

قهقه (الفونسو) مرة اخرى والتفت الى الحاضرين وقال :

ــ لقد تكلم مندوب اميركم ، ولو انـه الآن فى جملة حاشيتى ، وانا ــ كما هو معروف عنى ــ لا اضيق بكثرة الخدم والحشم ... ماذا بقى عندكم ؟

قولـــو :

ــ سنرجع الى قومنا الذين أوفدونا ، ونشرح لهم الموقف ، اذ من الممكن ان يتوسطوا لديكم بأحـد الامراء الجيران ...

صفق الفونسو بكفيه الخشنتين وقال :

ــ ايها الحاجب ، ادخل على مندوبى ملوك الطوائف واحدا واحدا ! ودخل صاحب (المعتمد بن عباد) مضطربا ، ووقف ساكنا امام (الفونسو) ينتظـر اشـارة منـه ...

قال (الفونســو)

ــ لقد ابطأ علينا سيدك المعتمد بارسـال الجزية ، اظن انه يريد ان يماطل ، وان يتلاعـب بتعهداته معنا ... اسمع ، اذا عدت اليه ، فقل له ان السيد (الفونسو) ملك قشتالة وفاتح طليطلة لا يقبل مرة اخرى بهذا التأخير ، والا ، والا ذهب جنودى لانتزاعه من اريكة الامارة ، وجاءونى بـه اسيـرا ...

اجاب ممثل الامير :

ــ لقد كان يدير مسالة جمع المال ، وينتظر الجباة الذين يستخلصون الاموال من السكان البخلاء، مما اضطر معه الى استعمال الشدة مع هؤلاء ، الى ان تجمع القدر المفروض ، واعدكم باسمه انه ‘ن يعود الى شىء هذا !

واشار اليــه الفونســو :

هؤلاء ممثلو سكان طليطلة جاءوا لمفاوضتى هل عندك ما تقوله لهم باسم اميرك ؟

ــ ليس عندى ما اقوله لهم ، ان الخير فيما اختاره الله ، الطاعة اولى من العصيان !

تهته الفونسو ، وللمرة الثالثة وقال لحاجبه :

ــ اخرج هذا ، وادخل ممثل قرطبـة .

ودخل السفير القرطبى منخلع الفؤاد ، متلفتا حواليه ، واذا به يفاجأ بوجوده فى طليطلة يعرفها حق المعرفة . اضطرب وتسمر حيث هو ، واشار الى الفونسو ان يعفيه من الكلام ! لكـن الملـك القشتالى ابا الا ان يقحمه فى الموقف باصـرار ، ولذلك خاطبه بعجرفة متناهية :

ــ تقدم الى هنا ، انت يا هذا لم تؤد واجب التحية الملكيـة فى حقى ... اوصـل بـك الذهول الى هذا الحد ؟ قل : هل وصلت جزيـة مـولاك ذامـــة ؟

ــ نعم يا سيدى الرفيع المقام ، وصلت ، ووصلت معها آيات الولاء والخضوع ، لقد الح على مولاى الامير ان اجددها لكم كلما رايتكـم !

ــ انا لا اغتـر بالكـلام !

ــ هذه رسالته اليكم بهذه المعنى .

ــ اقراها على الجميـع ...

وقرا المندوب الرسالة ، بتفصـح وتصنـع وتنغم ، وكانت الرسالة غامضة المقصود ، بمـا شمنت به من عبارات السجع ، الذى يكثر به الكلام وتقل الفائـدة ... لكن الواضـح من ثنايا الكـلام المسجوع ان الولاء لملك قشتالـة تام ومستمـر ورآسخ لا تزحزحه الايام وتقلباتهـا ولا يضيـره ان تسقط امارة من الامارات ، او يعتقل متآمـر من المتامرين ! وتتابع سفراء الامارات الاندلسيـة واحدا بعد آخر ، وكلهم اظهـروا مـن الخضـوع والخنوع والتمسح بالاعتاب القشتاليـة ما ادهش واخرص الستة الذين جاءوا للمفاوضة ، وشعروا معه بما يشبـه الانهيار ، وتبادلوا فيما بينهم نظرات منطفئة ، وقراوا فى وجوه بعضهم امـارات الذل والانكسـار ...

ومع ذلك استيقظت فيهم بقايا من نخوتهـم العريقة ، وركنوا الى قليل من العناد ... وتكلـم ممثلهم وكانه ينطق تاسمهم جميعا بعد اتفاق متين :

ــ ان سكان طليطلـة مستعدون لتحمـل الحصار سنوات لا شهورا ، والاقوات المخزونـة عندهم تكفى لذلك .

علق الفونسو على الفور :

ــ اعرف ، ذلك ، الم اكن ملتجئا عند اميركم الضعيف هذا المسمى (القادر) ، وعرفـت مـن احوالكم ما لا تعرفوا ! انه يمكنكم ان تصعدوا لمدة

سنة ، ولكن المحصول الجديد لن يتهيأ لكم استغلاله لانه فى قبضة محاصريكم من جنودنا ، انه قوت لهم وليس قوتا لكم ... اظن انه — نظرا لشجاعتكم — يمكنكم ان تصعدوا سنة ثانية ، هذا ممكن ، ولكم فى تلك السنة ان تاكلوا لحم بعضكم ، اما من جهتنا فيمن ان نستمر فى الحصار سنة ثانية وثالثة ، لا مانع عندنا ، ومن ثم سندخل المدينة الباسلة الصامدة ، لنطهرها من جثث الهالكين منكم جوعا ... وكيفما كان الحال ، فمدينة طليطلة سترجع الينا !

قال السفير : الناطق باسم الوفد :

— اذا كنتم يا مولاى الملك تواجهون المشكل بعناد ، ونواجهه نحن بمثل ذلك ، فالمشكل قد يتطور الى حالة اسوأ ، قد لا نستطيع نحن ولا تستطيعون انتم التحكم فيه ، اذ لا يعرف احد ما تأتى به الايام .

واجاب القشتالى عابسا :

— اننا اتبل هذا التهديد الفارغ ، انه تهديد الجائعين الخائفين ، ومع ذلك ، فانى اعطى وعدا على رؤوس الاشهاد بأن اعطيكم حرية الهجرة بالمال والولد ، والابياع عقار بالرغم عن مالكه ، وان يحتفظ الذى يرغب فى البقاء بكل ممتلكاته ، ولا يمس المسجد الاعظم بسوء وان تبقى اللغة العربية والعلوم الدينية وغيرها ...

— نحن نريد ان تفك الحصار عنا ، وان تعاملنا كما تعامل الامارات الاخرى .

— آه ، اخذ الجزية ؟ هذا لا يكفى ، لقد تنازل اميركم الحقيقى لنا عن طليطلة العزيزة ، عاصمتنا القديمة ، دار ملكنا ، ومستقر اسقفيتنا ، ولا يمكن ان اخون ملتى وقومى ، لقد انتهى الامر !

— تنازل ؟

— نعم ، وهو مندوبه امامكم موافق على ما اقول !

— نستأذنكم ايها الامير فى الرجوع الى قومنا، الذين اوفدونا .

— الرجوع لا يمكن اريد ان احتفظ بكم كرهائن الى ان تفتح طليطلة ابوابها ، وعندئذ تصحبوننا فى الرجوع اليها ، والا فلن تكتب لكم تلك المصاحبة عند الدخول التاريخى ...

— اتريد ان تقتلنا ؟

— طبعا ، الحرب معناها القتل ايها السادة ! وبكل وسيلة ممكنة ، وبمواجهة او عدم مواجهة ... ارسلوا احدكم ليبلغ هذا لقومكم المحاصرين انى اختار هذا الشيخ ... ايها الحراس اصحبوه الى ان يقترب من احد الابواب ...

وهنا اخذت دموع حارس الكنيسة تسيل وكمل :

ومر الليل وطلع النهار ، يا سيدى سعد ، حتى رفعت الرايات البيضاء ، وفتحت الابواب ، ودخل الجنود منتصرين ، وتبعهم مستغلو هذا الانتصار ... هذه تفاصيل سمعتها من شاهد عيان حضرها المحفل الرهيب ، لقد شاهد القوم كلهم ضعفا ، ايام طغيان القشتالى الحقود ، وما هو بالقوى الذى لا يقهر ، وما هو من جهتهم عديمو الصبر ، ما اشد تخاذل بعض الكبراء عند الشدائد هيا خذنى معك حيثما تسير ، ما ارى القوم الا مكتشفين سرى ، وعندئذ يا ويلى منهم ... ارض الله واسعة !

وصارا معا فى حيرة وانزعاج، الحارس يشد على يد سعد ، وسعد هائم فى الدروب كالمجنون ، لقد تلقى ضربة قاسية ، لقد كان مطمئنا من تقلبات الاحوال ، وواثقا من حسن المصير بين اهله وخلانه وفى روضه الجميل ... اما الآن فلا شىء ستوى الشرود والهيمان والضياع .

الطروق الآن زاخرة بأشكال والوان من الناس والجنود ، ويكثر فيها الغبار ويعظم الضجيج والنساء المسلمات واليهوديات يولولن متفجعات من سوء المصير ، والرجال عقدوا اجتماعاتهم غير المجدية بالمساجد ، والشبان واليافعين يصطادهم

القشتاليون ويسوقونهم مقيدين بالحبال الى المجازر البشرية ! والحمالون مشغلون جدا وهم يغالـــون فى اثمان نقل المتاع الى خارج المدينة ، والتجــار افرغوا دكاكينهم من البضائع المتبقية ، والصناع سكتت مطارقهم وادوات صناعاتهم الصغرى والكبرى ورفقاء الاديب يسعد ما هو مصيرهم ؟ واين هـــم الآن ؟

مسكين صاحب السيوف عبد النبى ، لقد قبل له ان الجنود اعتقلوه فور الاحتلال ، هو وصناع حومة السيافين ، وصادروا بضاعتهم الرهيبة . ويتهامس الناس ، انهم ذبحوا عن آخرهم بحد سيوفهم البتارة ، ويا للهول ! اما الصائغ عمــر ، فلقد حطموا متجره فى جملة ما حطــم من متاجــر الصياغين ، وبعثرت بضائعهم الثمينة ، حتى يقتنى كل جندى قشتالى ما يعجبه من مصوغات لاهلــه وذويه ، وقع هذا فى الوقت الــذى كان اصحــاب الدكاكين غائبين ... وتجاه اشبيليــة فر الحائــك ادريس ، ومعه جميع بضاعته ، وذلك بمجرد فتح الابــواب ، انه كـــان واثقــا عهــد للفاتحيــن القشتاليين ولا ميثاق !

محمد احمد اشماعو

أوليات

إعداد : الأستاذ محمد العرائشي

● القلـم اول ما خلق الله :

القلم من أشرف ما خلق الله تعالى ، ويكفيه شرفا ان الله أقسم به في سورة (ن) فقال تعالى : « ن والقلم وما يسطرون » واضاف التعليم به لنفسه، فقال في أوائل سورة العلق :

« اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم » .

وهو اول ما خلق الله تعالـى . روى الامـام الترميذي في صحيحه عن عطاء قال : لقيت الوليد بن عبادة ابن الصامت قال : حدثني أبي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان أول مـا خلق الله القلم ، فقال اكتب ، فجرى بما هو كائن الى الابـد .

اوائـل آدم (1) :

آدم عليه السلام هو اول فرد من افراد الانسان، وجميع أفراده مندرجون في صلبه ، خلقه الله مـن تراب ، وخلق حواء من ضلعه .

وهو أول خليفة في الارض ، بمصداق قولـه تعالى : « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » ، الآية 30 من سورة البقرة . ثم توالـت الرسل بعده ، لكنها لم تكن عامة الرسالة ، بل كـل رسول ارسل الى فرقة ، الى ان جاء خاتمتهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فكانت رسالة عامـة أرسله الله بالهدى ودين الحق .

وهو أول نبـي مرسـل :

روى عن أبي ذر الغفاري قال : قلت يارسول الله : من اول الانبياء ، قال آدم فقلت هو نبي مرسل قال نعـم .

وهو أول من خط بالقلم ووضع الخطوط :

في احدى روايتين ثابتتيـن ، ان آدم عليـه السلام ، هو اول من خط بالقلم ووضع الخطـوط ، وقيل ان ادريس عليه السلام هو أول من فعل ذلك .

وهو أول من تكلـم بالعربيـة والسريانيـة والعبرانية ، لان الله تعالى قال : « وعلم آدم الاسماء كلها » الآية 31 من سورة البقرة ، وذلك يقتضي أنواع اللغات والاسمـاء .

وهو أول من حرث الارض بيده . نص على ذلك شمس الدين محمد بن ابراهيم التتائي في شرحه على مختصر خليل عند قول المتن في بـاب الاجارة : صحت الاجارة بعاقد .

وهو أول من افشا السلام وبادر به .

(1) هو ابو البشر ، نبي مرسل ، ارسله الله الى ولده وولد ولده ، وبقي يحكم بحكم الله الى أن توفى .

وهو أول من بنى المسجد الاقصى فى رواية ، بناه بعد بناء البيت الحرام بأربعين سنة ، وكان قد بنى قبل آدم بالاف السنين ، ثم خربه الطوفان (2) ولم تزل ايادي العمران والتخريب تمتد اليه منذ ان خربه الطوفان ، الى أن جاء الاسلام ، وفتح بيت المقدس صلحا على يد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، اذ ذاك عمد عمر الى بناء قطعة فى صدر المسجد للصلاة . وفى عهد عبد الملك بن مروان بنى المسجد كله . وذكر ابن خلدون فى المقدمة : ان داوود وسليمان عليهما السلام هما اللذان بنياه امتثالا لامر ربهما .

● **أوائل ادريس (3) :**

النبي ادريس عليه السلام هو اول من اعطى النبوة بعد آدم ، وكان على شريعته يدعو الخلق اليها. وهو اول من عرف التنجيم ، فدل على تركيب الافلاك ، وقدر مسير الكواكب ، وكشف عن احوال تأثيرها ونبه على عجائب الصنع فيها .

وهو اول من عرف الطب ودرس الكتب . واول من استرق الرقيق .

وهو اول من خاط الثياب ولبس المخيط ، وكان الناس قبل ذلك يلبسون الجلود .

سبقت الاشارة الى أنه هو أول من خط بالقلم فى احدى روايتين ، ويؤيدها ما ذكره البلاذري (4) فى كتابه انساب الاشراف : روى عن محمد بن اسحاق بن يسار انه قال : سمي ـ اخنوخ ـ ادريس لانه اول من خط بقلم ودرس الكتب . كما سبق فى الحلقة الثانية : انه أول من اتخذ السلاح والسيف وجاهد .

● **أوائل انوش :**

انوش بن شيث بن آدم هو أول من نطق بالحكمة .

واول من غرس النخلة وزرع الحبة .

واول من جعل للكعبة بابا .

● **أوائل ابراهيم (5) :**

ابراهيم عليه السلام ابو الانبياء ، وامام الحنفاء، جد نبينا صلى الله عليه وسلم الذي كان يتعبد على ملته قبل الاسلام ، تنفلا بالعبادة ، واستكثارا للطاعة ، هو اول من يكسى يوم القيامة .

روى الامام البخاري فى صحيحه (6) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : انكم محشورون حفاة عراة غرلا (7) ثم قرأ ﴿ كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ﴾ واول من يكسى يوم القيامة ابراهيم الحديث .

---

(2) اقوال المؤرخين مضطربة فى زمن وقوع الطوفان ، ورجح بعضهم القول بانه وقع بعد هبوط آدم بالفي ومائة سنة واثنين واربعين سنة .

(3) يذكر النسابون ان النبي ادريس هو جد نوح عليهما السلام . ويسميه قدماء المصريين (أوزيس) معربها ادريس . ذكر فى القرءان مرتين : فى قوله تعالى : « واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا » الاية 56 من سورة مريم . وفي قوله تعالى : « واسماعيل وادريس وذا الكفل ، كل من الصابرين » الآية : 85 من سورة الانبياء .

(4) هو احمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفى سنة 279 هـ / 892 م حقق كتابه الدكتور محمد حميد الله . ط دار المعارف بمصر 1959 .

(5) ولد ببابل ق. م. بالفي عام وتوفى بالشام وعمره 175 سنة فى احدى الروايات . ويعد من الجيل الثامن من ذرية سام ابن نوح ومن كبار اولي العزم . وكان (صلعم) اشبه الناس به . روى البخاري عن ابن عباس ان النبي (صلعم) قال : اما ابراهيم فانظروا الى صاحبكم . يعني نفسه (صلعم) .

(6) فى باب قول الله تعالى : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » .

(7) ج اغرل وهو الذي لم يختتن .

وهو اول من اختتن . قيل ان سبب ختانه انه امر بقتال العمالقة ، فقاتلهم ، فقتل خلق كثير من الفريقين ، فلم يعرف ابراهيم اصحابه ليدفنهم ، فامر بالختان ليصير علامة .

وقد اختتن وهو ابن ثمانين سنة . روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اختتن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم (8) فالختان على هذا شريعة ابراهيمية ، وملة حنيفية ، وسنة شرعية .

وهو اول من قص الشارب ، ونتف الابط ، وحلق العانة ، وقلم الظفر . ويعد الختان وما بعده من خصال الفطرة التي حض النبي صلى الله عليه وسلم عليها . روى الشيخان : البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : خمس من الفطرة (9) الاستحداد (10) والختان ، وقص الشارب ، ونتف الابط ، وحلق العانة ، وتقليم الاظافر .

وهو اول من استنجى بالماء ، واستاك ، وتمضمض ، واستنشق .

واول من رفع يديه في الصلاة في رفع وخفض.

واول من شاب ، وفرق الشعر ، وخضب بالحناء والكتم .

واول من اضاف الضيف وثرد الثريد ، حتى انه كان يكنى أبا الضيفان لكثرة قراه لهم .

واول من صافح وعانق وقبل بين العينين في موضع السجود .

واول من لبس النعلين ، والسراويل . روى ابو نعيم الاصبهاني عن ابي هريرة مرفوعا ان اول من لبس السراويل هو ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم .

واول من اقام مناسك الحج ودعا الى اقامتها . قال تعالى : « واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر » الآية 27 من سورة الحج .

واول بنيه اسماعيل :

اول مولود لابراهيم هو اسماعيل ، وذلك انه لما هاجر بدينه الى الارض المقدسة ، طلب من الله تعالى ان يرزقه الولد فقال : « رب هب لي من الصالحين » فاستجاب الله دعاءه ووهبه اسماعيل وقال : « فبشرناه بغلام حليم » الآيتان : 100 و 101 من سورة الصافات . ونصت التوراة على ان اسماعيل ولد ابراهيم وسنه ست وثمانون سنة وولد له اسحاق وعمره تسع وتسعون سنة .

وسريته هاجر هي اول امراة خفضت (11) :

لما تسرى ابراهيم بهاجر ، اخذ زوجه سارة ما ياخذ النساء من الغيرة ، فاقسمت لتقطعن شيئا من جسدها ، فاشار عليها ابراهيم ان تخفضها وتثقب اذنيها وتجعل فيهما قرطين ففعلت فازدادت بذلك حسنا ، فكانت اول امراة خفضت .

وهي اول امراة اتخذت المنطق (12) :

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة (13) .

---

(8) بفتح القاف وتخفيف الدال وتشديدها موضع على ستة اميال من المدينة .

(9) قيل هي الدين ، وقيل هي السنة القديمة التي اختارها الانبياء واتفقت عليها الشرائع ، فكانها امر طبيعي فطروا عليه .

(10) حلق العانة باستعمال آلة حديدية .

(11) ورد في كتب الفقه ان الخفاض هو قطع النا تيء من أعلى فرج الانثى كأنه عرف الديك .

(12) المنطق كما في القاموس : شقة تلبسها المرا ة وتشد وسطها فترسل الاعلى على الاسفل ، والاسفل يجر على الارض .

(13) المراد لتخفي آثار قدميها خوفا على نفسها من سارة التي توعدتها لما حملت من ابراهيم باسماعيل .

وسبق فى الحلقة الثانية ان ابراهيم هو اول من عمل القسى وقاتل الخ ...

● اوائـــل اسماعيـــل (14) :

اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، هو اول من تكلم بالعربية من ولد ابراهيم . نقـل البلاذري فى كتابه انساب الاشراف عن هشام قال : اخبرني ابي والشرقي أن اول من تكلم بالعربيـة من ولـد ابراهيم اسماعيل عليه السلام حين اتى مكة وله اقل من عشرين سنة ونزل بجرهم فانطقه الله بكلامـه ، وكان كلامهم العربية . وذكر الشيخ عبد الرحمـن الطهطاوي فى تعليق له (ب ج 1) من هداية الباري الى ترتيب احاديث البخاري : روى باسناد حسـن اول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة اسماعيل .

وهو اول من كتب بالعربية فى احدى روايات ثلاث ، وقيل ان اول من كتب بها هو هـود عليـه السلام ، وقيل ثلاث نفر من بولان من طيىء اصطلحوا على ذلك . ويؤيد الرواية الاولى الحديـث الـذي استشهد به السهيلي (15) فى الموضوع : روى عنه صلى الله عليه وسلم انـه قال : اول مـن كتـب بالعربية اسماعيل .

وهو اول من ركب الخيل . ولذلك سميـت عرابا ، وكانت قبل ذلك وحشا كسائر الوحـوش .

وقد ساق الزياني فى الترجمانة الكبرى حديثا فى الموضوع وهو قوله صلى الله عليه وسلم : اركبوا الخيل فانها ميراث ابيكم اسماعيل .

وهو اول من طلـق زوجـه :

وردت قصة هذا الطلاق فى البخاري فى كتاب احاديث الانبياء ، باب قول الله تعالى : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » . ونص الغرض منه كما روى عـن ابن العباس : فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعـل يطالع تركته (16) فلم يجد اسماعيل ، فسأل امراته عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا (17) ثم سألها عـن عيشهم وهيأتهم ، فقالت : نحن بشر ، نحن فى ضيق وشدة ، فشكت اليه ، قال : فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له : يغير عتبة بابه ، فلما جاء اسماعيل ، كانه آنس شيئا فقال : هل جاءكم مـن احد ، قالت نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته ، وسألني كيف عيشنا فاخبرته أنا فى جهد وشدة ، قال : فهل أوصاك بشيء قالت نعم ، امرني ان اقرأ عليك السلام ويقول : غير عتبة بابك ، قال : ذاك ابي ، وقد امرني ان افارقك ، الحقي بأهلـك ، فطلقها وتزوج منهم اخرى (18) الحديث .

اول من غير دين اسماعيل :

اول من غير دين اسماعيل هو عمر بن لحيي (19)

---

(14) رأس السلالة العربية الثالثة المعروفة بالمستعربة ، أرسله الله الى جرهم الذين حلوا بمكة معه لما هاجر به ابوه اليها مع امه هاجر فى نحو سنة 793 ق. م. وبنى مع ابيه الكعبة . وورد فى رسالتـه قوله تعالى : « واذكر فى الكتاب اسماعيل انهكان صادق الوعد وكان رسولا نبيئا » الآية 55 مـن سورة مريـم .

(15) هو ابو القاسم عبد الرحمـن بن عبـد الله السهيلي المولود بمالقة سنـة 508 هـ / 1115 م والمتوفى بمراكش سنة 581 هـ / 1186 م ساق الحديث فى كتابه : الروض الانف فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابي محمد عبد الملك بن هشام المعافـري . ط على نفقـة السلطان المولى عبد الحفيظ بمطبعة الجمالية بمصر سنة 1332 هـ / 1914 م .

(16) يتفقد احوال من تركهما فى موضع البيت الحرام قبل ان يرفع قواعده عليه السلام ، وهما اسماعيل ووالدته هاجر .

(17) يطلب لنا رزقا . روى انه كان يتعيش مـن الصيـد .

(18) المراد من جرهم . وقد ولد له من زوجه دعلة بنت مضاض الجرهمي اثنا عشر ذكرا وبنتواحدة .

(19) هو ابو تمامة عمرو بن لحي بن حارثة الازدي . كانت له شهرة فى قومه ، فكان لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لهم ، لانه كان يطعم الناس ويكسو فى الموسم ، فربما نحر فى الموسـم عشرة آلاف بدنة ، وكسى عشرة آلاف حلة . وقـد نصب بمكة اصنام (مآب) ودعا الناس الى تعظيمها والاستشفاء بها ، فكان اول من دعا العرب الى ذلـك .

اخرج ابن جرير عن ابي هريرة رضي الله عنـــه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاكثم بن الجون (يا اكثم عرضت على النار ، فرايت فيها عمرو بن لحي بن قمعـــة بن جنـــدف يجـــر قصبه (20) في النار ، فما رايت رجلا اشبه برجـــل منك به ولا به منك ، فقال اكثم : اخشى ان يضرني شبهه يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا انك مومن وهو كافر ، انه او من غير دين اسماعيل ، وبحر البحيرة ، وسيـــب السائبـــة ، وحمى الحامي) (21) .

وروى مسلم عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رايت عمرو بن عامـــر الخزاعي يجر قصبه في النار ، وكان اول من سيب السوائـــب)

اول زمرة تدخل الجنـــة :

روى البخاري في صحيحه (22) عـــن ابـــي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلـــم قال : (اول زمرة تلج الجنة ، صورتهـــم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون ، آنيتهم فيها الذهب ، امشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم الالوة (23) ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغـــض ، قلوبهم قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيا)

مكنـــاس امحمد العرائشي

---

(20) المعـــى جمعـــه اقصـــاب .

(21) البحيرة الناقة التي تبحر اذنها اى تشق شقا واسعا . وكان يفعل بها ذلك اذا انتجت خمســـة ابطن . وكان الخامس انثى . والسائبة هي الناقة التي تسيب بالنذر للآلهة فترعى حيث شاءـــت ولا يحمل عليها شيء ولا يجز صوفها ولا يحلب لبنها الا لضيف . والحامي الفحل ، يولد من ظهره عشرة ابطن ، فيقولون : حمى ظهره ، فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وقد ابطل الاســـلام كل ما كان عليه اهل الجاهلية من معتقدات فاسدة ، فقال تعالى : « ما جعل الله من بحيـــرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام » الآية : 103 من سورة المائـــدة .

(22) كتاب بدء الخلق . باب ما جاء في صفة الجنة وانها مخلوقـــة .

(23) عـــود الطيـــب .

● هـــوامـــش :

1 ــ الصحيحـــان : البخـــاري ومسلـــم

2 ــ هداية الباري الى ترتيب احاديث البخاري للشيخ عبد الرحيم الطهطاوي

3 ــ ج 12 من صحيح الترمذي بشرح (عارضـــة الاحوذي)لابي بكر بن العربي ط الصاوي 1934/1353

4 ــ ج 1 من احكام القرءان لابي بكر بن العربـــي ط. الصاوي ، 1353 هـ / 1934 م .

5 ــ ج 6 من الجامع لاحكام القرءان لابي عبد الله محمد بن احمد القرطبي ط. دار الكتب المصريـــة 1357 هـ / 1938 م

6 ــ الاجـــزاء : 7 و 16 و 17 من تفسير احمد مصطفـــى المراغـــي

7 ــ ج 1 من فقـــه السنـــة للسيد سابـــق

8 ــ المحبر لابي جعفر محمد بن حبيب البغدادي

9 ــ مقدمـــة عبـــد الرحمـــن ابن خلـــدون

10 ــ ج 1 من كتاب عجائب الآثار في التراجم والاخبار لعبد الرحمن الجبرتي .

11 ــ الترجمانة الكبرى لابي القاسم الزيانـــي

12 ــ ج 3 من صبح الاعشى لابي العباس احمد القلقشنـــدي

13 ـ ج 1 من انساب الاشراف للبلاذري احمد بن يحيى تحقيق الدكتور محمد حميـــد الله ط. دار المعارف بمصر 1959

14 ـ ج 1 من الروض الانــف لابي القاسم عبــد الرحمن السهيلـــي

15 ـ منتخب الاقاويل فيما يتعلق بالسراويـــل للشيخ جعفر الكتانـــــي

16 ـ الموسوعـــة العربيـــة الميسرة

17 ـ شرح مختصر الشيخ خليل لشمس الدين محمد بن ابراهيم التتائي خ خزانة الجامع الكبيـــر بمكنـــاس

18 ـ كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن ابي زيد القيرواني لابي الحسن علي بن محمد المنوفي

19 ـ الاجزاء : 1 و 2 و 3 من دائــرة المعارف لمحمد فريد وجـــدي

20 ـ الاجزاء : 1 و 2 و 3 من الاعلام لخير الدين الزركلـــــي .

من موضوعات العدد القادم

- **حمل فرش في مروي الامام ورش**
  للدكتور التهامي الراجي الهاشمي
- **الوجادات** (751 - 766) للأستاذ عبد القادر زمامة
- **الدفاع الشرعي في الشريعة الإسلامية**
  للأستاذ عبد الواحد الناصر



للأستاذة ليلى ابوزيد

وصل الى فاس فى ساعة متأخرة من الليل . الساعة قدرها وهو فى الطائرة بعدما قطع الرحلتين بين مطار النواصر والدار البيضاء ، ثم بين الدار البيضاء وفاس فى سيارتي أجرة . الح على أن يصل تلك الليلة . لم يكن لديه من الصبر ما يكفي لانتظار الصباح رغم انه انتظر ثلاثين عاما .

فى الفندق فتح الموظف المداوم النعسان جواز الفاتيكان الذي يحمله ، قرأ الاسم وصحا تماما كانما صب على وجهه كوب من الماء .

ما زال الناس يذكرونه اذن ويروون حكايته .

وحين خرج العامل الذي حمل حقائبه الى الحجرة فتح الشرفة فتسربت منها موجة من برد نوفمبر اقشعر لها جلده . واطل على حديقة اندلسية تنيرها مصابيح مغروسة فى الاحواض ينعكس ضوؤها على قطرات المطر واشجار البرتقال .. ومن خلف اسوار الحديقة راى انوار المدينة القديمة وسطوحها ومآذنها وقبابها الخضر كانه يراها فى المنام .

فى احلامه كان يطل على مدينته من حجرة ضيقة وبادرة فوق جدران الفاتيكان ، فكانت تبدو بعيدة والجدران عالية . وكان يرى أمه تحت ، تشير له الق بنفسك فيجيبها :

« لا استطيع » ولا تسمعه .

بعض الاحلام ـ لشدة واقعيتها ـ يصعب التفريق بينها وبين الحقيقة ، والعكس .

وهبت على الشرفة ريح تحمل رذاذ مطر خفيف بلل وجهه فمسح وجنتيه بكم لباسه الكهنوتي كانه يمسح دموعا . ولربما كانت هناك دموع فى وجهه المبلل بماء المطر .

ترك الشرفة . اغلق بابها الزجاجي . غير ثيابه . اقترب من جهاز التدفئة وهمهم بالصلاة وراسه مسند الى سبابتي يديه الملتصقتين ثم وضع راحتيه على سقف الانابيب المعدنية الساخنة ليدفئها ودخل فى الفراش .

محال ان ينام الليلة .

حواسه يقظة ، متحفزة وراسه يضج كانه وكر زنابير .

عادت الاحداث والصور التي كان يحسب انه نسيها . انبعثت من الماضي حية ، واضحة ، بادق التفاصيل ، كأن الثلاثين عاما لم تكن .

راى الشاب ـ الذي كانه ـ يقف فى ذلك اليوم المشهود والكهان من حوله منشغلون به ، مستغرقون فى حركات وتراتيل .. كانت عيناه معلقتان شمعدان

يساوي قامة الغلام الذي يحمله بينما خياله يستعرض أحداث البيت حين يصله الخبر .

امه ستعاودها الحالة التي رآها عليها مرة في طفولته فملأته فزعا وجعلته لمدة طويلة يجفل منهـا ويخافها ويشعر بالنكد حتى تمنى الموت .

ستلطم وجهها وفخذيها وتكشف رأسها وتشد شعرها .. وسوف يتهاوى جسدها الممتلـىء على الارض ثم ينتفض كما يفعل الديك المذبوح . وسوف تتكلم كلاما غامضا كالرموز ، كان شخصا آخر بداخلها ينطق بلسانها . وسيأتيها الخدم بالموقد ويحرقـون البخور ويرشون وجهها بماء زهر البرتقال ويحضرون لها امام المسجد ليصرع بالقرءان الاهـواء التـي انتابتهـــا .

اما ابوه فسيصيبه الذهول فلا يفعل شيئا ولا يعي هول الحادث الا فيما بعد .

وسيعم الخبر ارجاء المدينة في زمن قياسي، فان الفضائح في البلاد المتخلفة كالسمن البلدي لها رائحة نافذة ولو كانت في قرار الجرار .

وستختنق الدار بالنحيب وتغريـد النائحـات الحزين بينما يـردد الرجـال في اشفـاق او في استسـلام :

« لا حول ولا قوة الا بالله » .

انتهت الطقوس دون ان يدري وسحبـوه الى خارج الكاتدرائية فادرك في تلك اللحظة انه رجل غير دفينه وان اسمه سيحور حتى يناسب النطق اللاتيني ويضاف اليه لقب الكاهن وان عليـه ان يستأنـس بالشخص الجديد الذي صحبه منذ قليل .

وفي اليوم التالي علم ان تابوتا قد شيع مـن بيتهم الى المقبرة ، وان المدينة كلها مشت في جنازته الرمزية وان الطرقات كانت تعج بحشـود بشريـة هادرة بـ « لا اله الا الله محمد رسول الله » حتى خيل للناس انه يوم البعث .

وقرا في الصحافة الاستعمارية الصادرة في الرباط حينذاك :

« ... ان استقبال المدارس الكهنوتية لاطفال المغاربة قد أتى اولى ثمراته » بينما حذرت في مكان آخر من ان تزرع الحادثة الوساوس والهلع في قلوب السكان فيمتنعون من ارسال أبنائهم الى المدارس الفرنسية ويوضع بذلك حد بينهم وبيـن الفكـر الفرنسـي .

والى هنا انتهى عهده بالمدينة واهله ، فقـد انتقل الى فرنسا حيث بدأ حياته الجديدة كرجـل كنيسة وواصل تعليمه وبعدها الى الفاتيكـان .

وشعر بوخز في ذراعه كعادته كلما نـام على جنبه الايمن فجلس في الفراش واشعل النور ثـم سأل عامل الفندق عن الساعة بالتليفون فقال له :
« الثالثة صباحـا » .

وضبط ساعته التي كانت ما تـزال تشيـر للتوقيت الايطالي ثم عاد يحملق في الظلام .. وعادته الصـور .

عمره خمس سنين . أبوه يضرب امه . وهـو يبكي ويصرخ ويكاد الفزع يقتله . يمسك باذيال امه وهي تمسك بتلابيب ابيه والثلاثة يتدحرجون حـول النافورة الرخامية القائمة وسط الفنـاء المرصوف بقطع الفسيفساء الخضراء وكلام كثير يضيـع في الصراخ والنحيب لا يفهم منه الا :

« زواج .. وضرة .. والامة السوداء » .

وكان ذلك هو اليوم الذي رأى فيه امه تصابه بالصـراع .

في تلك السن دخل مدرسة الرهبان .

كان عمرو الصبي الذي يقضي اغراض البيت يحمله على قفاه في الذهاب والاياب بعدما ينفحـه بشيء من الحلوى التي يشتريها من باب مولاي ادريس مقابل لفات الصوف التي توزعها في المدرسة لهذا الغرض « الراهبة ريجين » على الاطفال المغاربة .

كان يقضم قطعة الحلوى البيضاء الصلبة التي يسيل لها اللعاب ويتفرج على الصناع والدكاكين من فوق طاقية عمرو ، وقد شبك يديه حولها وشد هذا الاخير بأصابعه القوية على أسفل ساقيه حتى يمنعه من السقوط .

وفي البيت كانت ياسمين تستقبله بالتهليل . كانت تحبـه كما لـو كان ابنهـا بعدما تولـت رعايته منذ ولادته ، وكانت تعيد عليه حكاية مجيئها

من المستقال وكيف سرقها تجار الرقيق وباعوها وهي طفلة فكان يصغى اليها وهو ينظر من قريب في وجهها الاسود جدا الذي تبرق فيه اسنان ناصعة البياض .

فكان يحلو له ان يمتطي ظهرها اذا سجدت للصلاة ، فاذا ضبطته امه وهمت بضربه حالت بينها وبينه . وكذلك كانت دائما تنحاز له وتدافع عنه — ظالما ومظلوما — وتغضب اذا عاقبه أبوه .

ترى كيف أصبحت ياسمين اليوم ؟

وارتفع صياح الديوك في السطوح .. وبعده جاء صوت المؤذن عند الفجر ، ثم لم يدرك كيف سرقه النوم .

استيقظ في الثامنة وخرج دون أن يتناول الفطور ، وما أسرع ما وجد نفسه في الدروب المغسولة بالمطر .. غامر صدره انشراح طارىء .. وتنشق بعمق هواء الصباح البارد ممزوجا باريج النعناع الآتي من حزمة يبيعها صاحبها على جنب الطريق ..

مشى بينهم .. عيناه تنظران بلهفة ، ومشاعره ترق لرؤية الازقة والطرقات المرصوفة بالحجارة والجدران العتيقة ودواب الحمالين (وسيلة النقل منذ نيف والف عام) .

ومع مرور الوقت بدات تفتح الدكاكين وورشات الحرفيين وترتفع أصوات المطارق ...

كل شيء كما كان .. كأن الزمن توقف بهذه المدينة .. وتسرب اليه مما يراه شعور بالسعادة وانتابه تعاطف غامر مع المارة فقال بصوت مسموع :

« الانسان كالشجرة له جذور تربطه بالارض » .

ووجد لمحة من ابيه في وجه رجل عابر فوقف في وسط الطريق وارتفعت ضربات قلبه .

انه يخافه او لعله يشتاق اليه او لعله ميت .. وانتبه على صوت حمال يصرخ :

« بلاك » فالتصق بجدار لتمر الدابة المحملة بجلود مدبوغة ازكمت رائحتها انفه .. وتذكر انه لم يعرف معنى « بلاك » هذه الا في أسواق بغداد ، حيث يردد الحمالون :

« بالك .. دير بالك » .

ووصل الى المسجد القريب من زقاقهم وعند مدخله كالعادة جماعة من العمي ترتل القرءان بطريقة الكتاتيب المغربية .. وضرب قلبه مرة اخرى كان حياته ستقف عند هذا الزقاق .

اتجه نحو البيت فوجد الباب مردودا .. تنفس بعمق ودق اليد الحديدية دقا خفيفا . (في طفولته لم يكن يرحم هذا الباب .. كان يركله ولا يكف عن الطرق حتى يفتحوا له) . وبعد حين سمع خطوات متثاقلة وصوت اساور ، واطل راس ياسمين من وراء الباب .. عرفها رغم التغيير ورغم انها أصبحت عجوزا ، وامعن النظر في وجهها فتعذر عليه استحضار صورتها الاولى .

لقد عرفته كما عرفها ولكنها ظلت صامتة .

وجاء من داخل الدار صوت امراة طاعنة في السن يسأل :

« ياسمين ، من بالباب ؟ »

لعله صوت أمه .

وغابت الجارية العجوز مدة خيل اليه انها طالت وحين عادت قال لها :

— « انا عزيز ... الم تعرفيني ؟ » .

فاجابته بنبرة جافة :

— « عزيز مات ودفناه منذ ثلاثين عاما » ثم اغلقت الباب وسمع خطواتها تبتعد .

التفت حوله .. خيل اليه ان عيونا ترقبه ، وحاول ان ينصرف فوجد صعوبة في المشي وتمنى لو كانت سيارات الاجرة تصل الى هذه الدروب .

جلس في مشرب يبيع الشطائر وعصير البرتقال وسمع العامل يقول له وهو يضع كوب العصير امامه :

— « الجو كئيب » فانتبه الى ان نفسه ايضا كئيبة .. استغرقه السهوم فلم يدر كم مر عليه من الوقت في مكانه ذاك .. وحين غادره مر ثانية بمجموعة الشحاذين العمي ، وظلت قراءتهم الحزينة تلاحقه حتى غيبه الطريق .

الرباط : ليلى أبو زيد

الثقافة المغربية

ومفهوم المعاصرة

●● اشرفت الجامعة الوطنية للجمعيات الثقافية بالمغرب على تنظيم مهرجان ثقافي حافل بالرباط تحت شعار : « الثقافة المغربية ومفهوم المعاصرة » شاركت فيه نخبة ممتازة من الباحثين واساتذة الجامعة بالمغرب : محمد العربي الخطابي ، د. محمد حجي ، د. محمد بنشريفة ، عبد الكريم غلاب ، د. عبد الله العمراني ، د. عباس الجراري ، محمد زنيبر ، د. المهدي بنعبود ، ادريس الكتاني ، عبد الوهاب بنمنصور، محمد شفيق ، د. المهدي المنجرة .

وقد درست خلال هذا اللقاء الذي استمر ثلاثة ايام (13 — 14 — 15 اكتوبر 78) الموضوعات التالية :

— الثقافة المغربية .
— الثقافة بالمغرب عبر التاريخ .
— الثقافة المغربية المعاصرة .
— التطلعات الثقافية للمغرب .
— الرؤيا الاسلامية للثقافة .
— مقدمات الثقافة المغربية .
— نحو ثقافة عالمية جديدة .

وقد افتتحت اللقاء الدكتورة زهور الزرقاء بكلمة عن أهمية الموضوع المطروح .

ومما يذكر أن اللقاء الثقافي تميز بروح البحث العلمي والموضوعية والجدية بعيدا عن الشعارات والاساليب الفوغائية التي هي اقرب الى الارهاب الفكري منها الى الثقافة والفكر ●●

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
خلال شهر رمضان 1398 هـ

• دابت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على ان تجند كافة طاقات انتاجها خلال شهر رمضان المعظم من كل سنة ، بحيث يتضاعف العمل ويتعدد ويمتد الى مجالات متنوعة تصب كلها في مصب واحد هو انعاش الدعوة الاسلامية وتعزيز الجهود المبذولة في هذا الميدان وتنويع الاساليب المتبعة سعيا وراء توسيع رقعة العمل الاسلامي ليشمل جميع المدن والاقاليم والقرى والمناطق النائية في الصحراء والجبال والسهول والشواطىء ، عملا بالتوجيهات السديدة لمولانا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله الذي يحرص اشد الحرص على ان يعم التوجيه الديني والارشاد الاسلامي والتوعية الحق جميع فئات شعبه المؤمن .

ولقد امتاز نشاط وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية خلال شهر رمضان لسنة 1398 (1978) بحملة مكثفة الدروس الدينية والاحاديث التوجيهية والمحاضرات الثقافية والندوات شملت المساجد والزوايا والاضرحة والنوادي والمعامل وثكنات القوات المسلحة الملكية والسجون اختيرت لها نخبة منتقة وواعية من العلماء خريجي الدار الحديث الحسنية وجامعة القرويين واساتذة الجامعات والمرشدين والوعاظ المدربين ذوي التجربة الطويلة في الوعظ والارشاد والتعليم والفتوى والسمت الحسن والخلق الممتاز ، فكان أن شملت الحملة المركزة اقاليم المملكة من الصحراء المغربية الى مدن الشمال ، الامر الذي اتيح للمواطنين والمواطنات فرصا ثمينة للاطلاع والتثقيف والمعرفة والتزود بخير زاد والوقوف على حقائق الاسلام وتعاليمه السمحة .

فاذا كانت المصالح المختصة بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تضطلع بمسؤوليتها في هذا المضمار على مدار السنة ، فان برامجها خلال شهر رمضان المعظم ياخذ حجم الحملة المدروسة المدققة ويكتسي شكل التعبئة الجماعية الشاملة تقديرا لعظمة هذا الشهر الكريم واستجابة التطلعات الشعب المغربي الذي يحرص — ولله الحمد على أن يرقى سلوكه ومعاملته ووجدانه اثناء شهر الصيام الى مستوى عقيدته النيرة ودينه القويم وحضارته الباذخة .

ويمكن ان نوجز البرنامج العام الذي اتبعته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية خلال شهر رمضان الابرك في النقط التالية :

اولا :

المساجد : شهدت مختلف مساجد المملكة طيلة ايام وليالي شهر رمضان المعظم حركة تثقيفية وتعليمية وتوجيهيةنشيطة كانت في مستوى الاقبال المتزايدعلى بيوت الله من طرف مختلف فئات الشعب رجالا ونساء ، اطفالا وشيوخا وشبابا . وثمة ظاهرة تنشرح لها الصدور المؤمنة وهي اقبال الشباب المتعلم والمثقف على المساجد للصلاة والاستماع الى الدروس والاحاديث ، وفي ذلك من الدلالة على الخير وعلاماته ما يفرح له المؤمنون .

وهكذا نظمت الوزارة سلسلة من الدروس قبل وبعد اوقات الصلاة من الفجر الى العشاء ، كانت معظم المساجد تكتظ اثناءها وتمتلىء في احيان كثيرة عن آخرها . وتناول الوعاظ والمرشدون في دروسهم موضوعات حية تتصل بتفسير القرآن الكريم وشرح الحديث النبوي الشريف وعرض جوانب من السيرة النبوية الطاهرة ، ومعالجة

مسائل اجتماعية وتاريخيــة علــى ضوء الفكــرة الاسلامية الاصيلة ·

ثــانيـــا :

الاذاعة والتلفزة : تقديرا من الوزارة للتأثيــر الذى تمارســه وسائل الاعلام نظمت سلسلة مــن الاحاديث الاسلامية الهادفة فى الاذاعة والتلفزة كانت تقدم يوميا فى تركيز واختصــار وتبسيط روعى فيــه تقديم صورة مشرقة للاسلام وحلوله لمشاكل العصر دون اغراق فى التفاصيل او اكثار من التفريعات التى تحجب الرؤية الواضحة عن المستفيدين من هــذه الاحاديث ·

كما ابرزت الوزارة الذكريات الاسلامية الخالدة اهتماما خاصا · بحيث نظمت نــدوات تلفزيونيــة واذاعية عن غزوة بدر الكبرى ونزول القرآن الكريم وليلة القدر وذكرى وفاة جلالة المغفور له محمــد الخامس قدس الله روحه ·وقد تتبع المواطنون هذه الندوات باهتمام كبير ونالت اعجاب العلماء والمثقفين لما عرفته هذه السنة من اخراج متقن وتسييــر ناجح وتركيز على رؤوس الموضوعات المطروحة للنقاش ·

ثــالثـــا :

ميادين مختلفة : وبالاضافة الى المساجد ووسائل الاعلام امتد نشاط الوزارة الى ميادين اخرى ، نذكر من بينها المعامل والنوادى والسجون وثكنــات القوات المسلحة الملكية · وقد شهدت هذه المرافق دروسا ومحاضرات دينية وثقافية قيمة كان لها الصدى الواسع ولا يزال · وبذلك حققت وزارة الاوقــاف والشؤون الاسلامية الفكرة الشمولية فى الدعــوة الاسلامية ومبدأ الاستقطاب ، اذ لم تقتصردروسها واحاديثها على ميدان دون آخر ، وانما اجتهــدت وحرصت على ان يشمل هذا النشاط جميع الميادين والمرافق · الامر الذى يحقق النفع العميم لجميــع المواطنيــن ·

رابعـــا :

بعثة العلماء الى الخارج : اوفدت وزارة الاوقــاف والشؤون الاسلامية هذه السنة بعثتيــن الــى اوروبا للقيام بمهمة الوعظ الدينى والتوجيه الوطنى فى اوساط جالية العمــال والتجــار المغاربــــة بالخارج ·

وكان السيد الوزير قد التقى بالســـــادة العلماء الموفدين الى اوروبا والقى فيهم خطابــــا توجيهيا حثهم فيه على بذل الجهد المستحق لترشيد وتوجيه اخواننا العمال والتجار بالديار الاوروبيــة وتبسيط حقائق دينهم الحنيف ليكتسبوا مناعــــة ضد المؤثرات الفكرية والاخلاقية التى تهدد الجاليات العربية والاسلامية فى اوروبا ·

ولقد بلغ النشاط الاسلامى فى شهر رمضان بالمغرب تمته بالدروس الحسنية القيمة التــى القيت برحاب القصر الملكى العامر بالرباط امــام حضرة مولانا الملك الحسن الثانى نصره اللــــه وبحضور كبار رجال الدولة ونخبة ممتازة مـــن العلماء والمفكرين والاساتذة ·

وقد تشرف هذه السنة بالقاء الدرس الدينى القيم امام جلالة الملك كل من الاساتذة الاجلاء :

— عبد الله كنون

— فاروق النبهان

— **الحبيب بلخوجة**

— حماد الصقلى

— محمدمتولى الشعراوى وزير الاوقــــاف وشؤون الازهر فى حكومة جمهورية مصر العربية

•وكان مسك الختام الدرس القيــم الممتاز الذى القاه جلالة الملك فاجاد فيه وابدا واعــاد ، واجتهد فى براعة وتفوق وعلم ، فكان مثار اعجاب الجميــع ·

واحياء لذكرى نزول القرآن الكريم احيت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية حفــلا دينيا كبيــرا بمسجد السنة بالرباط خطب فيــه السيد الوزيــر الدكتور احمد رمزى ·

وقد اجريت بالمناسبة مسابقة بين المقرئيــن الشباب فى تجويد القرآن الكريم ، ومنحت جوائــز تشجيعية للفائزين الاوائــل ·

المغـــــرب :

● شارك المغرب في المهرجان الدولي السنوي لتجويد القرءان الكريم الذي نظمته ماليزيا بمناسبة شهر رمضان الابرك ، وتألف الوفد المغربي من المقرىء السيد الطيب كحل العيون والسيد عبد العزيز القصار رئيس جمعية المجودين بفاس والمقرئة عزيزة عبد الواحد التازي ، وهذه أول مرة تشارك فيها امرأة مغربية في المهرجان الدولي لتجويد القرءان الكريم بكوالالمبور .

وقد سبق للسيدة عزيزة عبد الواحد التازي أن شاركت في كثير من المهرجانات التي تنظم بالمغرب لتجويد القرءان ، هذا وشارك المقرىء السيد الطيب كحل العيون في المهرجان بوصفه عضوا في لجنة التحكيم .

● معركة وادي المخازن ودور الاسرة الريسونية فيها آخر ما صدر في تطوان للاستاذ علي الريسوني المحامي . يمتاز الكتيب بثبت لاهم المراجع الاجنبية والعربية القديمة والحديثة حول معركة وادي المخازن .

● توفي بعد ظهر يوم 21 يوليوز 78 بمستشفى محمد الخامس بالرباط الدكتور محمود خيري بنونة استاذ العلاقات الدولية بكلية الحقوق بالرباط .

وقد شعيت جنازة الفقيد بعد صلاة الجمعة بمسجد السنة بالرباط ودفن بمقبرة الشهداء .

● صدرت بفاس مجموعة قصص للسيد بوشتى حاضي تضم 15 قصة وتقع في 90 صفحة من القطع المتوسط .

● صدر عن المعهد الوطني للدراسات القضائية بالرباط مجلة ثقافية بعنوان : (الملحق القضائي) .

مصـــــر :

● « معجزة القرءان » كتاب جديد للشيخ محمد متولي الشعراوي وزير الاوقاف وشؤون الازهر السابق في مصر . يقول المؤلف ان القرءان مزق حجاب الزمن : الماضي والحاضر والمستقبل .

● انتهى الشاعر كامل امين من كتابة ملحمة شعرية جديدة عن سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام بعنوان : « المحمدية » في حوالي 1300 بيت من الشعر من بحر واحد وقافية واحدة .

● صدر لمامون غريب « آخر رسل السماء » يتناول فيه سيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم . ويرد فيه على مزاعم واباطيل المستشرقين .

● الدكتور محمد ابو الانوار صدرت له ثلاثة كتب : « من قضايا الادب الجاهلي » ، « الشعر الجاهلي : مادته الفكرية وطبيعته الفنية » ، « الحوار الادبي حول الشعر » .

● « فلسفة الجمال » كتاب جديد للدكتور عبد الفتاح الديدي . وكان قد صدر له من قبل : « السلوك والادراك » و « فن علم النفس » .

● « الاسلام والاحزاب السياسية » كتاب جديد لفاروق عبد السلام .

● الدكتور شعبان محمد اسماعيل صدر له كتاب « مع القرءان الكريم » في تاريخه وخصائصه واسراره واحكامه وقراءاته وآداب تلاوته وناسخه ومنسوخه .

● صدر للدكتور يوسف القرضاوي كتاب بعنوان : « ظاهرة الغلو في التكفير » .

● « العقيدة واثرها في بناء الجيل » صدر مؤخرا للدكتور عبد الله عزام .

● « احياء التراث العربي » كتيب جديد فى سلسلة « كتابك » صدر للباحث المحقق عبد السلام هارون .

● « نماذج من فلسفة الاسلاميين » آخر مؤلفات الدكتور سامي نصر .

● « فى رحاب الانبياء والرسل » كتاب جديد للدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر صدر عن دار « أخبار اليوم » .

● « أسرار ترتيب القرءان » للامام السيوطي صدر عن دار الاعتصام بتحقيق عبد القادر احمد عطا .

● « الامثال الشعبية » كتاب جديد صدر عن مكتبة مصر من تأليف محمد صفوت يتضمن اشهر واقرب امثالنا العربية الشعبية .

● « ديوان الاخطل » صدرت منه طبعة جديدة مؤخرا .

● صدر فى القاهرة ديوان شعر جديد للشاعرة ملك عبد العزيز بعنوان : « اغنيات لليل » .

● صدر فى القاهرة كتابان فى موضوع الحركات الاسلامية فى افريقية :

1) (مع حركة الاسلام فى افريقية) تأليف الدكتور عبده بدوي .

2) (امبراطورية غانا الاسلامية) للدكتور ابراهيم طرخان .

السعودية :

● منحت الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة اول درجة ماجستير لاحد طلابها . وكان موضوع الرسالة « بيان خطا من اخطا على الشافعي » .

● اصدر الدكتور عبد الرحمن عميدة الاستاذ بجامعة الامام محمد بن سعود كتابا بعنوان : « المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها » .

● الكتاب الجديد فى سلسلة « المكتبة الصغيرة » ـ عدد 25 ـ صدر للاستاذ عبد القدوس الانصاري بعنوان : « رحلة فى كتاب من التراث » .

العراق :

● من منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية المجموعة الشعرية الكاملة للدكتور البصير ، والجزء السادس من ديوان الجواهري ، والجزء الخامس من ديوان الرصافي ، والمجموعة الكاملة لاشعار احمد الصافي النجفي غير المنشورة ، والجزء الاول من ديوان الشريف الرضي ، والجزء الاول من ديوان ابي تمام شرح الصولي ، وديوان ابن نباتة السعدي ، والجزء الاول من ديوان ابن المعتز ، وديوان محمد الهاشمي .

● وضع المؤرخ العراقي الدكتور جواد علي قاموسا جديدا اسماه : « معجم الفاظ الجاهليين » ، وهو اول معجم من نوعه أورد فيه الكاتب مجموع الكلمات الجاهلية وتحرى جذور كل كلمة وارجعها الى اصولها السامية .

الكويت :

● « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان » جمع واعداد محمد فؤاد عبد الباقي نشرته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت باشراف عبد الستار ابو غدة .

● الكتاب الثامن من سلسلة عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت صدر بعنوان « تراث الاسلام » (القسم الاول) من تصنيف « شاخت وبوزورث » وترجمة الدكتور محمد زهير السمهوري ومراجعة الدكتور فؤاد زكريا وعلق عليه وحققه الدكتور شاكر مصطفى .

● يترجم الدكتور عبد الرحمن بدوي استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة الكويت ، هذه الايام كتاب المستشرق ماسينيون (1883 - 1962) عن المتصوف الاسلامي الحسين بن منصور الحلاج ، الذي صدرت طبعة جديدة له عن دار جاليمار في اربعة مجلدات منذ بضع سنين .

لبنان :

● توفي في بيروت العلامة الاستاذ محمد جميل بيهم عن 91 عاما . وقد خلف اكثر من 30 مؤلفا اغلبها في التاريخ . وقد بدا حياته مؤرخا شديد التحامل على الدولة العثمانية وآخر سلاطينها الخليفة عبد الحميد الثاني ، ثم عاد خلال السنوات القليلة الماضية ليصحح المفاهيم المغلوطة ويكشف الخطا الذي وقع فيه مع كل من كتب عن العثمانيين، مؤكدا ان سقوط الخلافة الاسلامية في تركيا كان من تدبير اليهودية العالمية والشيوعية الدولية والقوى الاستعمارية المتآمرة ضد الاسلام والمسلمين .

وقد صدر للمرحوم محمد جميل بيهم كتاب في هذا الموضوع يعتبر من اهم الكتب التي تصحح التاريخ العربي الحديث .

● صدر حديثا عن دار العودة ببيروت المجلد الثالث والاخير من ديوان الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي ويتالف من دواوين : « قصائد حب على بوابات العالم السبع » و « كتاب البحر » و « سيرة ذاتية لسارق النار » و « قمر شيراز » .

الاردن :

● عين الدكتور ناصر الدين الاسد رئيسا للجامعة الاردنية . وكان يشغل منصب الامين العام المساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

● « رائد الفكر الاسلامي المعاصر : الشهيد سيد قطب - حياته - مدرسته - آثاره - من الميلاد الى الاستشهاد » كتاب جديد للكاتب الاردني يوسف العظم .

السودان :

● صدر للشاعر محمد المكي ابراهيم ديوان شعر بعنوان : « بنفس الرحيق أنا ، وابلرتقالة انت » .

● « مزامير » ديوان شعر للشاعر السوداني عبد الله جلاب .

السينغال :

● صدرت للرئيس السينغالي ليوبولد سيدار سنغور الترجمة العربية لكتابه « الانتساب الى العرق العربي » . انجز الترجمة الدكتور نمر الصباح استاذ الادب العربي بجامعة السينغال .

الهند :

● العالم الهندي الكبير الشيخ ابو الحسن علي الحسن الندوي صدر له كتاب بعنوان : « أحاديث صريحة في امريكا » ، وهي مجموعة محاضرات القاها في الولايات المتحدة الامريكية وكندا اثناء زيارته لهما سنة 1977 .

بلجيكا :

● صدر في بلجيكا كتاب عن المغرب للاستاذ فيرناندو كريست بعنوان : (جواز نحو المغرب) .

اليونان :

● صدرت في اليونان اخيرا رواية « القصة » من تاليف رئيس الجمهورية السابق ميشيل ستاسيتولولي . وهي تتناول قضية الحرية في قالب روائي مع تاملات في فلسفة القانون .

البرازيـــــل :

● الكاتب العراقي وحيد الدين بهاء الدين صدر له عن مؤسسة « بلادي » للطباعة والنشر بسان باولو بالبرازيل كتاب بعنـوان : « فليـب لطف الله : شاعرا وانسانا » .

فـرنســـا :

● تعقد الجمعية الدولية للقانون الجنائي ومقرها باريس مؤتمرا دوليا فى منتصف شهر مايو القـادم حول العدالة الجنائية فى الاسلام .

وسيبحث المؤتمر الـذي يعقـد بجزيـرة (الاسيراكيزا) بايطاليا الجرائـم والعقوبـات فى الشريعة الاسلامية وحقوق الانسان فى الاسلام .

وقد كلفت الجمعية الدولية للقانون الجنائـي الدكتور احمد فتحي سرور استاذ القانون الجنائـي بجامعة القاهرة بتنظيم ورئاسة هذا المؤتمر وسوف تشارك فى المؤتمر المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ومنظمة المؤتمر الاسلامي وعدد كبيـر من علمـاء الجاليات الاسلامية والاوربية .

وصرح الدكتور احمد فتحي بان الابحاث التي ستقدم للمؤتمر ستدور حول اثبـات ان الشريعـة الاسلامية سبقت كثيرا من النظريات الحديثـة فى المسئوليات الجنائية والدفاع الاجتماعي وحقـوق الانســان .

● (الوجه الاخير لاندريـه مالرو) مجموعـة مذكرات للاديب الفرنسـي الراحل اندريه مالرو ... صدرت فى فرنسا بقلم ابن أخيه (الان مالرو) .

● اقيمت فى مقر المركز الوطنـي للدراسـات التاريخية ومركز حضارات البحـر المتوسـط فى العاصمة الفرنسـية ندوات دراسات حـول الاثـار الفكرية لمؤلفات ابن خلدون .

وتركز اهتمـام الباحثيـن الفرنسيين على (مقدمة ابن خلدون) التي وضعت اساس نشوء علم الاجتمـاع .

اقرأ في العدد القادم

الفهرس العام
لموضوعات السنة 19

من

